40

«الدوحة 2019» لألعاب القوى: العد التنازلي

36

بيسان الفلسطينية: عشرون طبقة حضارية

16

حوار: عز الدين ميهوبي وآفاق الجزائر

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly

رأي: منصف الوهايبي والعنصرية الجديدة 23

حريات: ثورة أخرى في السودان 18

عدن تسقط في أيدي ميليشيا المجلس الانفصالي 02

Volume 31 - Issue 9631 Sunday 11 August 2019

السنة الحادية والثلاثون العدد 9631 الأحد 11 آب (أغسطس) 2019 – 10 ذو الحجة 1440 هـ

تونس: اختبار جديد للديمقراطية الوليدة

تشهد تونس انتخابات رئاسية مبكرة نجمت عن وفاة الرئيس السابق باجي قايد السبسي، تسودها أجواء تنافس حزبي واستقطابات سياسية متعددة، بدليل ترشح رئيس الوزراء الحالي، ونائب رئيس حركة «النهضة»، ووزير الدفاع، وعدد من كبار رجال الأعمال المستقلين. وإذا كان الرهان الأول هو قدرة هذه الانتخابات على جذب الجماهير إلى صناديق الاقتراع، فإن رهاناتها الأخرى تدور حول استئناف الخط الوسطي المعتدل الذي انتهجه السبسي، ومعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية الخانقة، ومواجهة الإرهـاب والتيارات الجهادية والسلفية. كذلك فـإنّ أنظار العالم، والعرب خصوصاً، تشخص إلى تونس من باب أنها تظلّ أنجح تجارب «الربيع العربي»، ومحط الآمال والمخاوف.

(حدث الأسبوع، ص 8ـ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

اليمن: عدن تسقط في أيدي ميليشيا المجلس الانفصالي بدعم من الإمارات وتخاذل من السعودية

القوات الانفصالية في عدن

سيطرت ميليشيا المجلس الانفصالي الجنوبي المدعومة بقوات ثقيلة إماراتية على كافة معسكرات الحرس الرئاسي والجيش الأخرى في محافظة عدن.

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

أكدت مصادر متعددة أن العاصمة اليمنية المؤقتة للحكومة عدن (سقطت) أمس في أيدي الميليشيا الانفصالية الجنوبية المدعومة ماديا وعسكريا من الإمارات العربية المتحدة في ظل تخاذل وغموض في موقف المملكة العربية السعودية، إزاء ما يحدث في عدن منذ الخميس الماضي، رغم أن الرياض تعلن دعمها لطرف القوات الحكومية التابعة للرئيس عبدربه منصور هادي.

وقال مصدر حكومي لـ«القدس العربي» إن «محافظة عدن سقطت السبت بالكامل في أيدي الميليشيا الانفصالية التابعة للمجلس الانتقالي المدعوم من الإمارات». وأتهم السعودية صراحة «بالتخاذل والخداع وبيع الحكومة الشرعية في اليمن لصالح المشروع الإماراتي في اليمن، عبر سحب قواتها فجأة من المناطق التي تواجدت فيها بعدن تعزيزا للقوات الحكومية لحماية المنشآت والمؤسسات السيادية وفي مقدمتها قصر المعاشيق الرئاسي، والبنك المركزي ومطار عدن ومقر الأمانة العامة لرئاسة الوزراء».

وذكرت مصادر محلية أن ميليشيا المجلس الانفصالي الجنوبي المدعومة بقوات ثقيلة إماراتية سيطرت أمس السبت على كافة معسكرات الحرس الرئاسي ومعسكرات الجيش الأخرى في محافظة عدن، وفي مقدمتها معسكر اللواء الأول واللواء الثالث واللواء الرابع حرس رئاسي ومعسكر.

وأوضحت أن ميليشيا المجلس الانفصالي اقتحمت منزل نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية أحمد الميسري، المدعوم من السعودية، وتضاربت الأنباء حول مصيره، حيث ذكرت مصادر انفصالية أنه تمت تصفيته عقب اقتحام منزله، فيما ذكرت مصادر أخرى أن الميسري غادر منزله فجر أمس قبيل سقوط محافظة عدن بساعات وتقدم الميليشيا الانفصالية من مقر إقامته.

وعاشت محافظة عدن وضعا عصيبا منذ الخميس الماضي مع اشتداد المعارك والمواجهات بين ميليشيا الحزام الأمني التابعة للمجلس الانتقالي الانفصالي المدعومة عسكريا وماليا من الإمارات، وبين قوات الحكومة الشرعية بقيادة الرئيس هادي المدعومة من السعودية، حين بدأت المرحلة الحاسمة لمعركة (كسر العظم) بين الطرفين.

وكانت الأنباء تضاربت بشأن الوضع العسكري في محافظة عدن خلال اليومين الماضيين، وبالذات حول سقوط بعض المواقع العسكرية والمعسكرات التابعة لقوات الحماية الرئاسية، بعد أن انقضت عليها الميليشيا الانفصالية بشدة، لتحقيق ولو بعض المكاسب على الأرض، بعد أن تمكنت قوات الحماية الرئاسية من استعادة السيطرة على مطار عدن الدولي ومعسكر جبل حديد الاستراتيجي، بعد أن ظلت تسيطر عليها الميليشيا الموالية والمدعومة من الإمارات طوال السنوات الأربع الماضية والتي كانت حجر عثرة أمام عودة الرئيس هادي إلى عدن، بسبب تهديد القوات الإماراتية له بالتصفية الجسدية في حال قرر الاستقرار في عدن، وحدثت العديد من المحاولات لاغتياله عندما حاول التمرد عن توجهه الإماراتي.

وكانت مصادر انفصالية ووسائل إعلامية ممولة من الإمارات أعلنت في البداية أن الميليشيا التابعة للمجلس الانفصالي تمكنت من السيطرة على مقر اللواء الرابع حماية رئاسية في عدن، في حين التزمت مصادر حكومية الصمت ولم تؤكد أو تنفي سقوط مقر معسكر اللواء الرابع حماية رئاسية، غير أن مصادر مقربة من المؤسسة العسكرية الحكومية، أكدت سقوط مقر هذا اللواء، نظرا لتخاذل القوات السعودية في عدن عن دعمه وتركته يواجه مصيره بنفسه، رغم قلة الامكانيات والعتاد التي يعانيها، في حين كانت الميليشيا الانفصالية مدعومة بعتاد ضخم وأسلحة إماراتية ثقيلة وحديثة.

وأرجعت هذه المصادر أسباب سقوط مقر معسكر اللواء الرابع حماية رئاسية الحكومي في أيدي ميليشيا الانفصاليين إلى عدم تكافؤ القوى، بين الطرفين وتخاذل القوات السعودية عن دعم وإسناد هذا اللواء بما يلزمه من قدرات ومعدات عسكرية ثقيلة توازي الذي زودت به الإمارات الميليشيا الانفصالية.

وأوضحت هذه المصادر أن اللواء الرابع حماية رئاسية كان قليل التسليح وليس فيه معدات عسكرية أو ذخيرة كافية لمواجهة هذا الأمر العصيب بالإضافة إلى اشتداد القصف على مقره بالأسلحة الثقيلة الإماراتية ووقوع عشرات الضحايا في صفوفه جراء ذلك، أجبرت قيادته وأفراده على اتخاذ قرار بالانسحاب التكتيكي ومغادرة مقر المعسكر لوقف نزيف الدم والحد من الخسائر البشرية بين صفوفه.

وبدت المواجهات المسلحة في محافظة عدن وكأنها معركة بين القوات الإماراتية والسعودية بأدوات محلية وأسلحة تابعة لهما، غير أن الموقف الإماراتي واضح بخصوص دعم وتمويل الميليشيا الانفصالية، في حين أن الجانب السعودي غير واضح الموقف حتى الآن، حيث يقدم قدما ويسحب الأخرى، في وضع لا يعوّل عليه في هذه المواجهة العسكرية المصيرية، التي يترتب عليها سقوط الدولة اليمنية في عملية انقلابية مكتملة الأركان ضد الحكومة الشرعية بدعم وتمويل وتسليح إماراتي، في حال سقطت مدينة عدن في أيدي الميليشيا الانفصالية. وشدّد وزير الدفاع اليمني الفريق الركن محمد المقدشي، على أهمية التزام الوحدات العسكرية في مختلف المناطق والمحاور بالمحافظات المحررة بالاستعداد لتنفيذ المهام الموكلة إليها والحفاظ على الأمن والاستقرار والسكينة العامة، والتصدي لأي «ممارسات خارجة عن النظام والقانون» في إشارة إلى المحاولة الانقلابية في محافظة عدن.

وقال المقدشي في بيان رسمي أمس الأول إن المؤسسة العسكرية «ملتزمة بمسؤولياتها الدستورية والوطنية في حماية مؤسسات الدولة والمصالح العامة والخاصة والمنشآت الحيوية، وحماية الثورة والجمهورية والمكتسبات الوطنية والسلم المجتمعي والحفاظ على النسيج الاجتماعي».

وأكد وزير الدفاع اليمني في برقية مشتركة أيضا مع رئيس هيئة الأركان العامة لفريق الركن بحري، عبد الله سالم النخعي ان ما يحدث في محافظة عدن هو «انقلاب على مؤسسات الدولة» وأعلن أن المؤسسة العسكرية بكل تشكيلاتها المسلحة ووحداتها القتالية تقف خلف الشرعية الدستورية الممثلة بالرئيس هادي، مؤكدا أن القوات المسلحة اليمنية «ستضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه المساس بأمن اليمن واستقراره ووحدته».

أنقرة تواجه فخ اتفاق منبج في شرق الفرات

تركيا تقول إنها توصلت إلى اتفاق حول المنطقة الآمنة شرق الفرات والبنتاغون يعلن عن ترتيبات مختلفة، وصيغة على مثال منبج ما تزال مطروحة.

منهل باريش

فضلت تركيا، فيما يبدو، تجريب المجرب الذي عرفته في اتفاق منبج على أن تشن حربا في منطقة شرق الفرات، خشية التورط في وضع لا تحمد عقباه كما فعلت يوم أسقطت طائرة روسية نهاية عام 2015، فما بالك أنها ستغضب أمريكا هنا.

وقرأت أنقرة رسالة وزير الدفاع الأمريكي مارك إسبر التي أرسلها الثلاثاء الماضي على محمل الجد، حين قال إن بلاده ستمنع أي توغل أحادي الجانب في شمال سوريا، واصفا العملية التركية التي هددت بها أنقرة بـ«غير المقبولة». وجاء تصريح إسبر بعد إعلان الرئيس التركي رجب طيب اردوغان قبل يومين من ذلك، أن بلاده ستشن عملية في شرق الفرات ضد وحدات حماية الشعب الكردية، وأنه أبلغ موسكو وواشنطن بخصوص ذلك.

وتزامنت المباحثات بين الجانبين التركي والأمريكي مع حملة تصريحات حول بدء العملية العسكرية في شرق الفرات وإعلان أنقرة أنها بدأت بالفعل بتفكيك أجزاء من الجدار الإسمنتي مع سوريا في منطقة تل أبيض. وجاء سيل التصريحات على مستوى الرئاسة ووزارتي الدفاع والخارجية، ووصل إلى حزب العدالة والتنمية الحاكم حيث قال الناطق باسم الحزب، عمر جليك: «لدى تركيا القدرة بمفردها على فرض المنطقة الآمنة بالقوة إذا تعذر التوصل الى اتفاق الأطراف الدولية» في إشارة إلى المفاوضات التي كانت جارية في أنقرة بين ممثلين عن الدولتين.

وأوضحت وزارة الدفاع التركية، في بيان رسمي لها، أن المرحلة الأولى تتمثل في «اتخاذ الولايات المتحدة خطوات عملية سريعة تتعلق بالمخاوف الأمنية التركية، قبل أن يتم إنشاء مركز عمليات مشتركة في تركيا خلال أقرب وقت لتنسيق وإدارة إنشاء المنطقة الآمنة في سوريا».

وكانت واشنطن قد وضعت فيتو على أي تواجد عسكري تركي في منطقة شرق الفرات، وأصرت على أن تسند أمن المنطقة إلى «قوات محلية» من العرب والأكراد الذين يقاتلون تحت لواء سوريا الديمقراطية مع مراعاة حساسية أنقرة من أسماء بعينها. ورفض الفريق العسكري التقني الأمريكي أن يكون عمق «المنطقة الأمنية» 32 ـ 35 كم كما طالب نظراؤهم الأتراك.

وتنظر واشنطن إلى أن إبعاد مقاتلي وحدات حماية الشعب الكردية عن الحدود السورية التركية سيكون كافيا لطمأنة أنقرة والتخفيف من هواجسها، وخصوصا في البلدات والقرى الحدودية الملاصقة والقريبة من الجدار الإسمنتي الحدودي الذي بنته أنقرة.

ما هو سر الـ35 كم؟

من جهتها أنقرة تصر على أن يصل عمق المنطقة الى 35 كم في بعض المناطق، والهدف الاستراتيجي التركي من ذلك هو السيطرة على والتحكم بأجزاء من طريق M4 وهو أطول الطرق السورية على الإطلاق والذي يبدأ في اللاذقية ويصل إلى حلب مخترقا ريفها الشرقي في الباب ومنبج إلى ريف الرقة الشمالي، وينتهي عند معبر اليعربية في محافظة الحسكة قرب الحدود العراقية، ومنها إلى الموصل في العراق. وتدرك أنقرة أن السيطرة عليه يعني التحكم في الحركة التجارية في شمال شرق سوريا، وتقطع أيضا الطرق بين المنطقة وبين جبال قنديل. ويلاحظ كذلك أن أغلب الانتشار الكردي في سوريا يتمركز بكثافة شمال طريق M4 وهو ما يعني تفكيك الكتلة الكردية الصلبة في أبرز مدنها بعد أن نجحت في فعل ذلك في منطقة عفرين بعد السيطرة عليها، حيث فر عشرات آلاف المدنيين هربا من العمليات العسكرية التي بدأت مع إعلان معركة «غصن الزيتون».

وتنظر واشنطن إلى أن أي توتر في شرق الفرات أو عمل عسكري مهما كان صغيرا من قبل تركيا سيعيق جهود محاربة تنظيم «الدولة الإسلامية» من جانب قوات سوريا الديمقراطية وسيحول دون منع التنظيم من استعادة أراض كان يسيطر عليها سابقا، حسب ما قال وزير الدفاع الأمريكي خلال زيارته للبايان الأسبوع الماضي.

وشكلت مسألة الانتشار التركي في شرق الفرات وعمق المنطقة نقطتا الخلاف الأبرز. فقد رفضت واشنطن دخول الجنود الأتراك إلى منطقة منبج سابقاً، واقتصر تطبيق الاتفاق على تسيير دوريات عسكرية أمريكية تركية مشتركة.

وكان الإعلان التركي عن التوصل إلى اتفاق قد دفع وزارة الدفاع الأمريكية إلى إصدار توضيحات تنفي التوصل إلى اتفاق نهائي مع أنقرة، وأشار المتحدث باسم البنتاغون شون روبرتسون الى أن محادثات ثلاثة أيام أفضت إلى تفاهم على آليات أمنية وقيادة مشتركة في أنقرة دون الحديث عن إقامة منطقة آمنة.

وقال المتحدث: «إنّ الاجتماعات العسكرية بين الجانبين الأمريكي والتركي حققت تقدما لافتا في اتجاه استحداث آليات أمنية في شمال شرق سوريا، لمعالجة مخاوف السلطات التركية». وأضاف روبرتسون أن البنتاغون «ينوي إنشاء قيادة عسكرية مشتركة في تركيا بهدف مواصلة البحث في التخطيط وآليات التطبيق»، مشدداً على أنه ملتزم بدعم حلفائه وإلحاق الهزيمة بتنظيم «الدولة». وفي سياق متصل، قالت الخارجية الأمريكية أن واشنطن تدعم «عودة أي لاجئ بشكل طوعي إلى سوريا والاتفاق بشأن المنطقة الآمنة».

ومع الإعلان الرسمي التركي التوصل اتفاق حول «ممر السلام» في عمق الأراضي السورية، علقت السفارة الأمريكية في أنقرة بتصريح نشرته على معرفاتها الرسمية بأن الوفدين التركي والأمريكي اتفقا على التطبيق السريع والإجراءات المبدئية لضمان إزالة الهواجس الأمنية التركية. وثانياً، إنشاء مركز عمليات مشترك بأقرب وقت ممكن من أجل التعاون وتطبيق إنشاء هذه المنطقة الآمنة معاً، على أن تكون هذه المنطقة معبرا (ممرا) آمنا، وبذل الجهود الممكنة ليتمكن المهجرون السوريون الانتقال إلى بلادهم.

وأتى التوافق بعد أسبوع من وصول السفير الأمريكي الجديد ديفيد ساترفيلد إلى العاصمة أنقرة، والذي تولى منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، حيث يسجل له التقريب في وجهات النظر.

هذا بخلاف ما يصف الخبراء الأتراك، من أنهم تمكنوا من انتزاع تفاهم واتفاق مع واشنطن، أو ما علق به معارضون سوريون أن أمريكا قد باعت أو تخلت عن الأكراد السوريين بعد أن انتهى دورهم. يبدو أن إمكانية تحقيق اتفاق واضح بشأن ممر السلام أمر غير قابل للتطبيق نهائياً في الوقت الحالي، خصوصا مع التوجس الأمريكي من عودة تنظيم «الدولة» إلى الحياة، إذ تأخذ واشنطن ودول التحالف فرضية نهوض التنظيم في رقعة جغرافية داخل الأراضي السورية على محمل الجد.

وهذا ما يجعلها تحافظ على شريكها المحلي المتمثل بقوات سوريا الديمقراطية. وتحتاج واشنطن إلى وحدات حماية الشعب في مطاردة الخلايا والولايات الأمنية للتنظيم، خصوصا وأنها الوحيدة من الشركاء المحليين الذي طور جناحا أمنيا لا بأس به على الأرض. وتملك كذلك قوة من النخبة القادرة على مساندة طيران التحالف في عمليات الإنزال والتي تستهدف قادة في التنظيم مختبئين هنا وهناك.

وحتى ينتهي التحالف الدولي من مهمته في سوريا فان المفاوضين الأمريكيين سيغرقون نظراءهم الأتراك بالتفاصيل وتفاصيل التفاصيل، بدون السماح لهم بدخول منطقة شرق الفرات. وهو ما خبره الأتراك قبلاً في منبج وما زالوا.

باختصار

انفجار ثان في الدنمارك في غضون أسبوع

كوبنهاغن – قالت الشرطة إن انفجارا وقع خارج مركز شرطة محلي في كوبنهاغن وهو الثاني تشهده العاصمة الدنماركية خلال أربعة أيام.
وأضافت الشرطة أنه لم يصب أحد في الانفجار الذي وقع أمام مركز شرطة متنقل في نوريبرو الواقعة خارج وسط المدينة مباشرة.
وأصيب شخص بجروح طفيفة يوم الثلاثاء في تفجير وقع أمام مكتب وكالة الضرائب فيما وصفته الشرطة بأنه هجوم متعمد.

حماس تتهم إسرائيل بارتكاب جريمة بحق شبان غاضبين من حصار غزة

غزة – قالت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إن إسرائيل «ارتكبت جريمة» أمس السبت بقتل شبان فلسطينيين «غاضبين من الحصار الإسرائيلي» على قطاع غزة.
وصرح الناطق باسم الحركة عبد اللطيف القانوع في بيان صحافي بأن «حالة الغضب والضغط التي يعيشها أبناء شعبنا بسبب استمرار الحصار على قطاع غزة يتحمل نتائجها الاحتلال».

الشرطة تطلق الغاز المسيل للدموع على متظاهري هونغ كونغ

هونغ كونغ – أطلقت الشرطة الغاز المسيل للدموع على متظاهرين مناهضين للحكومة، يحتجون في موقعين بمختلف أنحاء منطقة «نيو تيريتوريز» في هونغ كونغ، بعد انتهاء مسيرة سلمية في وقت سابق أمس السبت.
ونصب المتظاهرون متاريس وحاولوا إبعاد الشرطة، فيما حاولت شرطة مكافحة الشغب دخول مركز تسوق في منطقة «شاتين» لتفريقهم.

إيران تكشف عن منظومة دفاع جوي جديدة

طهران – كشفت إيران السبت عن منظومة دفاع جوي جديدة قادرة، وفق السلطات، على رصد طائرات مسيّرة وصواريخ في نطاق 400 كيلومتر، على ما ذكرت وكالات أنباء إيرانية.
ويأتي هذا الإعلان في ظل تصاعد التوترات في الشرق الأوسط حيث ضاعفت الولايات المتحدة في الأشهر الأخيرة من ضغوطها على إيران.

دعوى قضائية في الهند ضد قرار إلغاء الحكم الذاتي لكشمير

نيودلهي – أقام حزب رئيسي في القسم الهندي من إقليم كشمير دعوى قضائية أمام المحكمة العليا في الهند ضد قرار نيودلهي إلغاء الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به الولاية (جامو وكشمير) وتقسيمها إلى منطقتين إداريتين خاضعتين مباشرة لسلطة نيودلهي، حسب ما أورده موقع «لايف لو» للأنباء القانونية أمس.

الشرطة الروسية تعتقل سياسية من المعارضة قبيل احتجاجات

موسكو – قالت لوبوف سوبول، السياسية الروسية المعارضة وحليفة أليكسي نافالني المنتقد للكرملين، أمس السبت على وسائل التواصل الاجتماعي إن الشرطة اعتقلتها قبيل احتجاج في موسكو. وأظهر مقطع مصور على حساب سوبول على تويتر قوات الشرطة وهي تدخل مكتبها.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9631 الأحد 11 آب (أغسطس) 2019 – 10 ذو الحجة 1440 هـ

ليبيا: الأخطاء الستة التي أفشلت الحملة على طرابلس

لم تُفلح الأسلحة التي استُخدمت بدعم من قوى إقليمية ودولية في تغليب قوات الشرق الموالية لحفتر على القوات المؤيدة لحكومة الوفاق.

رشيد خشانة

يُعزى الاخفاق في كسب معركة طرابلس إلى ارتكاب حفتر وكبار ضباطه ستة أخطاء استراتيجية، كانت قاتلة للمشروع الرامي إحكام قبضتهم على طرابلس.

الخطأ الأول تمثل في المراهنة على صراعات الجماعات المسلحة في المنطقة الغربية، بعضها مع بعض، إذ كان حفتر يعتقد أن غياب قيادة عسكرية مركزية سيُضعف المقاومة في طرابلس، خاصة أن الهجوم اتسم بالمباغتة. لكن الذي حدث هو العكس، إذ تركت الجماعات خلافاتها جانبا، وواجهت القوات المهاجمة، الآتية من الشرق، مُتحدة.

تمثل الخطأ الثاني في كون حفتر لم يقرأ حسابا في خطته لقوات «البنيان المرصوص» (مصراتة) التي استطاعت امتصاص الصدمة في اليومين الأولين من الهجوم على طرابلس، وهي الصدمة التي كان حفتر يُعول عليها، متجاهلا أن تلك القوات على خبرة عالية، من خلال قتالها لعناصر «تنظيم الدولة» في سرت، وصولا إلى طردها من المدينة. كما لم يقرأ حفتر حسابا لسلاح الجو المرابط في قاعدة مصراتة الجوية ولا لقاعدة سرت، إلا في وقت متأخر جدا. وحتى بعد بدء عمليات القصف الجوي الأخيرة لقاعدة مصراتة الجوية (200 كلم شرق طرابلس)، لم يكن ضباطه يتوقعون أن ترد قوات الوفاق الفعل بقصف قاعدة الجفرة بشكل مكثف، وهي البوابة التي يعتمد عليها حفتر بشكل كلي لتعزيز وجوده غربا.

قبل تلك الغارات المتبادلة، كانت معركة غريان مرآة انعكست على صفحتها أخطاءٌ تكتيكية عدة ارتكبتها قيادات جيش حفتر، أولها التعويل على موالاة عناصر متعاطفة معها داخل المدينة، إذ اتضح أن هذه مجرد مقامرة لا سند لها، وثانيها عدم قدرتها على القيام بانسحاب تكتيكي عند الاقتضاء، إذ فرت القوات المهزومة في حالة ارتباك شديدة، تاركة خلفها أسلحة أمريكية كانت أهدتها فرنسا لحفتر، ما شكل إحراجا كبيرا لهاتين الدولتين الحليفتين.

في المحصلة، بقيت في قبضة جيش حفتر مدينة ترهونة، وفيها عناصر آتية من الشرق، وتحديدا من مدينة أجدابيا، إضافة إلى مرتزقة مُجندين من السودان (الجنجويد)، وهو ما سيحفز قوات «الوفاق» على السعي للسيطرة عليها. كما انهزمت قوات حفتر في مدينة الزاوية (45 كلم غرب العاصمة)، التي تضم مصفاة النفط الوحيدة في المنطقة الغربية، والتي لعبت دورا مهما في مقاومة كتائب القذافي إبان ثورة 17 شباط/فبراير 2011.

أما الخطأ الثالث فيتعلق بطول خطوط التموين والإمداد الوعرة، إذ اعتمد جيش حفتر على قاعدة الجفرة (650 كلم جنوب طرابلس) بوابة لاستقبال السلاح والعتاد والمُجندين، مُتفاديا الخط الساحلي السريع، لأنه سيصطدم بقوات مصراتة وسرت. ولذا كانت عمليات الدعم والإمداد صعبة ومُكلفة، فلجأ إلى شراء عناصر من غريان، مُتخذا منها قاعدة متقدمة، لمحاصرة طرابلس من الجنوب، بالإضافة إلى جناحين لمعاودة الانطلاق نحو العاصمة، وهما صبراتة–صُرمان في أقصى الغرب، وترهونة ذات الموقع الاستراتيجي، شرق طرابلس. في المقابل كانت خطوط الإمداد لقوات «الوفاق» المرابطة بين طرابلس ومصراتة، على الطريق الساحلي، قصيرة وسالكة في غالب الأوقات، إضافة لاستخدامها مطار قاعدة بني وليد أيضا.

الخطأ الرابع جسدته الغارات المتكررة على أهداف مدنية، ومنها الغارة الليلية على مركز احتجاز المهاجرين غير الشرعيين في تاجوراء، التي دانتها الأمم المتحدة والدول المعنية بالصراع في ليبيا، بأقصى الشدة، بالرغم من اعتراض الولايات المتحدة على إصدار بيان إدانة من مجلس الأمن. وكانت تلك الغارة الاستهداف الثاني الذي يتعرض له مركز الإيواء التابع لوزارة الداخلية في حكومة الوفاق. والأرجح أن قوات حفتر كانت تستهدف معسكر الضمان في تاجوراء، القريب من مركز تجميع اللاجئين، وهو يحتوي على أسلحة وذخائر، إلا أنها وقعت في مقلب بعد استدراجها إلى هدف مدني. وهكذا باتت الغارة، التي كان يُراد من ورائها الانتقام من هزيمة غريان، عبئا سياسيا وأخلاقيا تنوء به صورة حفتر وجيشه في الإعلام الدولي.

استهداف المستشفيات

كأن تلك العملية الوحشية لم تكن كافية، فأردفها ضباط حفتر بغارة أخرى استهدفت مستشفى ميدانيا في جنوب طرابلس، على طريق المطار، يوم 27 تموز/يوليو الماضي، ما أدى إلى قتل خمسة أطباء وجرح ثمانية أشخاص. وسبقتها غارتان على مستشفى في منطقة السواني (25 كلم جنوب طرابلس)، ما حمل منظمة الصحة العالمية إلى دعوة القوى المتحاربة إلى النأي عن استهداف المستشفيات والمراكز الطبية.

وتلت تلك الضربات غارة جوية على حي القلعة في مدينة مُرزُق (جنوب)، أوقعت أكثر من 42 قتيلا، ما زاد من تأليب الرأي العام في الداخل والخارج ضد حفتر وجيشه. من هنا يجوز القول إنه خسر الحرب المعنوية، مثلما خسر المعركة العسكرية، بتوقف قواته عند التخوم الجنوبية للعاصمة.

لكنه حقق هدفا سياسيا مهما بقطع الطريق أمام مشروع الملتقى الوطني، الذي كان مُقررا عقْدُه في غدامس بين 14 و16 نيسان/أبريل الماضي، واستطرادا فقد أجهض أيضا مبادرة رمت لتوحيد المؤسسة العسكرية، باعتبارها جزءا من مشروع غدامس. وتعود هذه المبادرة إلى 2016 بمشاركة عسكريين من المنطقتين الشرقية والغربية. وفي إطارها وُضع مشروع تضمن المبادئ الحاكمة للمؤسسة العسكرية، بما في ذلك البنية التنظيمية، وتشكلت لجنتان للاتصال بالعسكريين في داخل ليبيا وخارجها كي ينضموا إلى المبادرة، لكنها قُبرت في المهد. أما الخطأ الخامس فهو الإخفاق الإعلامي، الذي ترتب على التصريحات المتضاربة للقادة العسكريين الموالين لحفتر، الذين أكدوا أكثر من مرة أنهم على بعد 10 كيلومترات من وسط طرابلس، مستخدمين خطابا يُوجج النعرات القبلية والمناطقية. ومن الأمثلة على الخطاب الإعلامي الفاشل الكلمة المُتلفزة التي ألقاها حفتر يوم 24 الشهر الماضي، وأعلن فيها أن «الجيش سيرفع راية النصر في قلب العاصمة طرابلس قريبا». متى «قريبا»؟ لم يُحدد حفتر إن كان الأمر يستغرق أياما أم أسابيع أم، ربما، أشهرا... غير أن المؤكد هو أن قصف الأحياء السكنية «خُطفت» بعد ساعات من وصولها المدينة في 18 تموز/يوليو الماضي. كما تعرض زوجها الذي كان يُرافقها إلى الاعتداء وأصيب بطلق ناري في ساقه. وكل بنغازي على علم بأن النائب مختطفة لدى عناصر «الأمن الداخلي» وهو الجهاز الذي يأتمر بأوامر حفتر، وأن ذنبها الوحيد هو تصريحات أدلت بها لإحدى القنوات الموالية لحفتر إبان عودتها من القاهرة إلى بنغازي.

من هنا يبدو النظام الذي شيده حفتر في إقليم برقة، متناغما مع استراتيجيات قوى دولية وإقليمية تخشى من انتشار موجة الحراك السياسي والاجتماعي، الداعي إلى الإصلاح والحريات في العالم العربي. ففرنسا على سبيل المثال تخشى على أمن الأنظمة القائمة في مستعمراتها السابقة، في منطقة الساحل والصحراء. ولذلك تقف باريس خلف حفتر، لفرض قبضة حديدية، تمنع قيام ديمقراطية في ليبيا، مثلما يخشى الفرنسيون أيضا من تداعيات انتصار الثورة السلمية في الجزائر. بهذه الخلفية تقدم تلك الدول والقوى الإقليمية والدولية السلاح والعتاد والتدريب لقوات حفتر كي تقوم حاجزا يحتوي تمدُد رياح التغيير من تونس والجزائر نحو الشرق والخليج.

وفي هذا السياق أكد الموفد الأممي إلى ليبيا غسان سلامة، في إفادته يوم 28 الماضي، أمام مجلس الأمن أن «الدعم الخارجي كان عاملا أساسيا في زيادة الضربات الجوية وتأجيج الصراع داخل ليبيا». وأوضح في الإفادة نفسها أن «السلاح المستورد الذي دخل البلاد، رافقهُ مقاتلون وطيارون وفنيون أجانب». أكثر من ذلك، خلص التقرير الذي قدمته هيئة خبراء الأمم المتحدة إلى مجلس الأمن الدولي، في الشهر الماضي، إلى أن الحكومة القائمة في الشرق والموالية لحفتر تعمل على بيع النفط الخام لحسابها، ما يجعلها تنضم إلى نادي المهربين، وتدخل تحت طائلة العقوبات الأممية. وإذا كانت الحكومة تتصرف بهذه الطريقة الخارجة عن القانون، فكيف ستكون تصرفات الجيش العامل تحت إمرتها؟

خمس سنوات من الاستبداد

على مدى السنوات الخمس الأخيرة، استطاع حفتر أن يقضي على أنفاس القوى المدنية، إن كانت صحفا ومحطات إذاعية وتلفزيونية خاصة، أم جمعيات مدنية أم أحزابا سياسية. وتم استهداف النساء الناشطات بشكل خاص، بوسائل الترهيب والابتزاز والسجن. وبينما يُثني مناصروه على دوره في فرض الأمن في المنطقة الشرقية، تتكرر عمليات اختطاف شخصيات عامة من أجل نقدها للنظام السياسي الذي فرضه، وآخرها المحامية وعضو مجلس النواب عن مدينة بنغازي، سهام سرقيوه، التي

من معركة طرابلس

Volume 31 - Issue 9631 Sunday 11 August 2019

السودان: جهود دبلوماسية مكثفة قبيل تشكيل هياكل الحكم الانتقالي

حسب الجدول الذي تم الاتفاق عليه بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير، فإن تكوين المجلس السيادي سيكون في هذا الشهر ويعني ذلك حل المجلس العسكري.

الخرطوم – «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

يبذل السودانيون جهودا مكثفة لشرح مبادئ الاتفاق الذي تم في الرابع من هذا الشهر بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير والذي تم بموجبه طي صفحة الخلافات بين شركاء الثورة التي أطاحت بحكم البشير.

ومنذ أن تم في العاصمة السودانية الخرطوم الأحد الماضي التوقيع على الوثيقة الدستورية يشهد السودان حراكا مكثفا على المستوى الداخلي تمثل في لقاءات مع ممثلي البعثات الدبلوماسية وزيارات لمبعوثين أجانب للخرطوم.

ونصت الوثيقة الدستورية على وضع سياسة خارجية متوازنة تحقق المصالح الوطنية العليا للدولة وتعمل على تحسين علاقات السودان الخارجية وبنائها على أسس المصالح المشتركة بما يحفظ سيادة البلاد وأمنها وحدودها.

وأوضح نائب وزير الخارجية الأمريكي للشؤون السياسية ديفيد هايل، خلال مؤتمر صحافي عقده في الخرطوم رغبة بلاده في التعاون مع الحكومة المدنية المقبلة في السودان في عدة مجالات أبرزها حقوق الإنسان وحرية الديانة ومكافحة الإرهاب، مضيفا أن هذه المحاور متصلة بتحقيق السلام في الداخل والاستقرار السياسي وإنعاش الاقتصاد.

وأعلن المسؤول الأمريكي أن بلاده ملتزمة بمساعدة الشعب السوداني وحكومته المدنية المرتقبة، مشيرا إلى أن أمريكا والمجتمع الدولي سيسهمون بشكل مباشر في تحقيق التحول الديمقراطي في السودان وإرساء دعائم المسؤولية والمحاسبة اللذين التزمت بهما كل المكونات المشاركة في الحكومة الانتقالية المقبلة.

وقال المبعوث البريطاني الخاص إلى السودان، روبرت فيرويذر، إن بريطانيا ستواصل دعمها للسودان لمواجهة التحديات التي ستواجه الحكومة المدنية الانتقالية، والتقى المبعوث البريطاني برئيس اللجنة السياسية بالمجلس العسكري، شمس الدين كباشي، وأعرب عن ترحيب بلاده بالاتفاق الذي توصل إليه المجلس وقوى الحرية والتغيير.

واستمرارا لدعم الدول الأوروبية لانتقال السلطة المدنية، أعلن المبعوث الألماني والمدير العام لإدارة شؤون افريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأدنى والشرق الأوسط بوزارة الخارجية الألمانية، فليب أكرمان، مواصلة بلاده دعم عملية السلام في السودان، ومساعدته على تجاوز تحدياته الاقتصادية، جاء ذلك لدى لقائه نائب رئيس اللجنة السياسية بالمجلس العسكري، ياسر العطا.

والتقى المسؤول الألماني بالسفير محيي الدين سالم الوكيل المساعد بالإنابة بوزارة الخارجية وتلقى شرحا وافيا لوثيقة الإعلان الدستوري ومهام الفترة الانتقالية بالتركيز على قضيتي احلال السلام والعدالة الوضع الاقتصادي ودعا سالم ألمانيا لدعم السودان وتعزيز التعاون بين البلدين على المستوى الثنائي وعلى مستوى الاتحاد الأوروبي وداخل مجلس الامن معربا عن شكر السودان لجهود الشركاء.

على صعيد متصل، التقى رئيس اللجنة السياسية بالمجلس العسكري الانتقالي الفريق شمس الدين الكباشي السفراء الأجانب وممثلي المنظمات الإقليمية والدولية بالخرطوم وقدم شرحا للاتفاق الذي تم بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير ممثلا في وثيقتي الاتفاق السياسي والوثيقة الدستورية. واشتمل الشرح على المرحلة المقبلة خاصة مهام ومستويات الحكومة الانتقالية والجهود التي سوف تبذل لإحلال السلام ومعالجة المشكلة الاقتصادية.

وعلى صعيد قوى الحرية والتغيير، التقى رئيس حزب المؤتمر السوداني، عمر الدقير والأمين العام للحزب وأمين العلاقات الخارجية في العاصمة الخرطوم، بسفراء وممثلي بعثات كينيا وجنوب افريقيا ونيجيريا ورواندا والهند وإندونيسيا وماليزيا والبرازيل وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا.

وقدم الدقير تنويراً حول الوثيقة الدستورية الانتقالية الذي وقعتها قوى إعلان الحرية والتغيير مع المجلس العسكري، وتحدث عن تحديات المرحلة الانتقالية والدور الذي تنطلع إليه من دول المحيط الإقليمي والدولي، ودار نقاش تناول التحديات السياسية والاقتصادية التي تواجه السودان في الفترة المقبلة.

ويرى الخبير الدبلوماسي الرشيد أبو شامة، أن السودان في أشد الحاجة لتنشيط جهوده الدبلوماسية والإعلامية من أجل الحصول على كافة أنواع الدعم في المرحلة المقبلة للخروج من العثرات والعزلة التي أدخله فيها النظام السابق، مشيرا إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه الملحقيات في سفارات السودان بالخارج.

وأضاف لـ«القدس العربي» أن هناك العديد من الملفات التي يمكن البدء بها في المرحلة الأولى وفي مقدمتها إحلال السلام وإنهاء أو تخفيف الأزمة الاقتصادية، مشيرا إلى الوعود الأمريكية برفع اسم السودان عن قائمة الدول الراعية للإرهاب وارتباط هذا الملف تحديدا بالوصول مع الحركات المسلحة لتسوية تطوي ملف الحرب نهائيا، وطالب الجبهة الثورية بالدخول في عملية السلام والتنازل عن بعض المطالب التي يصعب تحقيقها في الوقت الراهن على حد تعبيره.

ويرى المصدر أن أبناء السودان العاملين في المنظمات الإقليمية والدولية قادرون على دعم بلادهم والاستفادة من جهود وعون تلك المنظمات وأضاف: «حسب معلوماتي أن تجمع المهنيين لديه عناصر موجودة في مواقع مهمة ولديهم برنامج واضح للاستفادة من هذا الملف، يضاف إلى ذلك ما تم الإعلان عنه من كثير من السودانيين الموجودين في الخارج لدعم بلادهم في كافة المجالات».

وتشهد الخرطوم نشاطا واسعا هذا الشهر ومن المتوقع أن يتم التوقيع النهائي على الإعلان الدستوري في السابع عشر من هذا الشهر بحضور رؤساء دول وشخصيات في المنظمات الدولية والإقليمية، وحسب الجدول الذي تم الاتفاق عليه بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير، فإن تكوين المجلس السيادي سيكون في الثامن عشر من آب/أغسطس ويعني ذلك حل المجلس العسكري.

وفي التاسع عشر من الشهر الجاري يؤدي أعضاء مجلس السيادة القسم أمام رئيس القضاء على أن يعقد المجلس أول اجتماعاته في اليوم نفسه، وبعد يوم واحد من تكوين مجلس السيادة يتم تعيين رئيس الوزراء من جانب مجلس السيادة، على أن يؤدي القسم في الحادي والعشرين من الشهر نفسه.

وبحلول اليوم الأول من الشهر المقبل، يطوي السودانيون ثمانية أشهر من الاحتجاجات التي أنهت ثلاثين سنة من حكم العسكر والإسلاميين بقيادة البشير الذي قاد انقلابا عسكريا على النظام الديمقراطي في الثلاثين من حزيران/يونيو 1989كما تنتهي أربعة أشهر على الفراغ الدستوري والتنفيذي الذي نتج عن سقوط حكومة الإنقاذ في الحادي عشر من نيسان/أبريل الماضي.

هل «الوحي» الأمريكي وراء الحلحلة السياسية

حذّر بيان السفارة من التدخل في القضاء بخلفية سياسية، مؤكداً أن أي محاولة لاستغلال حدث قبرشمون بهدف تعزيز أهداف سياسية يجب ان يتم رفضه.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

التطورات السياسية هذا الأسبوع حملت مشهدين متناقضين: تصعيد سياسي إلى أعلى السقوف من رئيس الجمهورية ميشال عون والحزب التقدمي الاشتراكي والتيار الوطني الحر ثم حلحلة سياسية مفاجئة على طريقة إشتدي أزمة تنفرجي.

وقد تساءل كثيرون عن سرّ السحر السياسي وكيف بسحر ساحر تحللت العقد وانطوت الشروط والشروط المضادة بعدما كادت الأمور تبلغ حد الهاوية؟ وسخر بعض الناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي كيف تراجع رئيس الجمهورية ورئيس التيار الوطني الحر ورئيس الحزب الديمقراطي الأمير طلال ارسلان عن سقوفهم العالية فجأة وقبلوا بإجراء مصالحة في بعبدا علماً أن الرئيس عون كان أعلن قبل أيام عن أنه ليس شيخ عشيرة ليرعى مصالحة عشائرية؟

لدى بعض المتابعين تفسير وحيد لهذا الانقلاب وهو بيان السفارة الأمريكية الذي دلّ على أن فبركة ملف سياسي قضائي للزعيم الدرزي وليد جنبلاط والتعرّض له هو خط أحمر، وعلى خلفية التلويح بملاحقة الزعيم الدرزي وصولاً حتى إلى سجنه، حذّر بيان السفارة من التدخل في القضاء بخلفية سياسية، مؤكداً «أن أي محاولة لاستغلال الحدث المأساوي الذي وقع في قبرشمون بهدف تعزيز أهداف سياسية يجب ان يتم رفضه» مطالبا «السلطات اللبنانية بأن تتعامل مع هذا الأمر بطريقة تحقق العدالة بدون تأجيج نعرات طائفية ومناطقية بخلفيات سياسية».

وفي وقت كان مجلس الوزراء معطلاً على مدى 40 يوماً بسبب شرط إحالة حادثة البساتين ـ قبرشمون على المجلس العدلي، فإن الحكومة ستنعقد من دون إدراج بند المجلس العدلي على جدول الأعمال. وسخر الناشط في قوى 14 آذار طوني أبي نجم من التصعيد السياسي للوزير باسيل وسخر منه قائلاً «يا ربّ الوزير جبران باسيل يستدعي السفيرة الأمريكية بلبنان ويبلّغها اعتراضاً شديد اللهجة بسبب البيان الصادر عن السفارة». أما مستشار اللواء أشرف ريفي أسعد بشارة فربط بين الحلحلة المفاجئة وبين بيان السفارة بقوله «بيان السفارة الأمريكية يُختصَر بثلاث كلمات: إنتبه وين رايح؟ وهيئتو إنتبه».

وكانت الأجواء التي سبقت الحلحلة المفاجئة أفادت أن لا جلسة وشيكة لمجلس الوزراء ولا في الأسبوع المقبل على اعتبار ان الرئيس سعد الحريري سيغادر إلى واشنطن، وأن رئيس مجلس النواب نبيه بري أطفأ محركاته بعد موقف رئيس الجمهورية من رفض المصالحة العشائرية والذي اعتبر أن المقصود بالكمين هو الوزير باسيل وليس الوزير صالح الغريب، وعلى اعتبار أن المدير العام للأمن العام اللواء عباس ابراهيم استنفد كل وساطته.

غير أن «الوحي» الذي كان يهبط من الشرق وتحديداً من دمشق يبدو أنه هبط من الغرب وتحديدا من واشنطن فهبّت رياح التفاؤل، وقام الحريري بزيارة بعبدا وانضم إلى الاجتماع اللواء ابراهيم ليخرج الحريري مبتسماً لأول مرة منذ تعطّل جلسات مجلس الوزراء في 2 تموز/يوليو، وأثمرت الاتصالات لقاء مصارحة ومصالحة ضمّ كلاً من عون وبري والحريري وجنبلاط وارسلان تمهيداً لإسقاط الحق الشخصي في حادثة البساتين من قبل مناصري ارسلان بعدما سبق لجنبلاط أن أسقط الحق الشخصي لمناصريه في حادثة الشويفات قبل أكثر من سنة.

يبقى أن مصالحة جنبلاط وارسلان ستترك تأثيراتها الإيجابية على الوضع في الجبل على الصعيد الدرزي الدرزي أولاً وعلى الصعيد الدرزي المسيحي ثانياً بعدما شهد الوضع في الشوف وعاليه منذ بداية تموز/يوليو حالة من القلق على مصالحة الجبل التاريخية التي رعاها البطريرك مار نصرالله بطرس صفير مع الزعيم وليد جنبلاط في آب/اغسطس من عام 2001 في ظل النبرة العالية للوزير باسيل التي استنفرت مناصري جنبلاط وكادت تتسبّب بنبش قبور الماضي مع مسيحيي الجبل لولا مسارعة رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع إلى التدخل داعماً زعيم المختارة ورافضاً أي محاصرة له، الأمر الذي أراح الوضع في الجبل ونقله من صراع درزي مسيحي إلى صراع سياسي.

وعلمت «القدس العربي» أن عائلة المغدور رامي سلمان الذي سقط ضحية في حادثة البساتين في موكب الوزير صالح الغريب كانت وجّهت رسالة معبّرة إلى زعماء طائفة الموحدين الدروز داعية للتهدئة والتعقّل وجاء فيها «نحن عائلة الشهيد رامي أكرم سلمان. الألم ألمنا، والجرح جرحنا، والفقيد فقيدنا، ورغم كل ذلك نريد ونسعى للتّهدئة. لا نحب التّكلم بالطائفيّة، لكن لا نقبل أن تصوّب بندقيّة أي إنسان درزي على إبن طائفته أو غيره، ونتمنّى أن تنتهي القصّة هنا، وتكون دماء المرحوم رامي والمرحوم سامر رسالة لتهدئة النّفوس».

المفاجئة في لبنان بعد النبرة والسقوف العالية؟

انتقادات لاذعة لتقرير إنجازات حكومة بغداد

الواقع الذي يلمسه العراقيون والمعارضة السياسية، يؤكد استمرار تراكم الأزمات في البلد.

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

شكّل تقرير حكومة عادل عبد المهدي عن نسبة إنجاز برنامجها الوزاري للأشهر الستة الماضية، وتصريحاته عن استقرار وتقدم العراق، فرصة ذهبية لخصومه، لشن حملة تشكيك حول مدى دقة الأرقام الواردة في التقرير وتناقضها مع مؤشرات الواقع المتدهور التي يحفل بها البلد، ما شكل ضربة قوية لادعاء الحكومة.

وكثيرة هي محاولات رئيس الوزراء عادل عبد المهدي إعطاء صورة وردية للواقع العراقي وإبراز إنجازات تحققت في فترة حكومته، سواء في التقرير الحكومي أو في تصريحاته، ومنها إعلانه خلال استقباله وزيري خارجية مصر والأردن أن «العراق يشهد استقرارا ووحدة وطنية ويحقق خطوات متسارعة في جميع المجالات وينتهج سياسة انفتاح على جميع دول الجوار العربي والإسلامي» إلا أن الواقع الذي يلمسه العراقيون والمعارضة السياسية، يؤكد استمرار تراكم الأزمات في بلدهم.

وفي الوقت الذي كشف فيه تقرير لكتلة الحكمة المعارضة أن نسب الإنجاز الواردة في التقرير الحكومي نصف السنوي البالغة 79 في المئة «غير دقيقة وتشوبها مغالطات وتناقضات كثيرة» فإن المتابعين استغربوا التناقضات في تصريحات وتقرير الحكومة، بالمقارنة مع التدهور الحاصل في الأوضاع العامة للبلاد الذي أقرت به وحذرت منه معظم القوى السياسية والمتظاهرين وحتى المرجعية الدينية في النجف. وعندما جاء عبد المهدي بتشكيلة حكومته، عرض برنامجا لمواجهة مشاكل العراق، يرى العراقيون والسياسيون أن ما تم تطبيقه منه في الواقع، أقل بكثير مما وضع على الورق.

ففي ملف «استقلالية القرار العراقي» وإحداث توازن في علاقات العراق بلبدان محيطه الإقليمي والدولي، أثبتت حكومة عبد المهدي تمسكها بالتحالف القوي مع إيران على حساب علاقاتها العربية والدولية، عندما أعلنت مرارا عدم التزامها بالعقوبات الأمريكية على إيران، بل وفتح الكثير من الآفاق الجديدة للتخفيف من الحصار على طهران، وكذلك عندما خالفت الاجماع العربي والإسلامي ضد إيران في مؤتمرات السعودية الأخيرة، وغيرها من المواقف. كما أن سياسة بغداد دفعت واشنطن إلى فرض عقوبات على مؤسسات وشخصيات عراقية على علاقة مع إيران وتورطها في الفساد المالي وانتهاكات حقوق الإنسان، وذلك للحد من النفوذ الإيراني في العراق.

ومن القضايا الحساسة التي تعهد بها رئيس الوزراء، عزمه على ضبط سلاح الميليشيات وإخضاع فصائل الحشد الشعبي للدولة، وقد أصدر أوامر لضم تلك الفصائل إلى القوات المسلحة الرسمية، إلا أن العديد منها رفض تنفيذ القرار وأكد تمسكه باستقلاليته وخاصة ما يتعلق بتحالفها مع إيران، وجعل علاقتها بالحكومة لمجرد الحصول على المال والسلاح والتجهيزات.

إلا ان الضربة القاصمة لادعاء حكومة بغداد، جاءت من المتحدث باسم ميليشيا النجباء نصر الشمري، عندما كشف خلال لقائه مستشار قائد الثورة الإسلامية الإيراني للشؤون العسكرية اللواء يحيى صفوي، إن «الحركة تراقب جميع القواعد العسكرية الأمريكية في العراق» مهددا بأن «أي حكومة عراقية تعمل ضد إيران ستسقط في غضون أسابيع». كما أكد علي سعيدي، ممثل المرشد الأعلى الإيراني في الحرس الثوري، على «نية بلاده تشكيل حرس ثوري عراقي على غرار الحرس الثوري في إيران، وأن هذه القوات يتم تشكيلها وتدريبها على يد خبراء الحرس الثوري بالعقيدة والمنهج».

وبخصوص تعهد البرنامج الحكومي بالقضاء على تنظيم «داعش» في العراق، فقد شهدت معظم المناطق المحررة من التنظيم، عودة للنشاط الإرهابي وتنفيذ عمليات تفجيرات في المدن وعلى الطرقات ومهاجمة مواقع أمنية وقرى نائية، وذلك بالرغم من إطلاق العشرات من الحملات العسكرية لمطاردة التنظيم في مناطق تواجده وتنفيذ حملات الاعتقالات ضد المشتبه بتعاونهم معه، والتي أخفقت كلها في الحد من نشاطه، وهو الأمر الذي اقر به مفتش عام وزارة الدفاع الأمريكيّة عندما أعلن في تقريره «أنّ تنظيم الدولة الإسلامية عزز قدراته في العراق مؤخرا».

الشرطة العراقية تتصدى لتظاهرة مطلبية

وتطول قائمة مؤشرات فشل معالجة حكومة عادل عبد المهدي للأزمات، منها تصدير الإقليم للنفط بدون تسليم عائداته للمركز، واحتجاز إيران سفينة تهرب النفط العراقي في الخليج العربي، وكان رد بغداد بمثابة (عذر أقبح من ذنب) عندما أعلنت وزارة النفط عدم عائدية السفينة لها ولكنها لم تذكر كيف حصلت على النفط العراقي، لأنها تتعلق بتورط أحزاب ومسؤولين بعمليات تهريب مستمرة للنفط العراقي وبرلمان خارجية معروفة للمحافظة على حكومته من السقوط، ولو كان ذلك على حساب معالجة تدهور أوضاع البلد، وهو الأمر الذي يعزو المراقبون له إقدام عبد المهدي على إلغاء مؤتمره الصحافي الأسبوعي، تجنبا لكثرة الاسئلة المحرجة من الصحافيين عن عجز حكومته إزاء مشاكل البلد وأزماته.

العامة لهذا العام، نسبة نجاح متدنية وغير مسبوقة، أثارت حملة انتقادات للحكومة، جراء فشل التعليم وعودة الأمية لشريحة كبيرة من الشباب والأطفال. وهناك سيل لا ينقطع من المشاكل المزمنة الأخرى مثل البطالة وعدم إعمار المدن المدمرة وملايين النازحين وتردي الخدمات الصحية والبلدية وغيرها الكثير، الذي يعرفه العراقيون.

وازاء ذلك، لم تكن مستغربة اتهامات خصوم عادل عبد المهدي له، بعجزه عن حل أزمات العراق، وأن برنامجه الوزاري وأغلب تصريحاته هي تنظير بعيد عن الواقع الذي يعيشه الشعب، وانه يسعى لإرضاء الأحزاب المتحكمة بالبرلمان وأطرافا خارجية معروفة للمحافظة على حكومته من السقوط، ولو كان ذلك على حساب معالجة أزمات العراق، وأن برنامجه الوزاري لم يتذكر كيف حصلت على النفط العراقي، سجن في بغداد قبل أيام بمسرحية هزيلة متكررة فضحت اختراق الأجهزة الأمنية من قبل مافيات الفساد والمخدرات والإرهاب. ومن جانب آخر كشفت نتائج الامتحانات

ثلاث عواقب من وقف العمل بمعاهدة الصواريخ متوسطة المدى

تساور موسكو الهواجس من تداعيات وقف سريان مفعول المعاهدة، واحتمالات العودة إلى نشر الصواريخ في أوروبا، كما كان عليه الحال في الحرب الباردة.

فالح الحمراني

بعد ان تجاهلت واشنطن وموسكو دعاوى بعضهما على البعض الآخر بشأن الالتزام بأحكام المعاهدة التي تشكل أحد أعمدة الأمن الدولي، شهدت الساحة السياسية العالمية في الثاني من آب/أغسطس الحالي، حدثا قد تنطوي تداعياته على نتائج خطيرة، بما في ذلك على منطقة الشرق الأوسط، ويدفع لتفعيل عملية العودة إلى سباق التسلح، ويعمق من جديد الانقسام الدولي، ويضع العالم، كما كان في الحرب الباردة السابقة، تحت هراوة استخدام أسلحة الدمار الشامل. وتبقى معاهدة سالت 3 الموقعة عام 2010 الوحيدة سارية المفعول بين روسيا والولايات المتحدة بصدد الحد من الأسلحة النووية الاستراتيجية.

بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية أوقف في الثاني آب/أغسطس سريان مفعول معاهدة تصفية الصواريخ المتوسطة والقريبة المدى، التي أبرمها الرئيسان حينها الأمريكي رونالد ريغان، والسوفييتي ميخائيل غورباتشيف في واشنطن عام 1987. وكان الرئيس الأمريكي الحالي ترامب قد أعرب في العام الماضي عن نيته الانسحاب من هذه الاتفاقية، وانهال على موسكو بوابل من التهم بانتهاك هذه الاتفاقية. فيما قال وزير الخارجية الأمريكية بهذا الصدد: «في 2 شباط/فبراير منحت الولايات المتحدة روسيا نصف عام للعودة إلى تنفيذ معاهدة الأسلحة النووية متوسطة المدى» وزعم ان روسيا رفضت ذلك. لهذا فان سريان مفعول المعاهدة ينتهي مع انتهاء المهلة التي حددتها واشنطن في الثاني من آب/اغسطس الحالي. وحسب تقديره: «أن روسيا وحدها تتحمل المسؤولية عن ذلك».

ويرى المحللون أن خروج الولايات المتحدة من المعاهدة سيؤدي إلى ثلاث عواقب سلبية على الأمن الدولي: أولا: سيتم انزال ضربة منهجية في النظام القائم على الرقابة على الأسلحة النووية، وثانيا: سيؤدي هذا إلى تعقد الأوضاع في أوروبا، وآسيا، ومنطقة آسيا - المحيط الهادي، وثالثا: سيكون من الصعب عقب إضعاف الرقابة على الأسلحة، إقامة نظام مؤتمن في مجال التكنولوجيات.

وفي الرد على تجميد الولايات المتحدة مشاركتها في الاتفاقية، وقع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في الرابع من آذار/مارس الماضي على مرسوم يقضي بوقف موسكو تنفيذ أحكام معاهدة تصفية الصواريخ متوسطة وقريبة المدى. وكانت روسيا باعتبارها الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي ملزمة بالامتثال لأحكام هذه المعاهدة. ويذكر ان هذه المعاهدة حظرت على الطرفين إنتاج ونشر وتطوير الصواريخ البالستية والمجنحة ذات المرابطة الأرضية مدى من 500 إلى 5500 كم، وحظرت كذلك نشر وتطوير وإنتاج منصات إطلاقها. وأفادت روسيا أنها وحتى حتى عام 1991 قامت بتصفية 1846 صاروخا من هذا النوع. واكتفت الولايات المتحدة بتصفية 846 وأبقت جزءا من ترسانتها لأغراض التدريب، وقامت بتفكيك الرؤوس من الصواريخ البالستية التي لم تجر تصفيتها. وتلزم اتفاقية معاهدة تصفية الصواريخ المتوسطة والقريبة المدى الاتحاد السوفييتي السابق وروسيا حاليا تصفية صواريخ «أر سي دي - 10» و «بي - 12» و «بي - 14» البالستية، والمجنحة ذات المرابطة الأرضية «بي كي - 55» و «أوتي بي - 22 و «أوتي بي 23 اوكا». فيما فرضت على الجانب الأمريكي تصفية صواريخ « بيرشينغ –أي» و«بيرشينغ - 2» البالستية، والصواريخ المجنحة «توماهوك» ذات المرابطة الأرضية.

وتنحصر دعاوى واشنطن بصدد عدم مراعاة موسكو أحكام المعاهدة، على إنتاج موسكو لصاروخ مجنح من طراز 9M729. وتؤكد واشنطن ان هذا الصاروخ حلق خلال إجراء التجربة عليه في ميدان «كابوستين ياره» إلى مدى أبعد من 500كم، فيما تصر روسيا على أن أقصى مدى لهذا الصاروخ هو 480 كم. وكانت موسكو من جانبها قد لفتت أنظار واشنطن إلى الطائرات الضاربة، من دون طيار التي تماثل وفق تقديرها، الصواريخ متوسطة المدى. وتشير روسيا أيضا إلى ان الولايات المتحدة تستخدم، خلال أجراء تجارب على نظام الدفاع المضاد للصواريخ، صواريخ تتمتع بمواصفات الصواريخ متوسطة المدى. وأبدت موسكو في 2014 اعتراضها على نشر النظام المضاد للصواريخ في رومانيا وبولندا، التي حسب رأيها يمكن ان تنتهك أحكام المعاهدة المثيرة للجدل. وتساور موسكو الهواجس من تداعيات وقف سريان مفعول المعاهدة، واحتمالات التحركات الأمريكية بعد ذلك، وخاصة العودة إلى نشر الصواريخ في أوروبا، كما كان عليه الحال في الحرب الباردة. ولم يستبعد نائب وزير الخارجية الروسية سيرغي ريابكوف احتمال نشر روسيا الصواريخ التي حظرتها المعاهدة، ردا على نشر أمريكا مثل تلك الصواريخ. ويرجح المراقب العسكري لصحيفة «نيزافيسيمايا غازيتا» أن الولايات المتحدة ستنشر هذا النوع من الصواريخ بالقرب من الحدود الروسية: في الشرق الأقصى، في اليابان وكوريا الجنوبية. وفي مسرح العمليات القتالية الأوروبي يمكن أن تنشرها في خط طويل بين بحرين: من البلطيق إلى البحر الأسود، وكذلك في النرويج. ويمكن ان ترد روسيا على ذلك بنشر أنظمة صواريخها البالستية والمجنحة، في فنزولا والهندوراس وكوبا، وكذلك في أقصى الشرق الروسي.

صواريخ روسية

وضمن هذا السياق أشار الرئيس فلاديمير بوتين خلال اجتماعه بأعضاء مجلس الأمن الروسي إلى ان بلاده، وعندما تتأكد من أن الولايات المتحدة انتهت من تطوير وإنتاج صواريخ متوسطة وقريبة المدى، ستضطر للبدء في تطوير صواريخ مماثلة. وأضاف: أن الوسائل المتوفرة لدى روسيا في الوقت الحالي: من الصواريخ ذات المرابطة الجوية من نوع «X-101» و «كينجال» ذات المرابطة البحرية و «كاليبر» علاوة على المنظومات الواعدة بما في ذلك الأنظمة ما فوق الصوت من نوع «تسيركون» ستؤمن الرد على التهديدات الفعلية التي ستتعرض لها روسيا جراء خروج الولايات المتحدة الأمريكية من المعاهدة. وقال بوتين «إن مسؤولية ما حدث يقع بالكامل على الجانب الأمريكي». وكلف الرئيس الروسي وزارتي الدفاع والخارجية، ومؤسسة الاستخبارات الخارجية الروسية، بمراقبة خطوات الولايات المتحدة اللاحقة، بتطوير الصواريخ المتوسطة والقريبة المدى ونشرها. وحسب رأيه فإن تحرك الولايات المتحدة الذي أفضى إلى تصفية القاعدة التي يقوم عليها الأمن وزعزعة القاعدة التي يقوم عليها الأمن العالمي بما في ذلك معاهدة الأسلحة الهجومية الاستراتيجية ومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية». ومثل هذا السيناريو، كما يؤكد بوتين، «يعني استئناف سباق التسلح من دون رادع، ولتجنب الفوضى، التي لا توجد فيها قواعد وقيود وقوانين، يجب علينا على مرة أخرى أن نزن جميع العواقب الخطيرة المحتملة وبدء حوار جاد». وأضاف: إن روسيا مستعدة لذلك».

وأحدث وقف سريان مفعول المعاهدة على وجه السرعة استقطابا دوليا واضحا. وضمن هذا السياق اتهم الأمين العام لحلف الناتو بينس ستولتينبيرغ روسيا «بالاستخفاف» بالقواعد والمعايير، مما أدى، في رأيه، إلى وقف سريان مفعول المعاهدة. وقال: «إن الصواريخ الروسية الحديثة متنقلة، ومن الصعب الكشف عنها، وأنها تختصر وقت الإنذار لعدة دقائق، وتخفض من سقف استخدام الأسلحة النووية في النزاعات المسلحة» مضيفا: «أن هذا يجعل العالم أقل أمنا للجميع». من ناحيتها قالت الصين، إنها وروسيا ستقويان التعاون الاستراتيجي، وتتصديان لخطط أمريكا في نشر صواريخ متوسطة المدى في آسيا، وحذرت اليابان وكوريا الجنوبية من المشاركة في الخطط الأمريكية تلك.

زيارة كوشنر لم تكشف جديداً في «صفقة القرن»:

المباحثات اقتصرت على العموميات والشق الاقتصادي في خطة سلام لم تر النور بعد ولا يزال المسار السياسي فيها مجهولا.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

تصر الدوائر الرسمية الأردنية على أن أي لقاءات أو اتصالات يجريها وزير الخارجية أيمن الصفدي مع أي أطراف أخرى خلال هذه الأيام مرتبطة حصريا بتوسيع قواعد التنسيق مع الجميع في موازاة التحرك الأمريكي لتقديم خطة سلام جديدة ومزعومة وبدون وجود اتصالات لها علاقة بسيناريوهات محددة خارج إطار قرارات القمم العربية.

أبلغ الأردن عبر «لجنة أمنية وسياسية مشتركة» السلطة الفلسطينية قبل أيام بعدم وجود «جديد مقلق» في مسألة تحركات المستشار الأمريكي جاريد كوشنر.

الإبلاغ هنا محصلة لمساحة التنسيق التي توسعت بين رام الله وعمان مؤخرا على أن تتولى العاصمة الأردنية وضع الجانب الفلسطيني بالصورة على أساس أنه «يقاطع» الأمريكيين.

قبل ذلك أثار لقاء تحدثت عنه تقارير في طنجة بين وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي ونظيره المغربي ناصر بوريطة بالتزامن مع وجود جاريد كوشنر في الرباط الكثير من اللغط وسط إيحاءات بأن الجانب الأمريكي يحاول تسويق نظرية جديدة لها علاقة بـ «الوضع القائم في القدس».

«شكلين ما بنحكي»: تلك عبارة مستعارة من مسلسل «باب الحارة» السوري الشهير سمعتها «القدس العربي» مباشرة من مسؤول أردني رفيع المستوى أعاد التأكيد على أن موقف بلاده داخل وخارج الغرف من أي خطة تسوية واحد وموحد.

استرسل المسؤول نفسه في الاستعارة اللغوية وهو يحاول تقديم تصور عن ما حصل بعد زيارة كوشنر الأخيرة إلى عمان.

بالنسبة لمقاربة مطبخ القرار الأردني ما يحاول الأمريكيون الإيحاء به أنهم يحاولون كسوة العظم لحما، لكن في الواقع لا يوجد عظم ولا لحم ولا حتى نطفة، فجولة كوشنر لم تأت بجديد.

يحاول طرف إسرائيلي له مصلحة في التأزيم والتوتير والتسريب الإيحاء بأن إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بدأت بعملية «كسو العظم لحما».

لكن في الحساب الأردني لا يوجد حتى عظم ولا بقايا هيكل عظمي والملك عبد الله الثاني تقصد عندما استقبل كوشنر التأكيد على «حل الدولتين» والإعلان بأن أي ترتيب بدون دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية «غير ممكن».

الأردن أكد على حل الدولتين والقدس الشرقية عاصمة فلسطينية

الموقف بالنسبة للأردن عندما يتعلق الأمر بخطة السلام الأمريكية الجديدة لم يتجاوز بعد عمليا ومعلوماتيا ورسميا ورشة عمل البحرين الشهيرة حيث لا جديد في المشهد إطلاقا وحيث موقف الأردن واضح للغاية.

«لم يتغير موقفنا قيد أنملة ولن نتحدث بشكلين»: هذا ما قاله المسؤول نفسه وهو يقدر أن الجدية في التعامل مع استقرار المنطقة لا مجال فيها أو معها للاجتهاد.

بهذا المعنى ولان الملك عبد الله الثاني شخصيا لا يستطيع مقابلة جميع الزعماء وزيارة كل الدول العربية بعنوان التنسيق يتولى وزير الخارجية بعض المهام. وعليه تصبح زيارة الصفدي إلى طنجة جزءا من تنفيذ التوجيهات العليا وإدامة التنسيق مع كل الدول العربية.

زيارة كوشنر الأخيرة حافظت على العموميات والهلامية واستكملت الحديث عن الشق الاقتصادي في خطة سلام لم ترى النور بعد ولا يزال المسار السياسي فيها مجهولا ولا توجد معلومات من أي نوع حسب الدوائر الأردنية جديدة.

الموقف الأردني لم يتغير ولا سنتيمترا واحدا، هذا ما سمعته «القدس العربي» من عدة دوائر والحديث عن لقاء ودعوات في كامب ديفيد لم يناقشه كوشنر بل سربته صحيفة «جيروساليم بوست» ونفاه الأمريكيون لاحقا.

بالنسبة لكوشنر وخلال وقفته في عمان رفض ورغم الإلحاح الأردني تقديم أي معلومات جديدة لها قيمة حول ما تخطط له إدارته. وأجاب بوضوح على استفسار أردني مشيرا إلى أن تفاصيل خطة السلام الجديدة في مسارها السياسي لن تعلن إلا من قبل الرئيس دونالد ترامب شخصيا وبعد إجراء مشاورات الجولة الأخيرة.

مثل هذا الموقف مؤشر على أن الأمور لن تحسم بعد بالنسبة لدوائر القرار الأردنية، وهذا وضع مريح أكثر للأردنيين والفلسطينيين، لأن أجراس الإنذار قرعت بعدما تحرك كوشنر في المنطقة قبل الانتخابات الإسرائيلية المقبلة.

في المقاربة الأردنية يعتبر عدم وجود تفاصيل لها علاقة بالمسار السياسي حتى الآن من بين الأنباء السارة، لكن بالنسبة لسياسي وقيادي بارز في الحركة الإسلامية هو الشيخ مراد العضايلة، ينبغي التوقف بحذر عند أجندة غامضة ومخفية تستهدف بالضرورة تصفية القضية الفلسطينية وأعمق مصالح الدولة الأردنية.

في كل حال تبدو اللهجة الأردنية ثابتة أكثر وأوضح من أي وقت مضى والاستثمار في هذه اللهجة التي تتقارب من الاتحاد الأوروبي في مساحة حل الدولتين، يساهم في فتح مساحات إضافية لحوار الأردن مع دول أوروبية حتى وسط أجواء العزلة في الحوار مع الطاقم الأمريكي الذي يدير العرض الآن.

حدث الأسبوع

تونس تدخل المنعرج الحاسم بعد رحيل الباجي قايد السبسي

تونس – «القدس العربي»:
روعة قاسم

ودع التونسيون رئيسهم المنتخب ديمقراطيا يوم 27 تموز/يوليو في جنازة تاريخية مهيبة خرج خلالها الآلاف للشوارع وحضرها رؤساء وزعماء دول. وفتحت وفاة الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي الباب أمام تساؤلات عدة بخصوص مستقبل الوضع في البلاد على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية. فالرئيس التسعيني المخضرم، كان من طينة الزعماء القلائل الذين تركوا بصمتهم في تاريخ البلاد وأشرف على تسيير سلطتها في أدق المراحل ووضعها على سكة الانتقال الديمقراطي بفضل ما تمتع به من حنكة سياسية وخبرة في العمل السياسي والشأن العام، فبالرغم من أن دستور ما بعد الثورة أعطى للرئيس صلاحيات محدودة إلا ان قايد السبسي كان له الصوت المؤثر في الساحتين الداخلية والخارجية ولعب دورا هاما على المستوى الدبلوماسي في دعم تونس خارجيا للخروج من أزماتها بأقل الأضرار. وكما كانت البلاد نموذجا للانتقال الديمقراطي بعيدا عن العنف فإنها أيضا فاجأت العالم بفترة انتقال سلس بعد وفاة الرئيس تولى خلالها رئيس مجلس النواب محمد الناصر مهام رئاسة الجمهورية. واليوم يقف التونسيون أمام استحقاقات هامة انتخابية وسياسية، ففي 15 أيلول/سبتمبر المقبل سيكونون على موعد للإدلاء بأصواتهم لاختيار رئيس جديد للجمهورية وستتواصل الأجندات الانتخابية الهامة في 6 تشرين الأول/اكتوبر تاريخ إجراء الانتخابات البرلمانية التي تعد هامة في إطار فرز المشهد الحزبي والسياسي المقبل للبلاد التي لا تزال تواصل تجربتها الديمقراطية الوليدة بالرغم من التحديات والأزمات الاقتصادية والاجتماعية وتهديدات الجماعات الإرهابية.

احتفالات انتخابية

آفاق

يقول الأستاذ الجامعي والإعلامي جميل بن علي لـ «القدس العربي» إن الرحيل المفاجئ للرئيس التونسي مثّل منعرجا حاسما وفارقا في المشهد السياسي المحلي، فهو من آخر الساسة المتنفين إلى جيل شارك في تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي وساهم في بناء الدولة الوطنية المستقلة وإنشاء مؤسساتها. ويضيف: «شاءت الأقدار أن يعود الباجي قايد السبسي مباشرة ليُعيد الثورة يرعاها ويسوس أمرها سواء كوزير أول أو كرئيس للجمهورية انتخبه الشعب انتخابا حرّا ومباشرا. ولئن نجح التونسيون في تأمين انتقال سلس للسلطة تولى بمقتضاه رئيس البرلمان مهام رئاسة الجمهورية التزاما بما نصّ عليه الدستور، فإنّ رحيل الرئيس مع الانتخابات الرئاسية السابقة لأوانها فتح الوضع في البلاد على آفاق عدة محتملة». وقال «شد الباجي القايد السبسي التونسيين ببلاغة خاصة قائمة على الارتجال ومحلية الخطاب بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر العربي وأمثال من اللهجة العامية، وأسرهم بسرعة البديهة والقدرة على البرهنة والهزل في الوقت نفسه– ولما أوتي هذه الخصال بالرغم من تقدمه في السنّ فإنه امتلك كاريزما، خولت له قيادة النّاس وجمعهم على كلمة سواء– ويبدو أنّه البورقيبي الأخير الذي لم يفلح في شدّ التونسيين فقط وإنّما في أسر نفوس زعماء العالم الذين التقى بهم وتحدث إليهم أيضا، والحقّ أنّ كثيرا منهم لم يخف إعجابه بل وانبهاره بالسبسي لحنكته وخفة ظلّه».

مصير التوافق السياسي

لعل السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح هو مصير التوافق السياسي بعد رحيل الرئيس، فقد استطاع قايد السبسي ان يرسي نوعا من التوافق مع حركة النهضة خصمه اللدود فيما يطلق عليه بوثيقة قرطاج، التي تم خلالها التفاهم على تسييس البلاد على قاعدة التوافق. وساهم هذا الاتفاق بتجنيب البلاد ويلات نزاعات عديدة ومنزلقات خطيرة دخلت في خضمها دول أخرى في المنطقة. ويوضح جميل بن علي أنه بالرغم مما تعرض إليه الرئيس من إغراءات وضغوطات لفض الشراكة مع الإسلام السياسي الذي تمثله حركة النهضة، فإنّه ظل– ومنذ اللقاء الذي جمعه براشد الغنوشي رئيس حركة النهضة سنة 2013 في باريس– مصرا على التّوافق رافضا الإقصاء الاستقواء السياسي». وعن مصير التوافق يجيب: «الآن وبعد أن رحل مهندس التّوافق، وفي ظلّ تشتت العائلة الوسطية الديمقراطية وتفرق شملها فان الحديث عن مستقبل التوافق السياسي الذي يضمن على مساوئه الحدّ الأدنى من استقرار الحكم، يبقى هاجس شرائح تونسية واسعة».

من سيتولى الرئاسة في قرطاج بعد الباجي؟ يؤكد محدثنا: «تقول كل المؤشرات أن الراحل– لو لم تباغته المنية كان يستعدّ للقيام بأيام معدودة، وهو الذي كان قد اقترحه في الحوار الوطني رئيسا للحكومة الانتقالية آنذاك، لكن الرئيس السابق المنصف المرزوقي أصرّ على رفضه فآل الأمر إلى المهدي جمعة ـ في المقابل وإضافة إلى نبيل القروي الذي تضعه استطلاعات الرأي في الصدارة وترجح مروره إلى الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية – فإنّ رئيس الحكومة الحالي يوسف الشاهد رئيس حزب (تحيا تونس) منافس جدي».

انتقال سلمي

أما الكاتب والناشط السياسي الناصر الخشيني فقال لـ «القدس العربي»: «هناك قوى ودوائر ربما كانت تنتظر حدوث فوضى وصراع داخلي على السلطة بعد وفاة الرئيس، لكن الذي حصل هو انتقال سلمي للسلطة في نطاق مراعاة أحكام الدستور بكل سلاسة ولم تتخذ أي إجراءات أمنية أو عسكرية غير عادية وواصل المواطنون حياتهم والإدارات والمرافق العامة عملها بشكل طبيعي». وهذا يؤكد ان «تونس تسير في الطريق الذي رسمه الشعب بتضحياته لإرساء هذا النمط الديمقراطي الليبرالي على مستوى السلطة السياسية ومسارات الحياة السياسية بحيث تم إقرار الاستحقاقات السياسية المتمثلة أساسا في الانتخابات التشريعية والرئاسية بإقرارها في مواعيدها مع تغيير طفيف بخصوص الانتخابات الرئاسية حتى يكون الانسجام مع مقررات الدستور المتعلق بفراغ منصب رئيس الجمهورية بسبب الوفاة».

المشهد الحزبي

وبخصوص المشهد الحزبي يقول: «يوجد أكثر من 220 حزبا يتنافسون على السلطة، لكن فقط 10 أحزاب منها غطت كل الدوائر الانتخابية والبقية بعيدة كل البعد عن المنافسة الجدية بحكم عدم امتلاكها لناصية المنافسة المتمثلة في البرامج والكادر البشري والتمويل والإعلام، لان هذه العناصر إذا اجتمعت لدى جهة سياسية ما تستطيع أن تحقق مكاسب تجعلها في السلطة. وعموما فان القوى اليمينية المحافظة سواء كانت تعتمد الخطاب الديني أو الحداثة فإنها هي التي تمتلك القوة الضاغطة على الشعب لإعادتها إلى المشهد السياسي» ويضيف: «ان القوى الثورية وقوى التغيير الحقيقية كاليسار أو القوميين الذين يمتلكون الأفكار والمبادئ لكن لا يمتلكون الوسائل الأخرى كتوحيد قواهم مع بعض وخوض غمار الانتخابات بقوائم موحدة من شأنها ان تتركهم في المشهد السياسي لكن غلبة الأنا على قيادات هذه القوى أوصلت إلى تشتت المشهد الحزبي». وتوقع ان يظل المشهد السياسي كما هو بدون تغيير يذكر إلا إذا حدثت مفاجآت غير متوقعة خلال الاستحقاقات الانتخابية المقبلة.

وقال انه يجب إن لا ننسى التدخل الأجنبي، فهناك قوى إقليمية ودولية تدفع باتجاه مراعاة مصالحها وتقوم بتمويل أو فرض رؤيتها على قوى معينة تراهن عليها وتجعلها تفوز في كل الحالات وتترك بعض الفتات للقوى الديمقراطية والاجتماعية حتى تظهر الأمور وكأن هناك حياة ديمقراطية في حين أن الشعب واقع في ضائقة اقتصادية وانعدام الأمن وكثرة الجرائم والفساد إلى درجة تدفع للهجرة سواء عبر البحار أو حتى يؤر التوتر هروبا من جحيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية الصعبة بتونس.

تحديات

ويؤكد الناشط الحقوقي والسياسي رمزي الخليفي لـ «القدس العربي» انه «بعد وفاة الرئيس محمد الباجي قايد السبسي اعتقد الكثير من خارج تونس أن ذلك قد يؤدي إلى الصراع على خلافته خاصة في غياب الحكمة الدستورية التي أناط بها الدستور مهمة معاينة الشغور في منصب الرئيس حتى يتولى رئيس مجلس نواب الشعب سده وتوقعوا امكانية حدوث انقلاب. إلا أن تمسك كافة مؤسسات الدولة ورجالاتها بالتوافق وتغليب المصلحة العليا للوطن سهل عملية انتقال السلطة وتولى منصب الرئيس بالنيابة رئيس مجلس نواب الشعب في ساعات قليلة وأغلق بسلاسة ملف خلافة السبسي، وهو ما كان مصدر فخر واعتزاز للشعب التونسي». وعن مرحلة ما بعد الباجي يضيف بالقول: «استنادا للدستور التونسي الذي يفرض إجراء انتخابات رئاسية في أجل أدناه 45 يوما وأقصاه 90 يوما، فقد كان لزاما على هيئة الانتخابات تقديم موعد الانتخابات الرئاسية الذي كان مبرمجا يوم 17 تشرين الثاني/نوفمبر المقبل بعد الانتخابات التشريعية يوم 06 تشرين الأول/اكتوبر المقبل ما دفع في اعتقادي إلى إعادة خلط الأوراق وخلق حالة من الارتباك داخل أغلب الأحزاب الفاعلة في الساحة السياسية التونسية على جميع المستويات».

فبالنسبة للتاريخ الذي أصبح قريبا 15 ايلول/سبتمبر وسابقا للانتخابات التشريعية فقد أربك العديد من الراغبين في الترشح الذين قد يعجزون عن جمع التزكيات المطلوبة (10000) للترشح خلال أيام قليلة من ناحية، ومن ناحية أخرى فان التصويت بخطوة لم يشر إليه نجله فحسب وإنّما أشار إليها أيضا مستشاره الحبيب الصيد لما جزم بأنّ الرئيس كان ينوي الإعلان عن مبادرة تلمّ شتات الناس وتوحدهم في الانتخابات التشريعية والرئاسية– ويبدو أنّه كان ينوي أن يدفع بوزير دفاعه عبد الكريم الزبيدي إلى التّرشح للرئاسيات، فهو أمين سرّه ورجله المخلص في الحكومة، وهو الوحيد الذي هاتفه لما كان مقيما في المستشفى العسكري لا يقوى على الحراك، وهو الوحيد الذي استدعاه والتقى به وحادثه قبيل وفاته بخطوة لم يشر إليه نجله فحسب وإنّما أشار إليها أيضا مستشاره الحبيب الصيد لما جزم بأنّ الرئيس كان ينوي الإعلان عن مبادرة تلمّ شتات الناس وتوحدهم في الانتخابات التشريعية والرئاسية– ويبدو أنّه كان ينوي أن يدفع بوزير دفاعه عبد الكريم الزبيدي إلى التّرشح للرئاسيات، فهو أمين سرّه ورجله المخلص في الحكومة، وهو الوحيد الذي هاتفه لما كان مقيما في المستشفى العسكري لا يقوى على الحراك، وهو الوحيد الذي استدعاه والتقى به وحادثه قبيل وفاته

في الانتخابات الرئاسية لن يتأثر بنتائج الانتخابات التشريعية كما تم التخطيط لذلك عند وضع الروزنامة الأولى.

حسابات سياسية

ويعتبر الخليفي أن الأهم من كل تلك الحسابات السياسية هو الزلزال الذي أحدثه موت الرئيس على مستوى الشروط التي يجب ان تتوفر في خليفته فسقف الانتظار قد ارتفع عاليا ولن يرضى الناخب التونسي برئيس جديد لا يتوفر فيه الحد الأدنى من الصفات التي عهدها في رئيسه الراحل كالحكمة والرصانة والقدرة على لم الشمل والخبرة السياسية الطويلة والتشبع بالحس الوطني والعلاقات الطيبة مع الدول الصديقة والشقيقة. فمن هذا المنطلق فقد تغيرت بصفة جذرية شروط اختيار الرئيس في ذهن أغلب أبناء الشعب ما صعّب المهمة أمام أغلب الحالمين بالمنصب».

ويتابع: «سمعنا العديد من إعلان نوايا الترشح للانتخابات، بل وقد شرع العديد في تقديم ترشحاتهم. وفي تقديري فإن المنافسة ستكون على أشدها والمعركة الانتخابية ستكون حامية الوطيس ولن تحسم من الدور الأول بل سيكون هناك على الأرجح دورة ثانية للحسم».

ويضيف: «ورغم أن المشهد غير واضح إلى حد اليوم إلا أنني أعتقد أن أبرز المترشحين الذين يمثلون مدارس مختلفة هم رئيس الحكومة الحالي يوسف الشاهد الذي يترأس حركة تحيا تونس والذي قد يحظى بدعم كبير من العائلة الوسطية الديمقراطية وكذلك المرشحين نبيل القروي وقيس سعيد حيث برزا بشكل كبير في الأشهر الأخيرة».

إذن في خضم كل ذلك، فإن مهمة الرئيس القادم لن تكون سهلة بالنظر إلى مستوى التحديات التي تواجهها البلاد سياسيا وأمنيا واقتصاديا واجتماعيا. فالانتقال الديمقراطي لم يشتد عوده بعد لذلك لا بد من الرئيس القادم ان يجمع الشمل ويكون محكما عدلا عند الخلاف بين شركاء الوطن ويكون رئيسا لكل التونسيين لا يغلب فئة على أخرى. كما أن الوضع الأمني يتطلب اليقظة الدائمة في مواجهة عدو غادر ألا وهو الإرهاب الأعمى. كما يتطلب الاقتصاد التسريع في نموه وتجاوز كل المعوقات. علاوة على ذلك فان الوضع الاجتماعي يحتاج أيضا إحاطة أكبر بالطبقات الضعيفة والمتوسطة بدون أن ننسى الحرب على الفساد التي تتطلب وحدة الصف. كل هذا لا يكون إلا برئيس وطني شجاع له قدر كبير من الخبرة والدراية بتسيير دواليب الدولة ويعمل في تناغم تام مع رئيس الحكومة ورئيس مجلس نواب الشعب.

مختبر «الربيع العربي» في تونس

صبحي حديدي

في بلدة بن قردان التونسية، على الحدود مع ليبيا، يمكن أن تتجاور ظاهرتان: إرهاب جهادي وسلفي أعمى يسفر عن 65 قتيلاً، وإضراب عام ضمن احتجاجات شعبية ضدّ البطالة وسوء الأحوال المعيشية تستقطب الآلاف ويدعمها «الاتحاد العام التونسي للشغل». وهي حال يمكن أن تتكرر في مناطق تونسية شتى، خاصة في أطراف الجنوب الفقير، وعلى مسافات تبتعد أو تقترب من محيط سيدي بوزيد أو المكناسي أو قفصة أو القصرين؛ حيث رموز الكفاح الشعبي التونسي ضد الاستبداد والفساد تمتد إلى عقود سالفة، وأجيال.

خصوصية هذا التجاور، ومصدر الاهتمام البالغ بدلالاته، أنه يجري في بلد بات المختبر الوحيد، وربما الأقصى على هذا النحو أو ذاك، لما استقرّ الآن تحت مسمّى «الربيع العربي»؛ سواء سيقت التسمية عن حقّ، أو استُخدمت على سبيل حقّ من طراز آخر لا يُراد منه إلا الباطل. وفي مناسبة الانتخابات الرئاسية المقبلة، المبكرة عن موعدها بسبب رحيل الرئيس التونسي باجي قايد السبسي، ثمة ظواهر عديدة جديرة بامتزاج الاستبشار بالقلق، ومنطق التطوّر الطبيعي بمخاطر الانفلات العشوائي؛ خاصة وأنّ خطوات نوعية كبرى قد قُطعت على الطريق القويم نحو تلمّس تجربة ديمقراطية وليدة مقبولة، ومعقولة.

نطاق صلاحيات الرئيس التونسي، بموجب الدستور الراهن، لا تتجاوز الدفاع والسياسة الخارجية والوظائف التشريفية؛ الأمر الذي لا يقلل من دور ساكن قصر قرطاج في منعطفات حاسمة، مثل امتناع الرئيس عن إصدار المراسيم اللازمة لسريان مفعول تشريعات أقرّها مجلس نواب الشعب، أو التدخل في قانون الوراثة للمرأة، أو إصدار أمر بنشر الجيش في مواجهة التظاهرات الشعبية. ومع ذلك، أعلنت الهيئة العليا المستقلة للانتخابات أن 97 مرشحاً للانتخابات الرئاسية أودعوا ملفاتهم، مقابل 70 في دورة 2014؛ والكثير من هؤلاء سوف ينسحبون لاحقاً، أو تُبطل ترشيحاتهم لاعتبارات قانونية، بالطبع؛ لكنّ العدد يظلّ كبيراً مع ذلك، وحمّال أسئلة حول الغايات والأجندات.

الثابت، في المقابل، هو مستويات الجدّية بين ترشيح رئيس الوزراء الحالي يوسف الشاهد، أو نائب رئيس «النهضة» الشيخ عبد الفتاح مورو، أو الرئيس الأسبق منصف المرزوقي، أو وزير الدفاع الحالي عبد الكريم الزبيدي؛ وبين مرشح (على ذمّة «الشروق» التونسية) يدعو في برنامجه الرئاسي إلى إغلاق السفارات، ومرشحة تطالب بحقّ المرأة في ارتداء الشورت! كذلك فإنّ الجدير بالتأمل، ربما أكثر من أي تفصيل آخر في هذا الدور الأوّل، هو قرار «النهضة» المفاجئ بترشيح مورو وما تعنيه الخطوة من مغزى في سجلّ الحركة، وربما الإسلام السياسي العربي إجمالاً؛ وما إذا كانت تنوي الذهاب أبعد في الدور الثاني، أم ستكتفي بأداء الواجب ومساندة مرشح آخر مثل الشاهد.

وثابت، كذلك، إدقاع أداء الغالبية الساحقة من أحزاب اليسار التونسي، التي لن يفلح أبسط منظور عقلي في إدراك قصورها عن ملاقات هموم أبناء تونس وهواجسهم؛ سواء تلك الاقتصادية ـ الاجتماعية التي تخصّ العيش الكريم والعمل والتعليم والصحة، أو تلك السياسية ذات الصلة بمكاسب التجربة الديمقراطية وخسائرها، وإرث السبسي و«نداء تونس» على وجه التحديد. هذا إذا وضع المرء جانباً سوريالية انشغالها بشقّ الحناجر هتافاً لنظام استبداد وفساد كالذي يقوده آل الأسد في سوريا، مقابل المطالبة بالديمقراطية في تونس.

وأمّا الثابت الآخر، وليس البتة الأخير، في مختبر «الربيع العربي» هذا فهو إشكالية استمرار النظام القديم، بل إحياء بعض مواضعاته وأخلاقياته وجيوبه، عبر بوّابة كبرى تدعى الفساد. والبنك الدولي يقدّر بأنّ الشركات التي كانت مرتبطة بشبكات نظام بن علي تواصل حصد 21% من أرباح القطاع الخاص، وأنها ليست باقية وتتجذر فقط، بل تتوسع وتنتشر على نحو سرطاني أيضاً. كذلك فإنّ البلاد تواجه عجزاً في الميزانية يقارب الـ6% من الناتج القومي الإجمالي، وسيف صندوق النقد الدولي المسلط يطالب بالمزيد من تخفيض الأجور ورفع الأسعار والضرائب وتعليق الاستثمار الحكومي في البنية التحتية.

الأنظار شاخصة إلى اعتمالات المختبر، إذن، ومثلها الآمال والمخاوف.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9631 الأحد 11 آب (أغسطس) 2019 – 10 ذو الحجة 1440 هـ

الانتخابات التونسية: رجل أعمال هارب من القضاء ووزير دفاع مدني ومرشحة تتوعد الإسلاميين بإعادتهم إلى السجون

رشيد خشانة

تتواجه في الانتخابات التونسية المقررة ليوم 15 من الشهر المقبل مدرستان سياسيتان وفكريتان الأولى ديْنُها عولمة السوق وحرية التجارة، وتمثلها أحزاب اليمين، والثانية تتخذ من النزعة الاسلامية العابرة للأقطار منهجا، وتمثلها أساسا «حركة النهضة». بهذا المعنى تتشابك غالبية الأحزاب المنشقة عن حزب «نداء تونس»، مع الاتحاد الأوروبي الشريك التجاري الأول للبلد، وتضع في المرتبة الأولى قيم الحداثة، ومن ضمنها المساواة بين الجنسين في تقاسم الإرث. كما تسعى تلك الأحزاب للتماهي مع وصفات «الاصلاح» الاقتصادي، التي تقترحها مؤسسات النقد الدولية للخروج من الضائقة المالية الراهنة.

وفرضت وفاة الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي في 25 الشهر الماضي، التعجيل بإجراء انتخابات سابقة لأوانها، فيما تولى رئيس مجلس النواب محمد الناصر رئاسة الجمهورية بالوكالة لمدة لا تزيد عن تسعين يوما.

ويتشابك المسار الرئاسي مع المسار البرلماني، إذ ستُجرى انتخابات لتجديد أعضاء البرلمان في السادس من أكتوبر المقبل. ومن المتوقع أن تؤثر نتائج الانتخابات الرئاسية، في خيارات الناخبين يوم الاقتراع لتجديد البرلمان. وكانت حركة «نداء تونس» واجهت حركة «النهضة» في انتخابات 2014 وفاز مرشح الأولى قائد السبسي على منصف المرزوقي، المرشح الذي دعمته «النهضة»، فيما أتى «النداء» أولا في الانتخابات البرلمانية، قبل أن يتفكك في السنوات الأخيرة.

خريطة جديدة

وسيجد التونسيون أنفسهم أمام خريطة جديدة هذه السنة، بعدما تشكلت خمسة أحزاب منبثقة من «النداء»، أبرزها حزب «تحيا تونس» الذي يقوده رئيس الحكومة الحالي يوسف الشاهد. ولم تستطع الأحزاب «الندائية» الاتفاق على مرشح موحد للرئاسيات، إذ أن المرشحين المنحدرين من «النداء» الأصلي، هم بالإضافة ليوسف الشاهد، سعيد العائذي (مرشحا من حزب جديد «بني وطني») وسلمى اللومي (حزب «أمل» حاليا) ومحسن مرزوق (مرشحا عن حزب «مشروع تونس») وناجي جلول (مستقل).

وبعد إقفال باب الترشيحات للرئاسة مساء أمس الأول الجمعة أعلنت الهيئة العليا المستقلة للانتخابات أنها تلقت 98 ترشيحا، معظمهم لشخصيات مستقلة. لكن الكثير منهم لا يستجيب للشروط، وأولها ضرورة الحصول على 10000 ترشيح من ناخبين، في عشر محافظات مختلفة، أو ترشيحات كتابية من عشرة نواب في البرلمان أو أربعين رئيس بلدية. ولم تُشكل هذه الشروط حاجزا أمام المتطلين والباحثين عن بروز إعلامي عابر، الذين اكتفوا بتقديم ملفات ترشيح خاوية. وعليه يُرجح أن ينخفض عدد الترشيحات المقبولة إلى أقل من الثلث. وتوقع نائب رئيس الهيأة العليا للانتخابات فاروق بوعسكر، ألا يتجاوز عدد الترشيحات الصحيحة رُبع المسجلين في لائحة الترشيح، أي بين 25 و27 مرشحا، وهو عدد غير بعيد عن عدد المرشحين للانتخابات الرئاسية السابقة.

ويمكن القول إن شبح العزوف عن المشاركة في الانتخابات، الذي كان خطرا ماثلا خلال الانتخابات البلدية العام الماضي، زال تماما مع تزايد الاهتمام لدى رجل الشارع والنخب السياسية على السواء بالانتخابات. ومن المتوقع أن يكون الإقبال كثيفا على مراكز الاقتراع وألا يقل عن نسبة الاقبال المسجلة في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية السابقة، خاصة أن عدد المسجلين الجدد تجاوز 1.3 مليون ناخب.

مؤسسة عسكرية محايدة

يتساءل مُتابعون كثرٌ عن موقف الجيش من التجربة الديمقراطية الغضة في تونس، وعادة ما يصف المنتمون للمؤسسة هذا الجيش بكونه «جمهوريا لا يتدخل في السياسة». وما أتاح استمرار هذه العقيدة أن جميع الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة الدفاع منذ الحكومة الأولى التي شكلها بورقيبة في خمسينات القرن الماضي إلى اليوم، هم من المدنيين. كما لم يُحشر الجيش في أعمال قمع خلال الانتفاضات المتكررة التي عرفها البلد، لا بل يُنقل عن رئيس أركان الجيش إبان ثورة 2011، الفريق رشيد عمار أن الرئيس المخلوع بن علي طلب منه إنزال القوات المسلحة لقمع المظاهرات في العاصمة تونس والمدن الداخلية، إلا أنه رفض تنفيذ تلك التوجيهات، وفقا لرواياته. ولعل الفروق في طبيعة الدور السياسي والوزن الاقتصادي والاجتماعي للمؤسسة العسكرية في مصر والجزائر من جهة وتونس من جهة أخرى، هو أحد العناصر المهمة التي جعلت المسار التونسي مختلفا عن جميع التجارب المماثلة في العالم العربي.

تعدُد الأقطاب

ومن المتغيرات البارزة في الانتخابات المقبلة ترشيح «النهضة» أحد قياديها البارزين، وهو المحامي عبد الفتاح مورو، للرئاسية لأول مرة. وسبقت هذا الخيار نقاشات طويلة حسم الأمر في أعقابها لصالح مورو. ومن المتغيرات المهمة أيضا الانتقال من صراع القطبية الثنائية (النداء/ النهضة) إلى تعدد الأقطاب. ويتجسد هذا التعدد في كثرة المرشحين المستقلين، ومن بينهم وزير الدفاع عبد الكريم الزبيدي، الذي استقال من منصبه حال تقديم ترشيحه إلى الهيأة المشرفة على الانتخابات، وأستاذ القانون الدستوري قيس سعيد، والأمين العام الأسبق لحركة «النهضة» حمادي الجبالي (شغل رئاسة الحكومة بين 2011 و2013).

ومن المتغيرات أيضا تفكك «الجبهة الشعبية» (ائتلاف أحزاب يسارية وقومية) التي دخلت إلى انتخابات 2014 بصفوف موحدة، ومرشح واحد هو حمة الهمامي أمين عام «حزب العمال»، وقد انقسمت على نفسها بعد إقدام أحد فصائلها على ترشيح النائب منجي الرحوي إلى جانب الهمامي. ويعتقد مراقبون أن إخفاق أقصى اليسار في تحصيل كتلة مماثلة لكتلته في البرلمان الحالي (15 مقعدا)، سيضعه على طريق الاندثار. وكانت الكتلة تشظت أخيرا بسبب التنافس بين الهمامي والرحوي.

رموز النظام السابق

بعد الجدل الذي سبق انتخابات 2011 و2014 ورافقهما في شأن استبعاد أنصار الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، وهو الجدل الذي ظهر مثله أيضا في مصر وليبيا، بعد ثورتيهما، حسم التونسيون الأمر بإطلاق حرية العمل السياسي لرموز النظام السابق. واستطاعت إحدى قيادات الصف الثالث أيام بن علي، وهي المحامية عبير موسي، أن تؤسس «الحزب الدستوري الحر» تيمنا بحزب الرئيس التونسي الأول الحبيب بورقيبة (1957–1987)، وتطرح برنامجا شعبويا يمكن اختصاره في العودة إلى ما قبل ثورة 2011، ووضع عناصر «النهضة» وقياداتها في السجن. غير أن اللافت هو غياب القياديين السابقين من ذوي الأوزان الثقيلة عن الهيئات القيادية للحزب الجديد، وخاصة بعض الوزراء السابقين الذين خاضوا انتخابات 2014 الرئاسية بصفتهم مرشحين مستقلين. واللافت أيضا أن رئيس الحزب الوطني الحر سليم الرياحي، الذي سبق أن خاض الانتخابات الرئاسية في 2014، ثم غادر البلد بعد ملاحقته قضائيا بتهم فساد، أرسل ترشيحه للانتخابات المقبلة، من الخارج، خشية القبض عليه في حال العودة إلى تونس. وسيدخل الرياحي إلى غمار الانتخابات المقبلة، إذا ما ثبت أن ملفه استوفى شروط الترشيح، بصفته «مستقلا» هذه المرة، بعد اندثار حزبه وتوزُع أعضائه على الأحزاب الأخرى.

شعبوية ومال فاسد

من الظواهر البارزة في الانتخابات الرئاسية المقبلة الحجم المتزايد للتيارات الشعبوية، التي تحاول الظهور في مظهر النقيض للأحزاب التقليدية، فتمتنع من تقديم برامج سياسية واقتصادية واضحة، مُستثمرة خيبة الناس من ارتفاع كلفة المعيشة ومللهم من الصراعات الحزبية، التي تعتاش منها بعض القنوات التليفزيونية المحلية، لتمنحهم وعودا سرابية.

ويلعب المال المشكوك في مصادره أيضا دورا كبيرا في الانتخابات التونسية، إذ دأب رجل الأعمال نبيل القروي، أحد المرشحين للرئاسة، على زيارة الأحياء الفقيرة والقرى النائية لتوزيع مساعدات مختلفة، مقابل كسب دعم شعبي يوم الاقتراع. وتحدى القروي القضاء، الذي يلاحقه لشبهات فساد، وكذلك الهيأة المستقلة لتعديل الاعلام المسموع والمرئي، التي طلبت منه الامتثال للقانون والامتناع من استخدام قناته التلفزيونية، «نسمة»، في حملته الانتخابية، المستمرة منذ شهور، إلا أنه رفض الانصياع للقانون.

تحت قبة البرلمان

واستلطف بعض السياسيين العزف على أوتار الشعبوية، فاتخذوا بدورهم نهج الرفض المطلق، ومارسوه حتى تحت قبة البرلمان، أسوة بالنائبة سامية عبو، زوجة المرشح الرئاسي محمد عبو، التي استخدمت سلاطة اللسان وسيلة لكسب تعاطف الرأي العام. وستُنافس سامية عبو رئيس حركة «النهضة»، راشد الغنوشي، المرشح في دائرة تونس الثانية. وللمرة الأولى يخوض نائب رئيس الحركة مورو الانتخابات الرئاسية، فيما يُنافس الغنوشي على مقعد في البرلمان، قد يقوده إلى رئاسة المجلس التشريعي. وبينما يعتبر أعضاء «النهضة» أن وصول رئيسهم إلى سدة البرلمان تتويجا مستحقا لمسيرته السياسية، لا سيما أن دستور الحركة لا يسمح له بالتجديد في المؤتمر المقبل (2020)، يعتقد محللون آخرون أن هذا الهدف ليس سهلا ولا مضمونا، لكون «النهضة» لن تحصد الغالبية في البرلمان المقبل، في جميع الأحوال، إذ أن حجمها يراوح بين 25 و30 في المئة، ما يضعها تحت رحمة الكتل الحداثية، التي لن تتحالف معها إلا في مقابل ثمن سياسي، قد يكون باهظا. بهذا المعنى تخوض «النهضة» الانتخابات في وضع غير مريح، إذ سيتقاسم خزانها الانتخابي ثلاثة مرشحين للرئاسية هم مرشحها الرسمي مورو، وأمينها العام المنشق الجبالي وحليفها في الانتخابات السابقة المرزوقي. ويشكل هذا التشتت عائقا أمام وصول مورو إلى سدة الرئاسة، ما يستوجب عقد تحالف مع أحد المرشحين الباقيين للدور الثاني.

وستكون مهمة الرئيس المقبل شاقة ودقيقة، لأنه سيخلف زعيما محنكا هو الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي، والمؤكد أن الرأي العام سيستخدم المقارنات في حكمه على أداء الرئيس الجديد، وعليه سيكون للمناظرات التليفزيونية المزمع عقدها بين المرشحين للرئاسة، دور كبير في توجيه خيارات الناخبين.

أنموذج مجتمعي

على الرغم من التباينات الكبيرة بين مرجعيات الأحزاب، التي ستتنافس في انتخابات 15 أيلول/ سبتمبر المقبل، يتجلى من خطابات المرشحين قاسم مشترك هو ما درجت أحزاب الوسط على تسميته بـ«الاعتدال والوسطية». يشترك في ذلك حزب النهضة ذو المرجعية الاسلامية، وغالبية الكتل المنشقة من حزب «نداء تونس»، مع أن مرجعيته حداثية بورقيبية. والأرجح أن الناخبين سيميلون إلى دعم القوى الوسطية، واستبعاد رموز التشدد والغلو، يمينا ويسارا، أيا كانت عناوينهما، لأن البلد اكتوى بنار العمليات الارهابية، ولا يريد لشبح العنف أن يعود من النافذة، بعدما حققت المؤسستان العسكرية والأمنية انتصارات كبيرة على الجماعات المسلحة والخلايا النائمة. بهذا المعنى يعتبر نجاح الاستحقاقين الانتخابيين المقبلين ضمانة لاستمرار تجربة الانتقال التونسي

الهيئة الانتخابية المستقلة

Volume 31 - Issue 9631 Sunday 11 August 2019

معضلة الإرهاب في تونس أي تعامل للدولة بعد رحيل السبسي؟

هشام الحاجي

المهم بكل تأكيد الشروع في محاولة القراءة الموضوعية للإرث الذي تركه الرئيس التونسي الراحل الباجي قايد السبسي، لأن المجتمعات بقدر ما ترفض الجحود ونكران الجميل فإنها معنية أكثر بتجاوز حالة الطوفان العاطفي والانفعالي الذي غالبا ما يرتبط بتغييب الموت للزعماء والرؤساء. فحركية المجتمعات تستدعي التقييم والتعاطي العقلاني مع الميراث حتى وان كانت المقاربة العقلانية المحض تكاد تكون أمرا مستحيلا عند تقييم الماضي.

ولا شك ان الصعوبة تزداد حين يتعلق الأمر بسياسات شخصية استطاعت ان تترك بصمتها في كل المسؤوليات التي تقلدتها على امتداد مسيرة سياسية امتدت على أكثر من ستة عقود ولم يسبق لشخصية سياسية تونسية ان عاشتها. الباجي قايد السبسي ناضل ضد الاستعمار الفرنسي وفي بناء الدولة الوطنية ومن أجل دمقرطتها وفي مجال حقوق الإنسان وفي انجاح الانتقال الديمقراطي وشارك في السلطة واختار أيضا المعارضة وتحمل مسؤوليات على رأس وزارات السيادة وعرف العمل الدبلوماسي والتمثيل البرلماني وهو الشخصية السياسية التونسية الوحيدة التي تولت رئاسة البرلمان ورئاسة الحكومة ورئاسة الجمهورية. هذه الخلفية إلى جانب ما عرف به الباجي قايد السبسي من اتساع ثقافة ومن قدرة على التفاوض تمثل مدخلا مفيدا في التعاطي مع إرث الباجي قايد السبسي كرئيس للجمهورية الذي غالبا ما يرتبط بتغييب الموت للزعماء والرؤساء. فحركية المجتمعات تستدعي التقييم والتعاطي العقلاني مع الميراث حتى وان كانت المقاربة العقلانية المحض تكاد تكون أمرا مستحيلا عند تقييم الماضي.

يستدعي استحضار عاملين مهمين على الأقل، وهما الدور النشيط الذي اضطلع به لما كان رئيسا للحكومة المؤقتة إذ ساهم أو غضّ البصر في تمكين بعض الدول من استعمال تونس جسرا لتسليح «ثورة فبراير» وأيضا في توفير الظروف المثلى لاستقبال أعداد غير مسبوقة من الأشقاء الليبيين الذين اختاروا تونس ملاذا يقيهم هول ما عاشته بلادهم من عنف واقتتال وفوضى. أما العامل الثاني فيتمثل في أن الباجي قايد السبسي قد ورث لما اعتلى سدة رئاسة الجمهورية سياسات اختطتها «الترويكا» وكان الرئيس المؤقت منصف المرزوقي المجسد لها وتميزت بانحياز واضح لأحد طرفي النزاع الأخوي الذي كاد يمزق المجتمع الليبي. هذان العاملان قلصا من هامش المناورة لدى الباجي قايد السبسي من قدرته على التدخل الايجابي في الملف الليبي. ذلك أن أنصار منظومة النظام الجماهيري يعتبرونه أحد الأدوات التي ساهمت من وجهة نظرهم في «تدمير ليبيا» ويشيرون إلى انه لم يكن من الذين ينظرون بود للقذافي ونظامه. وقد ساهمت «الدبلوماسية الحزبية » التي مارسها رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي في مزيد الحد من هامش التدخل للباجي قايد السبسي خاصة وان راشد الغنوشي قد كان منحازا للإسلاميين الليبيين بكل تفريعاتهم بما في ذلك عبد الحكيم بلحاج والذي جعل الملف الليبي ورقة من أوراق العبور لكواليس صنع القرار في أهم العواصم الدولية والإقليمية. وفي ظل هذه العوامل وتحول ليبيا إلى مجال تدخل وصراع بين أهم الدول الفاعلة دوليا وإقليميا. وحين نضيف إلى ما سبق ضعف أداء وزير الخارجية في هذا الملف وغيره نفهم محدودية النتائج التي حققها الباجي في الملف الليبي الذي فقدت فيه تونس الكثير من التأثير. وعلى هذا الأساس فان عملا كبيرا ينتظر «خليفة الباجي قايد السبسي» في هذا المستوى خاصة وان لما يحدث في ليبيا انعكاسات مباشرة وهامة على تونس على جميع المستويات. من الضروري أن تستعيد تونس المبادرة من خلال استعادة موقع في الاقتصاد الليبي أخذ يضيع ومن خلال الدفع في اتجاه مصالحة وطنية حقيقية بين الأشقاء الليبيين وقد يكون لتخلص الرئيس المقبل من «إرث سياسي مع ليبيا» دورا هاما في الدفع في اتجاه دور أكثر فاعلية لتونس في ليبيا خاصة إذا ما وقع الاختيار الأمثل لوزير الخارجية وللدبلوماسيين التونسيين في ليبيا وتمسك الرئيس المنتظر بان لا يشاركه أي طرف صلاحياته في الاشراف على السياسة الخارجية.

في المقابل فان الباجي قايد السبسي حقق ما يمكنه اعتباره نقلة نوعية في ما يتعلق بمكافحة الإرهاب. لقد عاشت تونس خلال السنوات الأولى التي تلت الثورة حالة من «التطبيع الذهني» مع الإرهاب من خلال عدم الاعتراف بوجوده أحيانا والتراخي في التصدي له وتمكين «أجنحته المدنية» من التظاهر والاجتماع والاعتداء على المواطنين والسفارات الأجنبية وهو ما أدى إلى حدوث جريمتي اغتيال سياسي هذا بدون أن ننسى استقبال منظري الإرهاب في قصر قرطاج وفي أهم مؤسسات الدولة. الباجي قايد السبسي أبعد من خلال الإعلان الدوري عن استمرار حالة الطوارئ الملف الأمني وخاصة التصدي للإرهاب عن التجاذبات السياسية ولم يوظفه لوضع العصا في عجلة العمل الحكومي. الباجي قايد السبسي حاول من خلال اشرافه على مجلس الأمن القومي الدفع في اتجاه صرامة أكبر في التعامل مع الإرهاب وفي تفكيك أهم الغازه كالاغتيالات السياسية وما يتردد من حديث عن امتلاك حركة النهضة لجهاز سري. ولكن الباجي قايد السبسي لم يستطع الوفاء بوعد انتخابي قطعه على نفسه بالكشف عن خفايا اغتيال الشهيدين شكري بلعيد والحاج محمد البراهمي. ومن المفترض ان يواصل رئيس الجمهورية المقبل على طريق التصدي للإرهاب وان يهتم أكثر بملف اغتيال الشهيدين شكري بلعيد والحاج محمد البراهمي وان يزيح الغموض عن مسألة الجهاز السري لان ذلك سيساهم في دعم أسس المصالحة الوطنية وفي نزع فتيل الاحتقان والتوتر وهو ما يعود بكل تأكيد بالفائدة على مختلف مناحي الحياة في تونس.

المساواة في الإرث ومفارقات الثورة التونسية

د. إقبال الغربي

سيظل اسم الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي مقترنا بكونه أول رئيس تونسي انتخب بطريقة ديمقراطية شفافة ومقترنا بدعوته للمساواة في الإرث.

والمساواة في الإرث هي إحدى المسائل الأكثر إثارة للجدل من بين سلسلة من الإصلاحات اقترحتها لجنة الحريات الفردية والمساواة التي شكلها المغفور له الرئيس الراحل في صيف 2017. وفي هذا الإطار أكد أن حقوق الإنسان كل لا يتجزأ وأن من شروط تطور المجتمعات، في أرض الإسلام، النهوض بوضعية المرأة وتحرير طاقاتها. ذلك أن تحقيق المساواة بين الجنسين شرط من شروط تحقيق الديمقراطية، إذ انه لا ديمقراطية بدون مساواة ولا تنمية حقيقية بدون القضاء على التمييز بين المرأة والرجل.

وقد قامت هذه اللجنة بمراجعة مختلف القوانين التي أصبحت متعارضة مع دستور الجمهورية الثانية الصادر في العام 2014، علماً أن هذا الدستور الجديد قد أقر المساواة التامة بين النساء والرجال ومنع التمييز بين المواطنين على أساس الدين أو المعتقد، أو العرق، أو الجنس طبقا لفلسفة حقوق الإنسان، وهو ما يستلزم ملاءمة مختلف القوانين مع ما ورد في هذا الدستور.

ويطمح مشروع القانون المعروض إقرار المساواة في الإرث كقاعدة عامة مع تمكين المواطنين الراغبين في الاستثناء منها، سواء لأسباب دينية أو شخصية أو غيرها، من خلال عقد لدى عدول أو وصية، حسب ما ينص عليه المقترح.

وقد أثارت هذه المبادرة التشريعية جدلا شديدا ليس في تونس فحسب، بل في العديد من الدول العربية والإسلامية الأخرى وصل إلى درجة التظاهر والاحتجاج في الشوارع بذريعة أنها تتصادم مع أحكام الشريعة الإسلامية وتزعزع ثوابت الأمة. في حين أن مسألة الميراث هي بالأساس اقتصادية لأنها تهمّ أسلوب توزيع الثروة داخل العائلة. ومن البديهي أن يرتبط أسلوب توزيع الثروة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل عصر ولكل حقبة تاريخية.

فاليوم يفرض هذا التعديل القانوني نفسه باسم الديمقراطية التي تعد مسألة المساواة التامة بين مواطنيها في الواجبات والحقوق إحدى ركائزها وحسب أحكام الدستور الجديد، باعتباره النص المؤسس للعقد الاجتماعي النّابع من الثّورة.

فالدولة المدنية والديمقراطية هي دولة لكل مواطنيها وهي تعاملهم على قدم المساواة، متعالية على خصوصياتهم واختلافاتهم العرقية والجنسية والدينية وهوياتهم الصغرى.

وهذا ليس غريبا عن تراثنا الإسلامي فالإمام محمد عبده أقر بتعالي الدولة وحيادها عندما قال «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين» وهو أيضا ما أكده الزعيم الأزهري سعد زغلول في شعاره الشهير «الدين لله والوطن للجميع».

من جهة أخرى فإنّ دراسة مدقّقة لتحوّلات المجتمع التّونسي، من شأنها أيضا أن تُقدّم حججا حاسمة دفاعا عن هذا التغيير التشريعي.

وبالفعل فان الديناميكية الاجتماعية قد أفرزت في المجتمع التونسي، خلال العقود الأخيرة، تحولات بنيوية وسوسيولوجية كانت منتوج عوامل مختلفة، داخلية وخارجية، أثرت على منظومة القيم وأنماط تمثلها ومسالك تطورها في الأوساط الاجتماعية.

لقد مكّن تقسيم العمل الحديث من زعزعة المشهد التقليدي الذي كان يقوم على مبدأ تقسيم جنسي للوظائف والأدوار. كما حدثت تحوّلات في علاقات الهيمنة التي كانت مرتبطة بالجنس والسنّ، ولم يعد الزّوج / الأب هو المسؤول الوحيد عن تسيير المؤسّسة العائلية والمتصرّف في مواردها الاقتصادية، إذ استبدلت سلطته باتجاه الشراكة الزوجية وتقاسم المسؤوليات والقرارات العائليّة بين المرأة والرجل.

كما أن انتشار التعليم وتراجع نسبة الأمية وولوج المرأة سوق الشغل أسهم في تعميم نموذج الأسرة النووية، وهو ما مثل في تونس معطى سوسيولوجيا من الدرجة الأولى. وقد تجسد هذا النموذج في تراجع ظاهرة الزواج بالأقارب التي كانت تحمل مضامين عشائريّة وفي الحد من خصوبة المرأة وعدد الاطفال وفي انفراد الأسر التونسيّة بمساكن مستقلة مثلا.

كما تبين الإحصائيات أن عدد الإناث يفوق عدد الذكور في جميع مسالك التكوين المدرسي والجامعي.

وتفصح البيانات الخاصّة بالتعليم العالي عن نسب أرقى للأداء الدراسي للإناث. فمنذ 1999، بدأ الفارق في عدد البنات المسجّلات كطالبات في القطاع العمومي يرتفع حتى بلغت نسبة البنات– سنة 2014–2015 63,5 في المئة من مجموع الطلبة. وعموما، وفي جميع المجالات تقريبا، تتجاوز نسبة البنات نسب الذّكور. بل إن الإناث يصدر الهيمنة على مسالك التعليم الأكثر انتقائية في التعليم العالي بتونس ألا وهي العلوم الأساسية والطبّ والهندسة. وقد أنتجت هذه الثورة التعليمية تحولات في تصورات وسلوكيات الأسرة التونسية من أبرز مظاهرها تقلّص التمييز الذي كان يفصل الذكر عن الأنثى.

وقد انعكست هذه المؤشرات على الدور الاقتصادي والمالي للمرأة في الأسرة. فقد بيّن تحقيق أجراه مركز الدراسات والبحوث والتّوثيق والإعلام حول المرأة فيما يتعلّق بالمال في العلاقة الزوجية أنّ غالبية النساء يساهمن في مصاريف الأسرة. وهو ما يعني، بالنّظر إلى نسبة النشاط النسائي، أنّهنّ يخصّصن لا فقط رواتبهن الشهرية لتلبية حاجيات أفراد العائلة بل أيضا ممتلكاتهنّ. كما تشير الدراسات إلى أن 72 في المئة من النساء النشيطات المشتغلات يخصّصن كامل دخلهنّ لمصاريف الأسرة. كما أنّ ما يقارب ربع القروض البنكية الممنوحة لتمويل السّكن العائلي بين 2011 و2015 تحصّلت عليها نساء.

كما تضطلع غالبا المرأة بالعناية بالأطفال وبالإحاطة بالأقارب المسنين أو غير القادرين على القيام بشؤونهم بمفردهم داخل العائلة في ضل محدودية وهشاشة مؤسسات الدولة.

ولكن رغم نجاحاتها ظل التمكين الاقتصادي للمرأة محتشما. فرغم مساهمة المرأة في خلق ومراكمة الثروة تبين الإحصائيات أن نسبتهن كصاحبات أعمال وكمستثمرات مستقلات لا تتجاوز 9,4 في المئة أما في مجال ملكية الأراضي الزراعية فلا تتجاوز هذه النسبة 3,3 في المئة.

وتبرز هذه الإحصائيات حجم الاختلال العميق في توزيع الثروة في تونس وحيف التمكين الاقتصادي والمالي بين الجنسين. فالمساواة في الإرث ستنصف المرأة التونسية وستفتح الباب أمامها للتمكين الاقتصادي فضلا عن كونها ستحد من ظاهرة التقتير والتهميش والتعنيف المسلط عليها.

وفي خضم التحولات التي يعيشها اليوم المجتمع التونسي تبقى مسألة المساواة التامة أفقا تحرريا ومعيارا للتمييز بين مريدي الدولة الدينية والطامحين إلى دولة المواطنة الكاملة.

الرئيس الراحل محرك أساسي للدبلوماسية الاقتصادية
أي سياسة اقتصادية بعد الباجي؟

تونس-«القدس العربي»:

«تجربتنا الديمقراطية هشة ما دمنا لم نحقق تقدماً اقتصادياً» تلك المقولة قالها الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي في آخر حوار أدلى به لـ «القدس العربي» وهي تؤكد أن الرئيس التونسي كانت له رؤية خاصة للوضع الاقتصادي الصعب في البلاد، وأن هذا الملف هو من الأهمية بمكان من أجل إنجاح مسار البلاد وديمقراطيتها الناشئة.

ويجمع المتابعون للشأن الاقتصادي على الدور الهام الذي لعبه الرئيس الراحل في إرساء دبلوماسية اقتصادية كان لها أثرا بالغا في انتعاش الوضع في البلاد رغم كل التحديات. فمن بين الملفات التي أولاها عناية خاصة هو الملف الاقتصادي رغم ان الدستور التونسي منح هذا الملف بالأساس لرئيس الحكومة، وأوكل لرئيس الجمهورية وزارة الخارجية والدفاع.

وعلى غرار الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة، لم يكن الباجي قايد السبسي رجل اقتصاد، بل كان سياسيا بامتياز نال الحقائب السيادية زمن بورقيبة وهي الداخلية والدفاع والخارجية. وحتى اضطلاعه بملف السياحة مع بداية الاستقلال قبل التحاقه بوزارة الداخلية مديرا عاما للأمن الوطني، لم يكن كافيا ليجعل منه مخططا بارعا للسياسات الاقتصادية وبقي وفيا للبورقيبية حتى من هذه الناحية حيث كان الزعيم يوكل إدارة الملفات الاقتصادية بصورة مطلقة إلى أعضائه ومنهم أحمد بن صالح والمرحوم الهادي نويرة.

لكن سعة علاقات الباجي قايد السبسي داخليا وخارجيا، والتي اكتسبها من مسيرة سياسية طويلة وثرية يصعب النسج على منوالها، ساهمت في اكتساب تونس ثقة عديد المؤسسات المالية التي كانت تستجيب لطلبات الدولة التونسية رغم التأخر في القيام بالإصلاحات. كما كان وجود الرئيس الراحل على رأس السلطة واستغلاله لشبكة علاقاته الخارجية سببا في نيل تونس للدعم المالي من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وبعض بلدان مجلس التعاون الخليجي.

دور هام

المحلل الاقتصادي والمالي معز الجودي اعتبر لـ«القدس العربي» أن الرئيس السبسي لم تكن لديه صلاحيات دستورية كبيرة، فحسب الدستور فإن للرئيس حقيبة الخارجية والدفاع فقط في حين ان المسائل الاقتصادية لدى الحكومة، لكن الرئيس كان فاعلا في المجال الاقتصادي من ناحية مكانته وصداقاته وعلاقاته على المستوى الدولي. ويضيف: «علاقة الرئيس الراحل بكريستيا لاغارد المديرة العامة للصندوق الدولي كانت جيدة، فالباجي كان محاورها الرئيسي وكانت هناك ثقة متبادلة بين الطرفين كان لها تأثير واضح على سياسة الصندوق تجاه تونس. ففي الأعوام الأخيرة قدم الصندوق دعما كبيرا لتونس وسارع في تحويل عديد الأقساط لبلادنا في شكل قروض فاقت 5 مليارات دولار وكان ذلك مع تباطؤ المؤشرات الاقتصادية ورغم تأخر تنفيذ الإصلاحات المطلوبة». من هنا اعتبر ان صندوق النقد كان متسامحا نوعا ما مع تونس والفضل يرجع في جزء منه إلى العامة ويعطيها إشارات إيجابية والشيء نفسه مع دول أخرى مانحة منها الاتحاد الأوروبي وأمريكا. فخبرته في مجال العلاقات الخارجية ومكانته على المستوى الدولي جعلته يطمئن الممولين الأجانب. ويضيف محدثنا: «الباجي لا يمكن تعويضه من هذه الناحية بسهولة والرئيس القادم مطالب بلعب هذا الدور الذي كان يلعبه السبسي وليس أي رئيس جمهورية سيكون له الماضي والكاريزما وشبكة العلاقات التي كان يمتلكها الباجي. فعلى المستويين المالي والاقتصادي سيكون خسارة لتونس».

ويوضح ان الباجي قايد السبسي كان يلعب دورا كبيرا في أرساء نوع من التوازن على مستوى المشهد السياسي ما بين الأطراف المتناحرة والجهات السياسية التي تخدم في مصالحها. فالباجي لعب دور الوسيط، والاستقرار الذي كان موجودا نسبيا يرجع في جزء كبير منه إلى هذه السياسة الحكيمة التي اتبعها، فالرئيس القادم يجب ان تكون لديه الخصال نفسها وان يكون ملما بكيفية ابراز صورة جيدة لتونس وفي اعطاء دفع للدبلوماسية الاقتصادية التي تلعب دورا كبيرا في تحسين الوضع الاقتصادي في البلاد».

وعن الوضع الاقتصادي والى أين يسير يضيف محدثنا: «الوضع الاقتصادي صعب للغاية، فنسبة المديونية في حدود 77.1 في المئة وستصل آخر العام إلى 83 في المئة وهناك تفاقم في العجز على المستوى التجاري وربما تغلق سنة 2019 مع عجز بقيمة تفوق الـ 20 مليار دينار تونسي. كما ان هناك اشكالا على مستوى التضخم المالي الذي انخفض لكنه مرتفع نسبيا وهناك غلاء معيشة وتدني القدرة الشرائية للمواطن التونسي والبطالة مرتفعة ونسق النمو الاقتصادي ضعيف جدا يصل إلى حدود الـ 1 في المئة وهي نسبة ضعيفة لا توفر للدولة التونسية الموارد اللازمة لكي تجابه النفقات». ويرى الجودي ان المؤشرات الاقتصادية تدل على هشاشة الوضع الاقتصادي ولئن تحسن مستوى صرف الدينار التونسي في المدة الأخيرة لكنه لم يتعاف بشكل كامل وهذه الانتعاشة ظرفية وتقف وراءها موارد أجنبية وقروض بالعملة الصعبة وتونس مطالبة بإعادتها بنسبة فائدة مرتفعة. فالوضع الاقتصادي حساس وإلى حد الآن لا أرى تطورا في هذا الوضع وليست هناك إصلاحات بالنسق اللازم».

ويرى المحلل الاقتصادي ان المطلوب من التونسيين أثناء عملية التصويت ان يختاروا جيدا أصحاب البرامج الجيدة والذين يمتلكون تشخيصا واضحا للوضع الاقتصادي ويضعون الاقتصاد كأولوية قصوى في المرحلة المقبلة ويجب ان يتفادوا التصويت لمن يعطي وعودا زائفة وهي حكمت خلال الأعوام الماضية وبرهنت عن فشلها في إدارة الوضع الاقتصادي».

السنة الحادية والثلاثون العدد 9631 الأحد 11 آب (أغسطس) 2019 – 10 ذو الحجة 1440 هـ

هل سيدخل رئيس إسلامي قصر قرطاج؟

نزار بولحية

من بين أكثر من خمسين ملف ترشح قدمت إلى حدود الجمعة الماضي تاريخ غلق باب الترشحات للانتخابات الرئاسية السابقة لأوانها في تونس، هناك على الأقل ملفان إثنان لوجهين إسلاميين بارزين أعلنا عزمهما على خوض السباق الانتخابي الرئاسي المقرر منتصف الشهر المقبل. الأول هو لحمادي الجبالي رئيس الحكومة الأسبق وقد تقدم كمرشح مستقل، أما الثاني فهو للشيخ عبد الفتاح مورو نائب رئيس البرلمان وقد ترشح جدا من أجل الحكم لهما أو لحليفها قبل ان تظهر النتائج النهائية للاقتراع. لكن السؤال الذي سيبقى عالقا في الأثناء وبغض النظر عن حظوظ الرجلين وقدرتهما على اقناع الناخبين بجدارتهما بالمنصب هو ان كانت الدولة التي خرج رئيسها الراحل العام الماضي ليؤكد في خطاب رسمي على أن لا علاقة لها «بحكاية الدين أو القرآن أو الآيات» ووصف القول إن مرجعيتها دينية بـ«الخطأ الفاحش» ستقبل في نهاية السباق الديمقراطي نحو قصر قرطاج بأن تفتح أبوابها لشخص محافظ ينتمي للعائلة الإسلامية وتسلمه مقاليدها ان حالفه الفوز بالطبع في الاستحقاق الانتخابي. ولا يتعلق الأمر هنا باستعدادها وقابليتها الدستورية والقانونية الصرفة إذ لا شيء على ذلك الصعيد يجعلها حكرا على طرف دون الآخر، بقدر ما يخص جوانب أخرى غير مكشوفة في الغالب وتمثل شبه عازل معنوي ونفسي يحول دون انفتاحها الكامل على كل الحساسيات وخصوصا الإسلامية منها وهي التي يمكن ان نسميها بإرث وممارسات الرئيسين السابقين بورقيبة وبن علي والتي تحولت إلى ما يشبه الضوابط المفروضة تحت ستار ما كانا يعتبرانه تحديثا وقطعا مع الرجعية والتعصب.

التدرج وطمأنة الخصوم

ولعل ما قد يقوله قادة حركة النهضة التونسية الآن أن هم سألوا عن ذلك هو أن تلك الفترة ولت وانقضت وصارت وراءهم وان من سيحكم بالأخير هو الشعب، وان الصناديق وحدها هي التي ستظهر ما يريده التونسيون وما لا يريدونه وسيكون الفيصل بين الجميع هو الدستور. أما أن مضى أحد أبعد من ذلك وسألهم بعدها عن الفرق بين تجربتهم وتجربة جيرانهم في أرض الكنانة، فلعلهم سيقولون أيضا إن تونس ليست بأي حال من الأحوال مصر وأنهم كانوا وما زالوا مقتنعين ربما على عكس الإخوان المصريين بأن الأولى في المراحل الانتقالية هو التدرج وطمأنة الخصوم والتفكير في الشراكة والتوافق الوطني الواسع. ولعلهم قد يقولون كذلك ان صلاحيات الرئيس التونسي ليست هي نفسها صلاحيات الرئيس في مصر وان لا مجال للمقارنة أبدا بين ما يمنحه المنصب هناك من سلطات واسعة وعريضة وما يعطيه هنا من مجالات مقيدة ومضبوطة، وان مجلس النواب هو قطب رحى النظام السياسي التونسي شبه البرلماني على النقيض من النظام السياسي المصري الذي يدور في فلك فرد واحد. ولكن المعنى الرمزي لترشح قيادي في حزب إسلامي إلى الرئاسة للمرة الأولى في تاريخ تونس يجعل الأمر أكبر من ذلك ويتجاوز حالة البحث عن شروحات أو تفسيرات دستورية ويعيد بالمقابل للكثيرين داخل تونس وخارجها من حيث شعروا أم لا تلك المآلات الأليمة لتجربة الإخوان في مصر وما أعقبها من وقف دموي للمسار الديمقراطي بأكمله وإعادة عجلة الاستبداد للدوران تحت ذريعة الحفاظ على الدولة. ومن الطبيعي أن يستغرق نضوج فكرة كتلك واختمارها وقتا طويلا نسبيا.

النهضة المنفتحة

ولكن ما الذي جعل أغلبية أعضاء مجلس شورى النهضة يدفعون بقوة نحو خيار كانوا يدركون جميعا ما يحف به من صعوبات ومعوقات وربما حتى أخطار داخلية وخارجية؟ وهل أنهم صاروا واثقين تماما من أن قصر قرطاج لم يعد موصدا في وجوههم وأنه بات بالفعل مفتوحا أمام كل التونسيين على اختلافهم وتنوعهم وتقلب أطيافهم من علمانيين إلى إسلاميين؟ لقد قدم قيادي بارز في حركة النهضة هو عبد الحميد الجلاصي المرشح النهضاوي للرئاسة على انه «نهضة منفردة» و«نمط لوحده» ووصفه في مقابلة تلفزيونية مع قناة «الحوار» الفضائية بانه «أكثر شخصية من النهضة تشبه التونسيين» وأضاف عنه أي عن الشيخ عبد الفتاح مورو بانه «يمثل نوعا من النهضة المنفتحة التي لا تمثل مجمل النهضة في المخيال التونسي». ولا شك أن جزءا كبيرا من تلك التمثلات والقراءات قد خطرت على بال أعضاء مجلس الشورى الذين انهوا اجتماعاتهم مساء الثلاثاء الماضي ووضعوا حدا لحالة من الترقب والانتظار لمعرفة العصفور النادر الذي قصده الشيخ الغنوشي عند حديثه عن المرشح الذي سيحظى بدعم النهضويين في السباق الرئاسي. لقد قلبوا الأمر على أكثر من وجه ليخرجوا في الأخير بقرار مفاجئ لم يكن منتظرا بالمرة وهو ترشيحهم لقيادي إسلامي من داخلهم وكان واحدا من المؤسسين لحركتهم حتى يخوض سباق الانتخابات الرئاسية السابقة لأوانها تحت لافتة الحزب بدلا من يدعموا مرشحا من خارجه كما كان متوقعا. وكان القرار وبكل المقاييس بمثابة الصدمة.

فقد خالف الإسلاميون التونسيون في هذه المرة النهج الذي سلكوه في آخر استحقاق انتخابي رئاسي وهو عدم التقدم بمرشح والبقاء على الحياد ولم يعلنوا دعمهم لمرشح من خارج حركتهم كما تردد بقوة منذ فترة بل قدموا صراحة مرشحا منهم لخوض السباق نحو قصر قرطاج. ولكن شخصية المرشح النهضوي كانت جديدة بالتأمل. فالشيخ مورو ورغم سجله الطويل داخل الحركة الإسلامية الا انه لم يكن يحظى دائما بإجماع واسع داخلها وكان أكد الأربعاء الماضي ان «لا فيتو على النهضة من القوى الديمقراطية في العالم وانه ان كان هناك فيتو عليها من القوى غير الديمقراطية فهذا لا يعنينا» إلا انه ليس من الوارد ان لا تكون الحركة قد أخذت وهي تقرر ترشيح مورو المحيط الإقليمي والدولي المعادي لها وللثورات بشكل عام بعين الاعتبار. ولعل النقطة التي ستحاول اللعب عليها واستغلالها خلال الانتخابات هي في احتدام التنافس المتوقع بين مرشح يحظى بدعم أمريكي وهو وزير الدفاع المستقيل ومرشح آخر يحظى بدعم فرنسي وهو رئيس الحكومة الحالي. وقد يمنح تشتت أصوات المعسكر العلماني أو الحداثي وتوزعها بين الرجلين المرشح النهضوي مجالا أكبر للمنافسة والمناورة ربما في حال ما إذا تمكن من الوصول إلى الدور الثاني من الانتخابات. ولعل الوصول لذلك الدور هو هدف في حد ذاته من وراء الترشح للانتخابات. فحركة النهضة لا تنظر للحكم إلا كسلة متكاملة تجتمع فيها العناصر الثلاثة أي البرلمان ورئاسة الدولة والحكومة ولا ترى نفسها جديرة بعنصر من تلك السلة أكبر أو أهم من البرلمان على اعتباره الآن قطب رحى النظام السياسي. ولذا فإنها ستدفع بمرشحها حتى يحاول الفوز في الدور الأول والمرور للثاني ليسهل عليها التفاوض ربما لاحقا على ائتلاف سياسي مقبل فيما ستظل عيونها بعيدة عن قصر قرطاج ومصوبة بشكل مباشر نحو القصر الآخر أي قصر باردو مقر البرلمان.

أما لماذا كان كل الحديث منحصرا عن مرشح إسلامي واحد فربما لأن المرشح الثاني وهو المستقل حمادي الجبالي لن يكون بمقدوره أن يحلم طويلا بقصر قرطاج من دون أن يحصل على الأقل على دعم كامل من حركة النهضة التي أعلنت رسميا عن دعم مرشحها مورو. ولأجل ذلك فستكون مهمته صعبة جدا وربما سيكون له مثل آخرين شرف المحاولة فقط. ومن يدري فقد تحمل لنا النتائج حين الإعلان عنها ما يخالف كل التوقعات والتكهنات المسبقة وتكسر نهائيا وللأبد عقدة الإسلاميين التونسيين والرئاسة!

Volume 31 - Issue 9631 Sunday 11 August 2019

تونس السّائرة على درب الديمقراطية: لا غيوم تحجب أفقها السياسي التعدّدي

لطفي العبيدي

أثبتت جميع القوى السياسية والمدنيّة في تونس التفافها حول المصلحة الوطنية وقدرتها على اظهار المسؤولية في لحظة المحن والهزّات الكبرى التي تعوّد الجمهور العربي أن يُتابع صورها المشهدية بشكل مخالف تماما لما حدث في تونس إثر وفاة رئيس الجمهورية، من قبيل حالة الطوارئ وارتباك المشهد العام ونزول الجيش وإعلان حظر التجوال. على النقيض من ذلك استمرّت الحياة طبيعية، وحافظت الدولة بجميع مؤسّساتها على استقرار الأوضاع واستمرارية المسار الانتخابي مع تعديل جزئيّ في تاريخ الاقتراع المتعلّق بالمنافسة الرئاسية. وقد أثبتت بشهادة قادة غربيين أنّها نجحت في بناء مؤسّسات دولة، وفي ترسيخ ثقافة تداول سياسي وانتخابي عمادها الدستور، الأمر الذي يسّر نقل السلطة بوقت قياسي لا يتعدّى الساعات القليلة بعد وفاة الرئيس.

وفي الأثناء طفت على المشهد السياسي تحالفات سياسية جديدة تفتح المجال على أكثر من احتمال، وقد يكون مؤشّرها الأوّل خلط الأوراق وتقليص حظوظ الزعامات السياسية التقليدية، وإن كان هناك من يراها انتخابات من دون أحجام سياسية وحظوظ انتخابية ما قبليّة، خاصّة عندما يسود الاعتقاد بأنّ الرهانات الاقتصادية والاجتماعية ستكون بمثابة الأولويات في ذهن أغلب الناخبين الذين اختبروا المسارات الانتخابية السابقة، تلك التي احتدم فيها الاستقطاب الأيديولوجي وغابت عنها الأفكار والبرامج الواقعية ورؤى تغيير الوضع الاجتماعي والمعيشي. ما يعني تقلّص مساحة الدعاية السياسية التي تحتكم إلى المناكفات الضدّية والصدام الأيديولوجي بين «حداثيين ورجعيين» على نحو الاصطفاف «العلماني الإسلاموي» الذي برز في انتخابات 2011 وازداد تفاقما في انتخابات 2014 إثر الاغتيالات السياسية لزعماء اليسار وحصر ممثّلي «الإسلام السياسي» في زاوية الاتّهام والمسؤولية الأخلاقية.

ويخشى الائتلاف الحكومي اليوم الدور السياسي الذي يُوصف «بالمشبوه» لبعض من ينعتُهم «برموز الفساد وتبييض الأموال» والعائلات المالية المتنفّذة التي اقتحمت المشهد السياسي وتحاول اكتساح الانتخابات مرتكزة على دعاماتي المال والإعلام، خاصّة بعد أن وضعتهم استطلاعات الرأي في مراتب متقدّمة في مؤشّر الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وبعد أن رفض الرئيس الراحل منطق اقصائهم في تنقيح دستوري قُدّم إليه. وأبرز هؤلاء رجل الأعمال نبيل القروي رئيس حزب حديث النشوء «قلب تونس»، وهو الذي بحث في السنوات الأخيرة على تحصيل رصيد شعبيّ عبر توزيع مساعدات خيريّة للمهمّشين اجتماعيًا مستغلاً قناته التلفزيونية الخاصّة في الدعاية والتوجيه. وفي الأثناء يحظى الأكاديمي المستقلّ قيس سعيد بثقة نسبة هامّة من الشعب، وقد كسب فيما يبدو تعاطف من رأى فيه نظافة اليد ووضوح الرؤية ونكران الذات خاصّة من فئة الشباب المتعلّم الذي ضاق التهميش والاقصاء وكره المتحزّبين وأدوارهم السياسية النفعيّة. كذلك سيخوض غمار المنافسة وزير الدفاع الحالي عبد الكريم الزبيدي الذي سيحظى بدعم ما تبقّى من حزب نداء تونس، وأيضا رئيس الجمهورية الأسبق المنصف المرزوقي، والصافي سعيد الذي يقدّم نفسه «مثقّفا عروبيًا» ورئيس الحكومة الأسبق المهدي جمعة، إضافة إلى حمة الهمامي والمنجي الرحوي وجمعي اليسار اللذين سبّب خلافهما الشخصي حول اختيار مرشّح الجبهة الشعبية انقساما داخل هذا التحالف الانتخابي السياسي الذي تقلّصت حظوظه بعد أن انحصرت معاركه في التمثيليّة القانونية للحزب على شاكلة ما يحدث في حزب نداء تونس.

تغيير مشهد الحكم

جميع هؤلاء المترشّحين «الجدّيين» يدخلون السباق الانتخابي راغبين في تغيير مشهد الحكم وإزاحة الأحزاب المشاركة في الائتلاف الحاكم عبر استثمار أدائهم السيء على نحو تدهور الوضع الاجتماعي، وضعف تسيير الدولة والأزمة الاقتصادية التي يُحمّلون مسؤوليتها أساسا لحزب «حركة النهضة» وحليفها في الحكم يوسف الشاهد الذي يترأس حزب «تحيا تونس». ويبدو أنّ حركة النهضة قد تخلّت عن دعم الشاهد بعد عناء التشاور في الغرف المغلقة، والمواقف المتضاربة داخل مجلس الشورى انتهت إلى اختيار نائب رئيس مجلس النواب عبد الفتاح مورو، أبرز الوجوه المعتدلة داخل الحركة وأحد مؤسّسيها، مستثمرة خطابه الرصين وانفتاحه السياسي والفكري الذي وفّر له قدرا هامّا من القبول الأدبي لدى فئات سياسية وشعبية واسعة. وفي هذا السياق العام تبدو الملفات الاقتصادية والاجتماعية في قلب أولويات التنازع الانتخابي بالمعنى البراغماتي للأولويات التي تهمّ الطبقات الشعبية.

واجمالا، هناك مستفيدون من هذا المشهد الانتخابي المشتّت الذي سيتجاوز الأربعين اسما يُقدّمون ترشّحهم لمنصب رئاسة الجمهورية، ويحظى كثيرون منهم بدعم دوائر أجنبية ومراكز قرار دولية في لندن وواشنطن وباريس وبرلين وأنقرة، اضافة إلى أقطار خليجية. بما في ذلك حركة النهضة التي قام بعض قياداتيها بجولة شملت أكثر من دولة في الاتّحاد الأوروبي في نوع من التّطبيع السياسي، وترك الانطباع الايجابي لديهم حول دور النهضة في تهدئة الأوضاع المشتعلة في ليبيا عبر استثمار علاقاتها مع التيارات الإسلامية المقاتلة في هذا البلد الجار لتونس والمؤثّر جغرافيا عبر نافذة البحر الأبيض المتوسّط وما تعنيه من موجات الهجرة غير الشرعية والتطرّف والإرهاب الذي يرغب القادة الأوروبيين في تجفيف منابعه وبؤر تصديره. وبدون أن نقلّص من أهمية الوعي النسبيّته، يمكن القول أنّ المفاجأة بالمعنى الذي يُخالف أفق الانتظار واردة، خاصّة في دورة الانتخابات الرئاسية التي ستؤثّر نتائجها لا محالة في بقية المشوار الانتخابي. وإن كانت بوادر هيمنة الحزب الواحد على السلطتين التنفيذية والتشريعية اتّضحت مع حزب النهضة الذي يقدّم لأوّل مرّة في تاريخه مرشّحا للرئاسة، مع يقينا الراسخ أنّ الحركة تبحث في الوقت نفسه عن ايجاد التّوافق الذي تحتاجه تونس في الظروف الحالية، وقد يتمّ ذلك مع حزب يوسف الشاهد إذا ما أنصفتهم النتائج. ولكنّ هذا السيناريو يزعج الكثيرين، لأنّ فيه بقاء تركة الحكم كما هي على قاعدة «الاقطاع السياسي» وتكرار الائتلاف الحاكم الحالي الذي لم يقدّم حصيلة إيجابية على مدى خمس سنوات من حكم البلاد تفاقمت فيها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية واستشرى الفساد. الأمر الذي يعزّز آمال المراقبين للمشهد السياسي بأن تُفرز نتائج الانتخابات تلوينات مختلفة داخل البرلمان، فسيفساء حزبية ومستقلّين، تُغيّر مشهد الحكم الرّاكد وتُثبّت مصداقية المسار الديمقراطي التعدّدي في البلاد.

الصراع الأيديولوجي

الرئيس الرّاحل كان له دور كبير في إدارة العملية السياسية في مرحلة الصراع الأيديولوجي والتجاذبات الحزبية والتوتّر الإقليمي، وقد ترك بلدا ملتفّا حول مؤسّساته بوطنية عالية. وستُنظّم فيه انتخابات حرّة وشفّافة، وجميع التونسيين يتساءلون هذه الأيام حول من يصلح لمنصب رئيس الجمهورية الذي يبقى في أذهانهم هرم القيادة رغم محدودية الصلاحيات الدستورية التي منحها النظام السياسي الجديد لهذه المؤسّسة. ونرجو أن يكون الرئيس القادم قادرا على رسم اختيارات واضحة، ولديه من الأفق السياسي ما يؤهّله الحفاظ على الديمقراطية الناشئة وحماية «الاستثناء التونسي» ضمن ربيع عربي تحوّل إلى شتاء في باقي المحيط الإقليمي. ويكفي أن يحدث اجتهاد جماعي يدفع نحو الوَحدة الوطنية التي لا تمنع التعدّد والاختلاف، ويواصل بناء المؤسّسات الدستورية الوطنية وترسيخ ثقافة المواطنة، وتحسين مردودية الاقتصاد ليشمل مناطق واسعة من البلاد طالها التهميش والاقصاء وانتظرت تحسين أوضاعها بعد الثورة التي شاركت فيها بقوّة وأملت خيرا منها. وبالإمكان تفعيل الديبلوماسية الاقتصادية لأنّ التطوّر السياسي والديمقراطي يبقى منقوصا إذا لم يواكبه نموّ اقتصادي من شأنه إزالة حالة الاحباط العامّة لدى جمهور التّونسيين الذين ينتظرون انتقالا اقتصاديا ووضعا اجتماعيا أفضل.

تونس ستختار في النهاية الكفاح الديمقراطي والعدالة الاجتماعية بديلا للإقطاع السياسي واحتكار الثروة والنفوذ تحت عناوين الاستقطاب المناطقي والأيديولوجيات المغلقة وصراع الأحزاب واللوبيات والتدخّل الخارجي.

حوار

عز الدين ميهوبي الأمين العام للتجمع الوطني الديمقراطي الجزائري:

الجيش شكل الاستثناء باحترام الدستور ورفض إغواءات السلطة

حاوره: كمال زايت

قال عز الدين ميهوبي الوزير السابق والأمين العام بالنيابة لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، إن مهمته على رأس هذا الحزب الذي يوجد أمينه العام السابق في السجن ثقيلة، مشيرا إلى أن ما حدث في 22 شباط/فبراير كان هزة عنيفة لم يتوقعها أحد، ولا يمكن لأي حزب أو تنظيم أن يدعي وصايته على الحراك، مشيدا بالدور الذي لعبه الجيش منذ بداية الأزمة السياسية، لأنه حفظ دروس التاريخ السياسي الجزائري، ورفض الدخول في متاهة المراحل الانتقالية وأدار ظهره لإغواءات السلطة عكس جيوش أخرى أقبلت على السلطة كلية أو تقاسمتها مع جيوش أخرى.

○ أنت اليوم على رأس التجمع الوطني الديمقراطي، هذا الحزب ودعني أقولها لك بصراحة، لديه سمعة سيئة لدى عموم الجزائريين، ويكفي أن نقول إن أمينه العام السابق أحمد أويحيى موجود في السجن بتهم فساد، هل تشعر بثقل المسؤولية ولماذا قبلتها؟

●أي مسؤولية هي ثقيلة مهما كانت طبيعتها، خاصة في الظروف التي تعرفها الجزائر حاليا، وهي تمر بمرحلة تقتضي الكثير من الصبر والحكمة، واستجماع القدرات الذهنية لمواجهة كل الأسئلة التي تطرح. التجمع الوطني مكرس في الساحة السياسية منذ 1997 والجميع يعلم طبيعتها، كانت مؤسسات الدولة مهددة، وكان ضروريا أن تظهر قوة سياسية لتساعدة في مرور بالبلاد من مرحلة انهيار ركائز الدولة، وهو ما حدث. الجيش بكلّ مكوّناته قام بدور كبير في تلك الفترة، في التصدي لقوى الإجرام والإرهاب التي استهدفت الدولة والمجتمع معا، وبالتالي فإنّ استرجاع الشرعية المفقودة يقتضي المرور عبر مؤسسات منتخبة، وكان التجمع الوطني الديمقراطي من الأحزاب التي ساهمت في استعادة هذه الشرعية من خلال أول برلمان تعددي عرفته الجزائر منذ الاستقلال، وعلى صعيد شخصيّ، كنت من الذين انتسبوا إليه منذ تأسيسه، وبالتالي هناك رابطة حميمية بيني وبينه، إذ أصبحت نائبا باسمه عن الدائرة الانتخابية للمسيلة، واستفدت كثيرا من الممارسة البرلمانية، وبقيت وفيا له، رغم الهزات التي عرفها وعرفتها البلاد خلال مراحل كثيرة، إذْ أنّهُ ضم كفاءات قدمت الكثير للجزائر، وإذا كان هذا الحزب قد حصل على 156 مقعدًا في الانتخابات البرلمانية لسنة 1997 فإنه تعرض إلى هزة عنيفة في انتخابات 2002 إذ فقد أكثر من الثلثين، وللتذكير فإنّ النّاس اعتقدوا منذ البداية أنه وُلد من صلب من الإدارة والسلطة.

○ وُلد بشنبات كما يقال.

●نعم، ولد كبيرا بالقامات السياسيّة التي كانت تمثّله.

○ وزُور له في انتخابات 1997؟

●هكذا يقولون.. أيّ انتخابات، في أيّ بلد ولو كان ديمقراطيا، تكون مشوبة بتهمة التزوير.

○ لكن هناك لجنة تقصي حقائق برلمانية أقرت بوجود تزوير كبير.

●تقرير هذه اللجنة لم يظهر.

○ التقرير اختفى...

● لا أدري، ولا علم لي بمصير التقرير.

○ على الأقل في المخيال العام، هذا حزب التزوير، حزب السلطة الأول في عهد زورال، ولما جاء بوتفليقة فضل عليه حزب جبهة التحرير الوطني، أليس صحيحا؟

● من بديهيات السلطة أن يكون هناك حزبٌ حاكم.

○ لكن لا يُزور له، ولا يمنح المقرات والتسهيلات، فضلا عن أنّ كوادر الدولة انتسبوا بشكل جماعي إلى التجمع.

●هذه مسألة اختيار مبنيّة على قناعات، أنا شخصيا لم يسبق لي الانتساب إلى أيّ حزب، التجمع هو أول وآخر حزب انتسبُ إليه، الميلاد كانت تشوبه الكثير من الصعوبات، لأن التوقيت لم يكن سهلا، فحزب جبهة التحرير الوطني عاد من بعيد، فأنا كنت رئيس تحرير جريدة «الشعب» وأذكر جيدا أن الحزب (جبهة التحرير) لم ينل سوى 15 مقعدًا في الدور الأول من انتخابات 1991 الملغاة. الحزب واجه صعوبات في مواجهة الاستحقاقات المقبلة، فالشعور العام الذي كان سائدا في تلك الفترة لدى الكثير في التيار الوطني، أنّهُ، أي التيار، كان يبدي مخاوف على مستقبل البلاد ووحدتها، لذا جاءت مبادرة إنشاء هذه القوة السياسية الجديدة، بالتفاف التنظيمات النقابية والمهنيّة الكبيرة، العمّال والفلاحين والمجاهدين، وشخصيات سياسية كثيرة حول مشروع التجمّع الوطني الديمقراطي، والتوقيت كان مناسبا لإنشاء قوة للمساعدة في إخراج البلاد من الأزمة، هذه مرحلة يمكن أن يكتبَ فيها الكثير، في 2002 تعرض التجمُّع إلى ضربة قوية، وهذا ما حرره من أيّ تبعيّة، وبدأ في التخلّص مما ساد آنذاك من أنّهُ حزب السلطة والإدارة، بدليل أنه في انتخابات 2002 لم يحصل في 15 ولاية على أي مقعد، وربّ ضارّة نافعة.

○ ألا يعود هذا للتغيير الذي وقع في الرئاسة؟ فبوتفليقة لما جاء إلى السلطة أعاد جبهة التحرير إلى الواجهة على حساب التجمع الوطني الديمقراطي؟

● هناك من فسّر هذا التحوّل لكون الرئيس في تلك الفترة قال أنتم تعرفون انتمائي. نحن في التجمّع شعرنا أنّ هناك حاجة لأن يكون لنا حزبٌ ينظر إليه كحزب وطنيّ جمهوريّ عادي كبقية التشكيلات السياسية في الساحة.

○ وهل كان حزبا عاديا؟

● نعم كان حزبا عاديا، وبدأ يعمل على أن يوسّع في قاعدته الشعبية، وهذا ما سمح له تدريجيًا بتحسين مركزه في مختلف الانتخابات، وأصبح عدد منتخبينا يعدُّ بالآلاف في المجالس المحلية، فضلا عن النواب في البرلمان بغرفتيه.

○ كل هذا مطعون فيه، لأنكم حزب السلطة، الإدارة كانوا تدعمكم، الكثير من الوزراء كانوا من التجمع، طوال 20 سنة كنتم جهازا داعما لبوتفليقة، متلكم مثل جبهة التحرير الوطني وغيرها من الأحزاب.

●الحزب عندما تأسس منذ البداية كان هدفه دعم مؤسسات الدولة، لأنّ مفهوم الدّولة عند الجزائريين يكتسي قيمة ذاتيّة، أي لكل جزائريّ نصيبٌ في بناء هذه الدّولة، وممارسة ذلك تتمّ عبر تعهّد حسّ المواطنة، وللحزب مشروعه وتصوره وقناعاته، أما ربطه دائما بكيان معين، فهذه صورة نمطيّة أعتقدُ أنّها في حاجة إلى إعادة تحميض، شخصيا واكبتُ الحزب وسايرت كل مراحله، وأعرف الصعوبات التي تعرض لها في الكثير من الاستحقاقات الانتخابات، بل وتعرّض إلى الكثير من المظالم، ويمكن العودة إلى مختلف الانتخابات، وآخرها انتخابات تجديد مجلس الأمة، ولكننا آثرنا الصمت بعد الذي تعرّضنا له حفاظًا على الاستقرار، وعدم الدخول في سجالات لا تنتهي.

○ وربما فعلتم خوفا من الدخول في صدام مع الرئاسة السابقة، دعنا نتكلم بصراحة كان هناك تيار جارف في عهد بوتفليقة، إما أنك تساير التيار أو يجرفك، أليس صحيحا؟

● قد لا يختلف اثنان حول هذه المسألة، وطبيعي أنّ أيّ مجموعة تسعى للاستفادة من المكونات السياسية لمرحلة معينة لتحقق الكثير من الأهداف. التجمع الوطني كان يسعى للنّأي بنفسه عن الكثير من الممارسات، وهذا ليس بالأمر الهيّن، ولا مغالاة إذا قلت إن هناك مقاومة كبيرة كان يبديها مناضلوه بعد أيّ استحقاق انتخابيّ، وشخصيًا عايشتُ في دورات المجلس الوطني للحزب الغضب الشديد الذي يَعْقُبُ هذه الانتخابات، يعبّر عنه قياديون ومناضلون بسبب السقف المحدود للردّ على ما تعرض إليه الحزب، وهذا يبيّن أن هناك غيرةً كبيرة على الحزب. ولعلّ هذا ما يفسّرُ عدمَ تعرّضه إلى هزات عنيفة بعد حراك 22 فبراير، لأنّ مناضليه مقتنعون أكثر من أيّ وقت مضى أنّ حزبهم بحاجة إلى مراجعات أعمق في تعاطيه مع المتغيّرات الجديدة.

○ بما أنك تتكلم عن المراجعات، وأنت كنت وزيرا في عهد بوتفليقة مرتين، هل بالنظر إلى التطور الذي عرفته الأحداث، هل ندمتم على دعم بوتفليقة، والتكلم عنه بذلك التبجيل والتفخيم، واليوم معظم رجال بوتفليقة في السجن؟

● يجب أن نأخذ كل شيء في سياقه الزمني، أنا واحد من جيل الاستقلال، درستُ في المدارس الشعبية النظامية، وعشت ربما حرمانا كبيرا في طفولتي مثل الآلاف من أبناء الشعب، لكني اجتهدت وآمنت بأن أكون ذلك المواطن الذي يستفيد مما أتاحت له دولة الاستقلال من إمكانيات النجاح، لم نولد وفي أفواهنا ملاعق من ذهب.

○ وعرفت الذهب بعد ذلك.

●(يضحك) الحمد لله، كل ما حصلت عليه هو في النهاية نتيجة جهد وتعب، ولم يأت من فراغ، ووجدت الدعم والمساعدة من المحيط الذي آمن بوجود قدرات ما لديّ في مجالات معينة، وبالتالي علينا ألا نختزل مسار شخص ما في حالة عابرة، أو نلغيه تمامًا لمجرّد أنّنا نختلف معه في الرؤية أو الهدف، لذا كل شيء يؤخذ في سياقه، وكل مرحلة تتسم بأسلوب في إدارة شؤون الحكم، قد تكون بعض المؤسسات مشوبة بنقص في الشرعية، أو مطعون في وجودها، لكن نحن تربينا على أن هناك شيئًا اسمه الدولة، والدولة كما قلت آنفًا في مفهوم الجزائريين أن كل عائلة تشعر أنّ لها نصيبا فيها، إما بدماء أبنائها كشهداء، أو من عرق أبنائها في إرساء ركائز مؤسسات هذه الدولة، إذن في بعض الدول تسعى فئات للاستفادة أكثر من خلال ممارسات سلبية، نحن كان لدينا إيمانٌ بالدولة، أجيئك بشفافية عالية، أنا كنت وزيرا في الدولة الجزائرية وفقط.

○ أكيد، سؤالي لم يكن من هذا الباب، سألتك أنت كنت وزيرا من وزراء بوتفليقة، لأن في تلك المرحلة، الدولة تمت شخصنتها، بوتفليقة كان يقول أنا الدولة، وأنا أجسد الدولة، وحتى كحزب هل التجمع نادم على دعم بوتفليقة بتلك الطريقة؟

● أحيانا تضعك الأقدار في مثل هذه الفترات التي تعرفها الدولة، توكل لك مهمة في مجال الإعلام والاتصال أو الإدارة أو الثقافة، أنا كنت وزيرا ثم مديرا ثم في مسؤولا على رأس هيئة، لا إشكال لدي، أنا في كل موقع أشعر أنني خادم للدولة ومن خلالها للشعب، أنتَ تسعى دائمًا لتحسين أدائك وتقويم أخطائك، ولما تقوم بشيء إيجابي أيضًا تكون في حاجة إلى من يدعمك أكثر ليكون أداؤك أفضل، وكلّ الذين مارسوا مسؤوليات ما في مواقع للدولة يدركون أنّ إغواءاتها صعبة جدا.

○ هل أغوتك المسؤولية يوما؟

● أبدا، كل تعرف أنني إنسان شعبيّ، لما انتهي من مهامي الرسميّة أتصرف بشكل عادي، تجدني في المقهى أو في الشارع أو في السوق، لهذا كنتُ كثيرًا ما أعثر على صور لي في مواقع التواصل الاجتماعي، اختطفها لي مواطنون في مواقع عامة. المعضلة هي أنّهُ إذا استقوّت المسؤولية في رأس الشّخص يصير من الصّعب إعادته إلى الأرض. يجب ألاّ يتخلّى المسؤول عن المواطن الذي يسكنه.

○ خلال السنوات الخمس الأخيرة على الأقل، عندما غيب المرض الرئيس بوتفليقة، كان الإلحاح على ذكر اسم الرئيس مبالغا فيه، هل هذا طبيعي؟

●السائد آنذاك كان تطبيق برنامج الرئيس في كلّ المجالات، وبالتالي إنّ ما تقوم به في هذا القطاع أو ذاك من منجز يقال هذا يدخل في إطار برنامج رئيس الجمهورية، وبالتالي هذه المسألة تكرست بطريقة آلية في أدبيات تلك المرحلة.

○ سألح عليك مجددا، هل التجمع اليوم نادم على دعم بوتفليقة، وإن لم يكن نادما، هل حفظ الدرس ومهما كان الرئيس المقبل لن يندفع في دعمه بطريقة دعمه لبوتفليقة؟

● كنت قلت قبل أيام، طبيعي جدا، أن الهزة أو الصدمة التي أحدثها حراك 22 شباط/فبراير الماضي، إن لم نقرأه جيدا، ونفكك أسئلته بصورة واعية فما الفائدة من أن تحدث مثل هذه الأشياء، كانت عبارة عن صرخة مواطن يطالب بتغيير ممارسة الحكم، ومراجعة كل الأشياء التي يشعر المواطن أنها كانت سببا فيما آل إليه الوضع، لهذا أنا أتحدث عن ضرورة الحديث عن الدخول في مرحلة المراجعات، مثلما كانت تعمل الجماعات الجهادية، نحن أيضا بحاجة إلى مراجعات بشأن ممارسة السلطة، وسيكون النقد الذاتي عميقًا جدًا، بل سيكون تجمُّع ما بعد 22 فبراير مختلفا عمّا قبله، لا بدّ من التكيُّف مع المتغيّرات دون التخلّي عن المبادئ.

○ هل تشعر أنكم من الضالين؟

●كنا نشعر بحاجة إلى إعادة النظر في الكثير من الأشياء، وهذا لا يعني التجمع الوطني وحده، بل الجميع، أحزاب موالاة ومعارضة، لأن المواطن الذي خرج إلى الشارع لم يكن في ذهنه التجمع الوطني فقط، بل هو كان ناقما على كل شيء، لا أحد بمنأى عن غضب الشارع، لهذا فإن التوقيت مهم لمراجعة الكثير من الأساليب والممارسات، وجبَ علينا أن نقيم مسافة بيننا وبين الكثير من الأشياء السائدة، بل إنّ أول مطلب كان من شباب التجمع الذي التحق بالحراك منذ الأسابيع الأولى هو إعادة النظر في الكثير من المسلّمات.

○ لكن هناك من يتهمكم في هذه النقطة بمحاولة الاستيلاء على الحراك؟

●لا أبدًا، أنا أتحدثُ عن شبابنا الذين نزلوا بعفويّة إلى حراك الشارع وهذا حقُّهم، هذه حقائق وليس ادعاء، وهم لم يتمردوا على الحزب، بل تصرفوا كمواطنين، لهذا فإن ما حدث في 22 شباط/فبراير لا يمكن لأي حزب أو تنظيم أن يدعي وصايته عليه، لأنه كان عبارة عن حركة مواطنية تولدت نتيجة تراكم وضع عام وصل في لحظة ما حالة انفجار رفضًا للوضع القائم الذي كاد يودي بالذهاب بالدولة في الفوضى.

الدعوة لاستبعادنا أو إقصائنا لن تعزّز مناخ الحريات وهيئة الحوار يجب أن تكون على مسافة واحدة من الجميع

الفساد ظاهرة موجودة في مجتمعات العالم كله

التحديات التي تواجهه، وسنقوم بحراك ذهني لدى مناضلينا، وهم جاهزون لتجاوز المرحلة بإيجابيةٍ وبوعي كبير، ومثلما قلتُ، سيحافظ الحزب على المبادئ التي تأسس عليها، سيظل داعمًا للدولة من خلال ما يراه مفيدا لاستقرارها ومناعتها، وسنتقاطع مع كل من نرى أنه يتفق معنا في بعض القناعات والتصورات.

○ حتى مع أحزاب المعارضة؟

● طبعا، مهما كانت التوجهات، الذين نتقاطع معهم في القناعات والتصورات سيتمُّ ذلك بشكل علني، بعيدًا عن المنطق الشعبوي.

○ هل يمكن لحزبكم أن يرى نفسه في المعارضة؟

● يمكن أن يعارض بعض الممارسات السلبية، لا يمكنه أن يغلق الأبواب دون إبداء رأيه، لكن إذا أصبحت السلطة في يد أناس تختلف معهم في الخط والتوجه العام، تلقائيا تجد نفسك معارضًا هذا الخط الجديد. إذا كانت فقدتْ أغلبيّتك البرلمانية تعيد النظر في حساباتك.

○ بالنسبة لأحمد أويحيى الموجود في السجن، هل ما حدث له كان متوقعا بالنسبة لك؟

● لا أستطيع أن أقول لك إنني توقعت ذلك، لأنّ الذي يحدث في الجزائر ارتفع فيه السقف عاليا جدا، لا أحد كان يتصور أنّ الذي يحدث تجاوز ما كان يتصوره المواطن العادي، لأنه اعتاد على أنّ ثقافة اللاعقاب كانت سائدة، وإن تم الحساب والعقاب فبمستويات دنيا، والآن هناك مسعى كبير من طرف القضاء لاستعاد دوره القوي، وهنا أقول، وهذا موقفنا المبدئي، العدالة اليوم تمتلك السلطة والقدرة وهي الأدرى بمضامين الملفات المعروضة عليه.

○ هناك من يطالب بالتحقيق في تسيير وزارة الثقافة في فترة استوزارك، ألا يزعجك الأمر؟

● أبدا، ولماذا أنزعج، لا أعتقد أنّ هناك استثناء أمام القانون. كل الناس معرّضون للحساب، ويجب أن تكون تسود هذه الثقافة، حتى لا يشعر أي كان أنه بمنأى عن المحاسبة بخصوص تسييره، وفي المقابل يجب أن تكون هناك ثقافة تثمين الأداء المغيّبة في أدبيات الحوكمة.

○ هل ترى أن القضاء يسير في الطريق السليم، رغم انتقادات وتحفظات البعض؟

● المواطن كان يخشى الذهاب إلى القضاء، ويشعر أنه سيخسر قضيته، وأنه لن يحصل على الحكم المنصف له، يجب أن نخلص العدالة من كلمة جهاز، نريد عدالة مستقلة، تُصدر أحكامها باسم الشعب الجزائري، وألا نحاول أن نطرح أحكاما قيمية بشأنها. لهذا فنحن ننأى بأنفسنا عن التعليق على أحكام العدالة.

○ لما نرى عدد المسؤولين السابقين الموجودين في السجن وكذا عدد رجال الأعمال المحسوبين على السلطة البائدة، هل يمكن القول إن فترة حكم عبد العزيز بوتفليقة كانت فترة فساد بامتياز؟

● الفساد ظاهرة موجودة في مجتمعات العالم كله.

○ لكن لا يوجد بلد في العالم لديه هذا العدد الكبير من المسؤولين السابقين في السجن، هل هذا طبيعي؟

● ربّما هذا يعكس حجم الذي استشرى في مفاصل الدّولة. قلتُ ما نعرفه هو أن ظاهرة الفساد منتشرة في الكثير من الدول، وتُطلعنا أحيانًا وسائل الإعلام على التقارير التي تصدرها منظمة شفافية دولية، التي تتتبّعُ أحوال الدّول فيما إذا كانت الممارسة الاقتصادية والمالية نظيفة وشفافة، وكل الدول تضع آليات لمواجهة والاقتصاد ومجالات أخرى، والجزائر للأسف تصنّف في الخانة السوداء، والملفات التي يكشف عنها القضاء يوميا في هذه الفترة تؤكّد ذلك، نتمنى أن تتخلص الجزائر من هذا الوباء الذي ينخر جسم الاقتصاد ويمتد إلى مفاصل الدولة، وهذه مسألة تقتضي عملا كبيرا وصبرا أكبر على المؤسسات القائمة عليها، حتى يستعيد المجتمع عافيته.

○ هيئة الحوار والوساطة، تقول إن الأحزاب التي شاركت في السلطة السابقة لن تكون جزءا من الحل، أي التجمع الوطني وجبهة التحرير وغيرها، ما رأيك؟

● نحن منذ البداية رحبنا بإنشاء هذه الهيئة، وثمنا وجود شخصيات فيها، وندعمها بلا شروط، فدعمنا للحوار يبقى ثابتا انطلاقا من قناعتنا أن المصلحة العليا للوطن تعلو عن المصالح السياسية والحزبية الضيقة، حتى رغم انتشار هذا الكلام، الذي هو بحاجة إلى تعمّق أكثر، لأن المسألة لا تخص حزبنا فقط إنّما قوى سياسية لها حضور في الساحة، ونشأت بموجب الدستور وقوانين الجمهورية، وبالتالي فإن التفكير في استبعادها أو إقصائها لا أعتقد أنّه سيعزّز مناخ الحريات السائد، ونحن قلنا إن دور الهيئة هو أن تكون مديرة للحوار وأداة مهمة في بنائه، ووضع الأرضية التي تقود إلى انتخابات رئاسية سريعة يخرج عنها انتخاب رئيس جمهورية بطريقة ديمقراطية في إطار من النزاهة والنظافة، أردنا من الهيئة أن تكون على مسافة واحدة من الجميع، وأن تتعامل مع الجميع بدون خلفيات مسبقة، ودون تأثير أي طرف، نحن لدينا وجود في المجالس المحلية والبرلمان بغرفتيه، يجب أن نستمع لهذه الأحزاب قبل أن نحكم عليها، ربما ما تقدمه يشكّل قيمة مضافة في الحوار.

○ لكن لا تشعرون في التجمع أن الشارع على الأقل في جزء كبير منه يرفضكم، لأنكم جزء من النظام السابق؟

● شخصيا عندما التقي الناس في الشارع يقولون نتمنى أن يتم تنظيف الحزب، وأن يكون خادما للمجتمع، أنا أسمع كلاما مثل هذا، وأقرأ أشياء أخرى في وسائل الإعلام أو مواقع التواصل الاجتماعي، هذه مسألة ربّما تحتاج إلى استفتاء لأن الذي يلغي حزبا هو الدستور والقانون، ومناضلو الحزب الذين يمكنهم أن يقرروا حله إذا لم يعد مجديًا، أنا سمعت بعض الحقوقيين لهم مسار في الممارسة الديمقراطية يدعون إلى إقصاء أو حلّ الحزب أو أحزاب أخرى، في هذا الوقت بالذات الذي تعززت فيه الحريات بعد 22 شباط/فبراير، هل في زمن الحريات نتحدث عن الإقصاء، إذا تعرضت إلى الإقصاء بالأمس لا أعتقد أنّه من المجدي أن تُشهرُ مفردة الإقصاء وتعمل على توظيفها من جديد، نحن نرفض بحكم الصندوق.

○ لكن تعلم أن الجزائري لا يثق بالصندوق، وكل النقاش والصراع القائم هو بشأن الصندوق؟

● نحن محكوم علينا ببناء مناخ من الثقة، بداية كأحزاب هل من المعقول أن يُغلق هذا الحزبُ بابه في وجه الآخر، يجب أن نقترب أكثر من بعض من بعض، ولا بأس من المكاشفات.

○ ما هي نظرتك للطريقة التي تعاطت بها المؤسسة العسكرية مع الأزمة القائمة؟

● يمكنني القول إننا محظوظون بوجود مؤسسة عسكرية أدركت منذ البداية حجم التحدي الذي تواجهه الجزائر، واكبت منذ بدايته الحراك وأمّنت له شروط السلمية، وأكثر من هذا تفاعلت معه وساعدت في تحقيق أغلب مطالبه، وأولاها الدفع نحو استقالة الرئيس السابق، وبعد 25 أسبوعا لم يحدث أي انزلاق والحمد لله، في حين أن مؤسسة الجيش أبقت على التزامها بالإطار الدستوري.

○ وهذا ما تسبب في لبس ربما لدى جزء من الحراك، والذي أصبح ينتقد قيادة الجيش، أليس كذلك؟

●جرت في أعراف الكثير من البلدان عند تعرّضها لأزمات سياسية عميقة، يتدخل الجيش، وأول ما يقوم به هو تعطيل العمل بالدستور، ويقوم بحل الأحزاب وحل المؤسسات القائمة، ويحدث الفراغ التام، ثم يعلن عن فترة انتقالية لثلاث أو أربع سنوات، هذا لم يحدث في بلادنا لأن المؤسسة العسكرية قرأت جيدا تاريخ الجزائر السياسي، فترة الرئيس بومدين الانتقالية دامت 11 سنة، والفترة الانتقالية بعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد دامت 4 أو 5 سنوات، وهي تدرك أنه في المراحل الانتقالية يتم إفراغ البلد من الشرعية، وإدارته بمشروعية استحداث هيئات انتقالية، وهذه تنطوي على مخاطر كثيرة، وتعطل المسار الديمقراطي، والجيش الجزائري قدم درسا كبيرا في هذه المرحلة، لأنه التزم بالدستور، ورغم ذلك وُجهت إليه سهام بعض الدوائر، ماذا لو خرج الجيش بمترين أو ثلاث مع الدستور، هل كانوا سيمدحونه؟ الأكيد لا، وأنه كان سيتعرض لانتقادات قاسيّة من منظمات دولية، ثمّ إنّ الجيش أعلن على لسان قائد أركانه أن المؤسسة العسكرية غير معنيّة بالسلطة رغم إغواءاتها، ونحن نرى كيف أن الجيوش تتقاسم السلطة مع قوى أخرى، لكن الجيش الجزائري يدفع بقوة نحو الحوار بهدف تنظيم انتخابات رئاسية في أقرب الآجال حتى يتحمل الرئيس المقبل مسؤولياته كاملة.

ما حدث في الـ22 فبراير زلزال لم يتوقعه أحد ويجب دراسته واستخلاص عبره

حريات

في انتظار تشكيل الحكومة المدنية

ثورة أخرى في السودان لتقديم قتلة المحتجين للعدالة

الخرطوم ـ «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

يستعد ناشطون للبدء في إجراءات قانونية ضد الذين أطلقوا الرصاص على المحتجين في التظاهرات التي تسببت في إنهاء ثلاثين عاما من حكم العسكر في السودان، وشهدت الثورة إراقة دماء المئات، وإصابة الآلاف خلال عدة أشهر، نتيجة لاستخدام الرصاص الحي.

وطالب السودانيون بضرورة تشكيل حكومة مدنية بعد سقوط البشير من أجل القصاص للشهداء الذين قتلوا أثناء التظاهرات أو تحت وقع التعذيب. لكن المفارقة الصادمة هي أن عدد الذين قتلوا بعد الحادي عشر من نيسان/أبريل (وهو اليوم الذي أعلن فيه اقتلاع نظام الإنقاذ) وحتى الرابع من آب/أغسطس (وهو تاريخ الاتفاق على الوثيقة الدستورية) فاق قتلى بداية الحراك الأخير في كانون الأول/ديسمبر الماضي، ولم يكن الاتفاق كافيا لوقف نزيف الدم، فقد شهدت الولاية الشمالية سقوط شهيد بعد ذلك التاريخ.

وقالت اللجنة التمهيدية لأسر شهداء ثورة كانون الأول/ديسمبر إن عدد الشهداء وصل 267 بمن فيهم شهداء مجزرة الأبيض، وكان ذلك قبل سقوط أربعة ضحايا في تظاهرات طالبت بالقصاص العادل في أم درمان. وطالبت اللجنة في مؤتمر صحافي بتمثيل أسر الشهداء في لجان ومجالس الثورة، مضيفة بأنهم الآن في مرحلة الحصر وإكمال الملفات القانونية انتظارا لتقديمها لقضاء عادل بعد تكوين الحكومة المدنية.

وقال متحدث باسم أسر الشهداء إن هناك اتفاقا بينهم باختلال النظام العدلي الحالي، لذلك هم الآن في انتظار الحكومة التي استشهد من أجلها أبناؤهم «للدفع بالملفات في نظام قضائي مستقل تتم من خلاله العدالة وهو أحد شعارات الثورة، وللجميع الحق بعد ذلك في القصاص أو الدية أو العفو».

مئات القتلى وآلاف المصابين

وحسب لجنة أطباء السودان المركزية، فإن عدد الشهداء بلغ 43 شهيدا حتى الخامس من نيسان/ابريل الماضي وهو اليوم الذي سبق اعتصام القيادة العامة، ثم استشهد23 من السادس وحتى التاسع من الشهر نفسه، وفي يوم سقوط البشير إلى (45) شهيدا، وإن عدد المعتقلين خلال هذه المظاهرات السلمية تجاوز الألفي معتقل في كل السودان تعرض أغلبهم للتعذيب، وأن عدد الجرحى تجاوز الألف.

ويرى البعض أن الرئيس المخلوع متهم بشكل أساسي في عمليات قتل المتظاهرين. وأثار حديث للبشير قبل سقوطه أمام قادة الشرطة جدلا واسعا ووجد تفسيرات مختلفة عندما أوضح إنهم لا يرغبون في قتل المتظاهرين لكنهم مضطرون، واستخدم الآية القرآنية (ولكم في القصاص حياة) لتبرير حديثه، مفسرا كلمة قصاص بالقتل والإعدام. ورغم سلمية التظاهرات، إلا أن البشير أوضح في أكثر من لقاء أن الذين يقومون بالتخريب مدعومون من مخابرات وسفارات أجنبية.

وقالت لجنة أطباء السودان إن جملة عدد المصابين المسجلين لديها كان 1.353 مصابا تفاصيلهم على النحو التالي: 253 قبل اعتصام القيادة العامة و400 أثناء الاعتصام و700 إصابة أثناء فض الاعتصام.

صدمة تقرير اللجنة الحكومية

وأحدث تقرير لجنة تقصي الحقائق (التي كونها المجلس العسكري) في عملية فض الاعتصام جدلا كثيفا، إذ يرى الكثيرون أن تقريرها معيب، وذكرت اللجنة أن عدد القتلى في ميدان الاعتصام كان 17 بالإضافة لإصابة 168 شخصا، 63 منهم في ساحة الاعتصام بينهم 48 حالة إصابة بطلق ناري و15 نتيجة الاختناق. وتم اتهام عدد من ضباط الدعم السريع بمخالفة الأوامر.

ولم تكن الإجراءات الحكومية ضد مطلقي الرصاص جادة، حيث ظلت البيانات الرسمية تتحدث عن وجود طرف ثالث (كتائب نظام البشير) مع الحديث عن انحراف المظاهرات عن السلمية ووجود مندسين، لكن بعد مجزرة مدينة الأبيض وقتلى مدينة أم درمان في اليوم التالي للمجزرة، اتخذ المجلس العسكري إجراءات واضحة، حيث تم فصل تسعة جنود من قوات الدعم السريع واتهامهم بإطلاق الرصاص وقتل المتظاهرين وإحالتهم للنيابة العامة لتتولى محاكمتهم.

وقالت هيئة محامي دارفور إن «لجنة التقصي التي كونها النائب العام للتحقيق في أحداث فض الاعتصام غير صالحة شكلا ولا موضوعا، فقد تم تكوينها بصورة لا تستوفي معها شروط المهنية والاستقلالية والحياد. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد حلت محل هذه اللجنة تلك اللجنة المنصوص عليها في الاتفاق السياسي المبرم بين المجلس العسكري الانتقالي وقوى إعلان الحرية والتغيير وفق ما ورد في الفصل (الرابع) في المادة (18) منه».

وأدان التحالف العربي من أجل السودان مقتل 11 من المدنيين العزّل بينهم 3 جثث عثرت عليها وتحمل آثار تعذيب في مدينة أم درمان، وإصابة ما لا يقل عن 185 شخصاً في تظاهر الثلاثين من حزيران/يونيو وهي أول حراك منظم بعد مجزرة القيادة في الثالث من الشهر نفسه.

وقال في بيان له «لقد شكّل يوم الثلاثين من حزيران/يونيو نقطة فارقة في تاريخ الشعب السوداني وثورته المجيدة، فقد خرجت الحشود الهادرة، وفاءً لذكرى شهداء مجزرة فض اعتصام القيادة العامة مطالبين بمدنية السلطة ومرددين هتافات وشعارات تدعو لسلمية الثورة، واجهتها ميليشيا الجنجويد وجهاز الأمن وكتائب الظل بالقمع والرصاص والغاز المسيل للدموع، فأردت 11 قتيلاً و185 من المصابين».

وبعد التوقيع على الوثيقة الدستورية في الرابع من هذا الشهر قالت ابتسام سنهوري، عضوة اللجنة الفنية في التفاوض في قوى الحرية والتغيير في مؤتمر صحافي، إن الوثيقة نصت على تكوين لجنة مستقلة لمحاسبة مرتكبي جرائم قتل الثوار، مضيفة أن من حق هذه اللجنة طلب الدعم من الاتحاد الافريقي ولجانه الفنية، وذلك بعد تعيين رئيس القضاء من قبل مجلس القضاء العالي الذي تقرر أن يكون جهة مستقلة.

وتعتقد هيئة محامي دارفور بوجود تخطيط مسبق واستهداف للناشطين من الثوار، وقالت إن هناك روابط مهمة توصلت إليها الهيئة من خلال تقصيها المفقودين منذ يوم فض الاعتصام. وانتشرت نداءات في وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الشعبي التقليدي من خلال التنبيه عبر مكبرات الصوت في المساجد ووضع صور المفقودين على المحال التجارية وأماكن التجمعات، وتم العثور على بعض المفقودين، لكن القائمة لا تزال طويلة.

وبعد إطلاق الإنترنت بعد أكثر من شهر من حادثة فض الاعتصام، انتشرت فيديوهات لاغتصابات تمت بحق فتيات وفتيان، وذلك عبر إفادات بعض الضحايا والناشطين (شهود عيان) وكذلك أفراد الأطقم الطبية، ويظل هذا الملف شائكا، نسبة لعدم رغبة الكثيرين ممن تعرضوا للاغتصاب لاتخاذ إجراءات قانونية بسبب الوصمة الاجتماعية.

ولا يزال الجدل مستمرا حول عدد الضحايا قبل وبعد سقوط البشير، واعترفت الحكومة بسقوط 19 قتيلا في الحراك قبل نيسان/ابريل، لكن جهات أخرى وناشطين، أكدت أن عدد الضحايا تجاوز ذلك. وقال حزب الأمة القومي في بيان له، إن عدد شهداء مظاهرات السودانيين المطالبة بإسقاط النظام وتنحي البشير ونظامه من السلطة وصل في حوادث القتل المماثلة والمشابهة ذات الصلة بالاعتصام والتي وقعت في يوم فض الاعتصام في مناطق متفرقة من ولاية الخرطوم وفي الأيام التالية والتي استهدفت شباب المقاومة الذين تمترسوا في شوارع الأحياء. وخلصت الهيئة عبر تقرير مفصل عن أحداث القتل إلى الترصد والانتقائية في ممارسة القتل، مضيفة أن القتل الانتقائي يشبه إلى حد كبير ممارسات القتل المرتبكة بواسطة كتائب ظل النظام البائد ووحداته الجهادية في الجامعات والأمن الطلابي.

قمع شديد وتظاهرات مستمرة

ورغم العنف الذي استخدم في كل التظاهرات، لكن الحراك الشعبي لم يقل، بل ظل في تزايد مع كل حادثة قتل وكانت أبرز هتافات المحتجين (الدم قصاد الدم ما بنقبل الدية ..والشعب يريد قصاص الشهيد) ويرى عبد الوهاب موسى، رئيس تحرير صحيفة «الأمة» بالإنابة، أن التظاهر حق مشروع تكفله القوانين المحلية والمواثيق الدولية، ويقول في حديثه لـ«القدس العربي» إن الثورة في السودان قامت على الحراك الجماهيري الضخم والواسع، ما أدى لاقتلاع رأس النظام السابق، مشيرا إلى أن الحراك المتواصل يهدف لإكمال أهداف الثورة.

ويضيف أن الحراك الجماهيري مزعج جدا للمجلس العسكري وثبت بالدليل القاطع تأثير الشارع على العسكر الذين حاولوا مرارا وتكرارا النكوص عن التغيير والانفراد بالسلطة. ويرى عبد الوهاب عدم وجود تعارض بين الخروج للشارع والدخول في التفاوض مع المجلس العسكري، ويشير إلى أن المسارين (التظاهر والتفاوض) مكملان لبعض، خاصة وأن التظاهرات تشتمل على ندوات ومخاطبات.

بلغ عدد الذين قتلوا تحت حكم المجلس العسكري أكثر من 250 شهيدا

ويقول الصحافي صلاح المليح إن الشارع استمر في الحراك لأنه أيقنبوجود انتكاسة وعدم جدية من المجلس العسكري في تسليم السلطة لحكومة مدنية.

وحسب المليح فإن أفعال المجلس العسكري تتناقض مع أقواله، حيث «يعلنون أنهم انحازوا للثورة بينما يقومون بنفس ما كانت تقوم به اللجنة الأمنية لنظام البشير، بل أسوأ منها كما حدث في مدينة الأبيض حيث وجه العسكر أسلحة مضادة للدروع على صدور أطفال سلميين».

مخططات لجر المحتجين للعنف

وراهن الثوار على سلمية ثورتهم رغم مقابلتها بالرصاص ومحاولات جرهم للعنف. واستبقت لجان الأحياء التي تنسق الخروج لتظاهرات مليونية القصاص العادل بإصدار بيان حذرت فيه من مخططات وقالت: «نما إلى علم لجنة العمل الميداني لقوى إعلان الحرية والتغيير محاولات من النظام البائد وكتائب ظله لاختراق مجموعات من الثوار وزرع بعض منتسبي النظام السابق وفلوله وسطهم. كما علمت اللجنة من مصادرها عن قيام النظام بتوزيع أسلحة نارية على بعض هذه المجموعات».

وأضاف البيان أن هذا المخطط يأتي من النظام البائد لافتعال العنف على نطاق واسع بدفع هذه المجموعات لإطلاق الرصاص الحي على المواطنين والقوات النظامية «وهي محاولة لجر البلاد لدائرة العنف بغرض قطع الطريق أمام ثورة شعبنا العظيم من الوصول إلى أهدافها وفق إعلان الحرية والتغيير الذي تواثقت عليه جماهير شعبنا». كما كشفت اللجنة الميدانية لقوى إعلان الحرية والتغيير أن مخطط النظام البائد يتم بتدبير وإدارة وتنسيق ومتابعة مباشرة من واحد من قيادات الجهاز سابقاً، وهو عنصر شهير بالعنف تمت إحالته للتقاعد في 2018 واتهامه في قضايا فساد مالي، وقبع في سجون النظام لفترة من الزمان قبل إطلاق سراحه في الشهور السابقة.

وشددت اللجنة على المضي قدما في التظاهر وقالت: «استمرار عملنا الثوري المقاوم والمشاركة فيه بكثافة هو صمام الأمان ضد كل مخطط حاقد غادر ومأجور، وهو طريقنا لتقديم كل الجناة للعدالة والقصاص للشهداء، وهو سبيلنا لنقل مقاليد الحكم لسلطة انتقالية مدنية تؤسس لسودان الحرية والسلام والعدالة الاجتماعية».

وأعلنت قوى نداء السودان وهي إحدى مكونات قوى الحرية والتغيير إن «تزايُد الغضب الشعبي والاحتجاجات الاخيرة أتت كنتيجة طبيعية لعدم رؤية العدالة أو أي من متطلباتها تتحقق» مضيفة في بيان لها أن ما صدر من اللجنة التي كونها المجلس العسكري الانتقالي قبل الاتفاق السياسي للتحقيق حول أحداث فض الاعتصام فاقم من الاحتقان في الشارع. وأكدت على ضرورة «إتمام العملية السياسية الحالية وتحقيق متطلبات الاتفاق».

ويرى ناشطون أن الثورة السودانية كسرت حاجز الخوف من العسكر والذي شيده نظام البشير بالقمع الشديد طوال الثلاثين عاما، وبينما يتخوف البعض من تعطيل حياة الناس بسبب التظاهر شبه اليومي، يرى آخرون أن ما حدث هو تمارين جيدة للديمقراطية المرتقبة، وتؤكد هذه الفئة أن تحقيق مطالب الثورة، وفي مقدمتها تقيم القتلة للعدالة، كفيل بالحد من الخروج للشارع.

كتب

مجموعة العراقي سنان أنطون الشعرية «كما في السماء»:

الموت كفاف الإنسان المقلق على الأرض

المثنى الشيخ عطية

لا يخدعنّك صغر حجمها الذي يُريح صغر حجم زمنَ قراءتك لها؛ فمجموعة الشاعر، الروائي العراقي سنان أنطون «كما في السماء»، تحيلُ خُبزَ تناولك الحلو بفاتحتها، على الأرض المنذورة للهباء، إلى مَرارٍ يقلقُ بوصلةَ اتجاه صلواتك إلى أين؟

ولا يخدعنّك قصر قصائدها كذلك، إذ ستمتد بداخلك مقلقةً أحلامَك، على طول زمنكَ الذي في البدء لم يكن الكلمةَ، بل الطعنةَ التي «خَلقَ فيها الخنجرُ الجرحَ على صورته»، ومضى يحرقُ مراحل أزمنتك لامعاً بوهج الفسفور، حتى استقراره بجسد طفلٍ آخر في فلُوجة العراق؛ بعد حرقه أحلام أطفال هنود «الأباتشي»، بمروحيات «الأباتشي». كما سوف تمتدّ مقلقةً تساؤلاتك عن نزول جدّك الغريب من علياء أشجار جنّته إلى سافل جحيم لحم فرائسه من النساء والأطفال، في أنقاض شوارع سوريا؛ وتمتد ساخرةً من أوهامَك، منذ تمام صرختك الأولى نتاجاً لضجر الآلهة، حتى تساؤلاتك المرعبة عن محتوى الغرفة التي بجانبك في قطار الموتى الذي لا يتوقف غير آبه بصلواتك التي يأكلها الهباء.

ولا يخدعنّك، في النهاية، إغلاقك لصفحات هذه المجموعة الأنيقة بعد زمنٍ لم يأخذ من انشغالك غير بضع محطات، فسوف ترافق أيامك التالية قهقهةً سخريتها المُرّة من ركونك إلى قيد ما تمّ تلقينك إياه، وربّما دفعكَ قلقك من هذا القيد، إلى أن تفتح قفص بغائك الذي ينظر إليك مستغرباً عدمَ فهمك خشيتَه من الطيران. وربّما عدتَ لكي ترتاحَ من قلقكَ إلى أن تفتح المجموعة ثانية لتقرأ بضعةَ أسطرٍ من اعترافات جدّتك حواء:

«كنت صوتَ الريح
وحين تعبْتُ
ترجّلتُ عن أضلاعها
وتركتُها ضائعةً
تبكيني في كلّ مكان.
مشيت على الماء
ألف عام
ثم خلقتُني على أديم الأرض
وعندما شعرتُ بالضجر
خلقتُ آدمَ».

«كما في السماء» مجموعة شعرية مميزة، ببساطة تكوينها أولاً ضمن بنية بسيطة، تتوالى فيها خمسون قصيدة نثر، تعكس عناوينُها المميزة معاني المجموعة ووحدةَ قصائدها ضمن التنوّع. وتتنوّع هذه القصائد بطولها بين الصفحتين والسطرين، وفقاً لأغراضها وكثافة شحنات تأثيرها، مع فضاء الصفحات اليمنى إن انتهت القصيدة قبلها، لمنح العين راحة القراءة. وتستظلّ هذه القصائد بغلاف أنيق تتمركز فيه صورة ورقة شجرة ثلاثية في الظاهر، لكنّها تعكس بتكوينها كفراشة وكزهرة أنثى، محور فلسفة المجموعة في وحدة الكون التي ينبض بها جسد القصائد، في البنية العميقة، مثلما:

«في حياتي القادمة
لن أكون أنا
سأكون زهرة برّية
تستلقي على سفح تلّ بعيد
تستريح عليها الفراشات
قد يقطفها طفل
لا يعرف الحروب
يأخذها إلى أمه
يضعها بين نهديها
تقبّله
تشمّني
وأشمّها».

ويُكامل هذا المحورُ موزاييكَ القصائد، كلوحةٍ

موحدة تمنحُ القصائد، بقوةٍ، شرعيّةَ تكوينها الناجح ضمن كتاب.

في بنيتها العميقة، وكما هو الشعرُ أصلاً في كشفه عن أوهام المُعطى قناعة أو قسراً، وعن الواقع المتفسخ، ورائحة الدم التي تنتشر من أيدي سدنته؛ تهيمن روح المغايرة والاختلاف على المجموعة، في مضامين وأسلوب كتابة، وتركيب لغة قصائدها؛ كما في سماءٍ الإيديولوجيا التي أشْقتْ بها رؤى الديانات التوحيدية الإنسان، كذلك على الأرض التي يخترع بها حاملو راية هذه الإيديولوجيا أعتى الأسلحة لقتل الإنسان. وهكذا أيضاً في ظلال وادي الموت، الذي تنشرُ القصائد رائحته أمام أنف الإنسان كي يستفيق من شبكة نوم ما وضع نفسه فيه، بلوحات سوريالية مرعبة تضعه كذلك في غرفة مرايا نفسه، كما لو كان في كابوس: «أمسكت بالملاك من جناحيه ورفعته. كان يرتعش مثل أغصان السدرة. قطعت الحبل السري الذي يربطه بأمه. طار صراخه إلى السماء. قررت أن أخلصه من جناحيه أيضاً. فقصصتهما وأنا أردد «السماء ليست آمن من الأرض». حين وضعته على الأرض أخذ يزحف... بعيداً، باحثاً عن فريسته الأولى».

في بنيتها العميقة، وكما تنهج قصيدة نثر ما بعد الحداثة في استخدامها للسخرية رافعةً لصلب الواقع أمام المتعطشين إلى خلاص جديد، تتألق بعض قصائد سنان أنطون بسخرية عميقة تغلبُ عليها المرارة والأسى على المصير الذي يضع الإنسان نفسه فيه. كما تغلب عليها السخرية الخفيفة مما ركّب الإنسانُ من معتقدات وأوهام يقيّد نفسه بها في قصائد أخرى، مثل السخرية من صُورة الجنّة في قصيدة الخريف في الجنّة حيث:

«الأشجار دائمة الخضرة
ريح خفيفة
الكهول يقرأون الجرائد
الأطفال يلعبون
الأمهات يراقبن
وهمسٌ يدور:
ملاكٌ آخر
انتحر
الليلة الماضية».

في بنيتها العميقة يتداخل إلى حدّ التماهي، برؤية الشاعر للكون والطبيعة، فعل تناقل العناصر في الواقع وفعل أحداث الواقع مع فعل الكتابة؛ فكما تتناقل مكونات وأحداث الكائنات أنفسها من مكان وزمنٍ لتكون ذاكرةً في زمنٍ لا حق ومكان آخر، عبر الزمن، كذلك تفعل الكتابة، القصيدة النغمة، واللون.

ويتجلّى الفاعل في هذا التداخل حائكا: «بخيط الكلمات/ وإبرة عيني/ أخيط هذا الثوب/ للصمت/ الظم غمامة تائهة/ بريشة طائر منقرض/ غبارَ نجمة/ بوريقة سقطت من ريح». وطبعاً مع الثقافة العميقة التي تتخلل القصائد وتصقلها بزئبق منتجات الإنسان التي أبدعها منذ نزوله من الأشجار ليكون قاهر الطبيعة وقاهر نفسه في هذا القهر...

وفي بنيتها العميقة لا تتخلى مجموعة «كما في السماء» عن التعاطف الإنساني، وبالأخص مع الأمّهات السوريات، في قصيدة «ثلاث زنابق» التي تصوّر رمزياً مأساتهنّ في فقد أبنائهنّ ومأساة تعرّضهنّ للاغتصاب من قبل عصابات بشار الأسد. والتعاطف الإنساني مع أطفال الفلُوجة في قصيدة «فسفور» التي تدين قصف الأمريكان لها بقنابل الفسفور إبّان غزوهم للعراق: «عندما كنتُ صبيّاً/ كانت تزيّن ذيل دراجتي/ قطعة فسفور حمراء/ تتألق في الظلام/ كعين قطّة/ كلّما/ أبصرت أضواء السيارات/ البعيدة/ حبيبات من الفسفور/ الفسفور الأبيض/ أضاءتْ سماءَ الفلُوجة/ قبل سنوات/ واليوم/ يولد الأطفال هناك/ برأسين/ أو بلا عيون».

«كما في السماء»، مجموعةُ شعر، مريحة في القراءة، مقلقة في إثارة التفكير حولَ فكر الإنسان والطبيعة والكون، متعاطفة مع قضايا الإنسان، بالقدر الذي تنشر فيه المعرفة، وتحذّر من الركون إلى تحوّلها لمعتقدات قاتلة.

وسنان أنطون شاعرٌ وروائي وأكاديمي ومترجم عراقي، يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة هارفارد؛ أصدر مجموعتين شعريتين قبل هذه المجموعة هما: «موشورٌ مبلل بالحروب»، و «ليلٌ واحدٌ في كل المدن»؛ وله أربع روايات هي: «إعجام» عام 2003، «وحدها شجرة الرمان» عام 2010، «يا مريم» عام 2012، و «فهرس» عام 2016.

سنان أنطون: «كما في السماء»
منشورات الجمل، بيروت ـ بغداد 2018
109 صفحة.

الروائي السوداني حمّور زيادة في «الغرق»:

حكايات القهر وامتزاج الواقع بالأسطورة

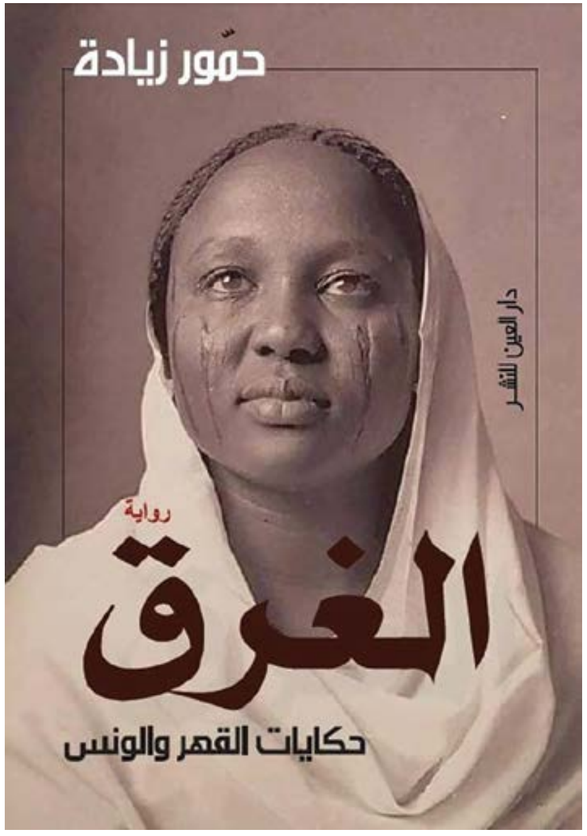

سيد احمد علي بلال

يعج فضاء رواية «الغرق» للسوداني حمور زيادة بعدّة عناصر سردية، ففيها حكايات صراع عائلتين على زعامة القرية وحكايات حب وغرق وكراهية واضطهاد عرقي وجنسي وحراسة أعراف جماعة سكانية ومكونات إثنية ذات تراتبية ملحوظة تأخذ طابع الطوائف فيها «أهل الأرض» و«الغجر» و«المقتلعين» و«البدو».

يعود تاريخ وقوع أحداث الرواية لعام 1969 مع صعود دكتاتورية نميري العسكرية، والرواية تهتم بالبعد الاجتماعي للقرية أكثر من اهتمامها بالواقع المعيشي المستند إلى الزراعة. لذلك تبدو تجليّات الواقع المعيشي وكأنها تتراجع أمام البعد الاجتماعيّ.

تتسم الرواية بالجمل القصيرة وسيادة اللغة العربية الفصحى كما تتخلّلها مقاطع شعرية، فكأن كاتبها كان متنازعا بين إعطاء روحه للرواية أم للشعر مثلما ضحى العمدة محمد سعيد النائر، أحد أقطاب الرواية، بحلم ان يكون أفنديًا وشاعرا في المدينة وعاد إلى أهله تاركاً الدراسة في كلية غردون التذكارية بعد وفاة والده امتثالاً لطلب أهله لتقلد منصب العمدة كي لا تذهب العمودية لبيت آل البدري، المنافس لبيتهم على زعامة القرية.

من أمثلة هذه الشاعريّة المقاطع الشعرية المشتتة في الرواية، مثل: «تتنهد الشمس شفقها الأخير، وتهم بالغوص في الغياب. رائحة البرسيم الرطب تغزر الدنيا» ومنه أيضا وصفه للصبيّة عبير ذات الثلاثة عشر ربيعا: «تمشي فيزغرد الماء تحت قدميها الطفلتين، تصفق فيطرب النيل، تضحك فيرقص النخيل».

ثمة شعر غنائي متنوّع يتضمن عينات مما يسمى بأغاني البنات والحنين للبعيدين وأغاني الفخر وتمجيد جنود قوة دفاع السودان الذين شاركوا في الحرب العالميّة الثانية إلى جانب جيوش المستعمر الانكليزي وجيوش الحلفاء، بالإضافة إلى أغاني الإذاعة السودانية لفناني التيار العريض للمجتمع مثل محمد وردي وفناني المنطقة مثل النعام آدم.

هناك عدة شخصيات تتشارك في بطولة الرواية في مقدمتها الذكوريّة من بيت النائر (العمدة) الذي يستأثر بالعمودية في القرية وهم ثلاث شخصيات (الاخوة محمد سعيد–العمدة، وبشير–زوج سكينة، والرشيد–أصغر الاخوة) فقد صار أكبرهم محمد سعيد العمدة، وتسلّطت زوجته الرضية، اجتماعيّاً إذ صارت طاغية يتأسس طغيانها على قناعتها بواجب حماية الأعراف والتقاليد. أما التشكيلة الأسرية الهامة الأخرى في الرواية فهي سلالة تنحدر من امرأة مسترقة وتتكون المجموعة من ابنة تلك المرأة عز القوم، وحفيدتها فايت ندو وبنت حفيدتها عبير.

تكشف الرواية أشكال قهر تقع على السلالة النسوية التي تعرضت جدتها للاقتلاع، إذ اشترتها العافية جَدة آل البدري وأهدتها لابنها النائر. وتكشف المأساة من خلال تسليط ضوء باهر على غرفة بنتها عز القوم: «شقيق العمدة هو اب مولود عبير الذي أعطته الرضية لصبري زعيم الغجر.

كانت أم عبير تحلم أن تكون ابنتها عبير طبيبة، فسمتها أولاً شهرزاد تيمناً بابنة أخ الرضية لكن الرضية استشاطت غضباً حينما علمت بذلك وهددت بقتل فايت ندو ومولودتها لولا تدخل العمدة زوجها الذي قام بإجراء تسوية، إذ أمر زوجته أن تترك له الأمر كي يحله بنفسه (بطريقة حكيمة) فمنح شهادة ميلاد البنت أمام زوجته، وأمر الأم أن تذهب إلى سجل المواليد بالمدينة وتختار لبنتها أيّ اسم آخر تشاء غير شهرزاد وقد صحبت فايت ندو في هذا المسعى الشخصية المحبوبة سكينة، أما عبير التي عانت من الرضية كارثة إخراجها من المدرسة ثم انتزاع مولودها فإنها انتحرت غرقاً بعد أن فقدت الأمل في اعتراف الرشيد أو المساعد الطبي بأبوة ابنها ثم جاء انتزاع الرضية عنوة للمولود هذا الإطار تعرض قصة الغجرية بهيّة التي ارتضت ان تلعب دوراً غريباً بمقابل مادي مع الحفظ على السريّة إلى جانب العافية (أم آل النائر) إذ تنوب عنها، بعد اتفاق بينهما، في عملية جلد تساهم في إثارة الزوج جنسيا ينتقل بعدها إلى ممارسة الجنس مع زوجته العافية، وهي قصة مثيرة للاستغراب من حيث دمجها في السياق العام للرواية، ونسبتها إلى شخصية مركزية، ومثيرة للتساؤل في اعتماد سريتها على الغجر المشهورين بالفضائحية، وإفشاء الأسرار حتى الشخصية منها.

يتحرك السرد في فضاء الرواية بحرية بعد أن يطلقه الروائي مازجا الواقعي بالأسطوري فنجده يحيل بعض الروايات إلى والدة عز القوم بعد أن خرفت، وهي امرأة مسترقة كانت العافية جدّة آل البدري قد اشترتها وأهدتها لابنها النائر كما ستتوالد وتتأسطر روايات أخرى على طريقة تلك المرأة أم عز القوم.

قصة العافية وبهية «تحكيها عز القوم عن امها الخرفة. ما حكاها قبلها بشر، ولا عرف الناس حقيقتها من خرافتها لكنها تفسر بعض ما تراه قرية حجر نارتي ولا تفهمه» وفي موقع آخر يرد أن «حكاية العافية وبهيّة لا يعرف لها زمان ولا تبدو تفاصيلها دقيقة، هي حكايات الأهالي، تتغيّر في كل مرّة تحكى يضاف شيء هنا ويضاف شيء هناك، يتبدل اسم مكان....».

ويحدث الشيء نفسه في تطور السرد في ما يتعلق بالامباشي بابكر ساتي، زوج سكينة الأول المتوفي، الذي لقي حتفه في الحرب في بلدة كرن، التي خلدتها أغاني فخر وتمجيد محاربين ورد بعضها في الرواية. يقول الراوي في ما يتعلق بحكاية بابكر ساتي، زوج سكينة السابق وأحد أبطال تلك الحرب «ستتضخم الحكاية بمرور السنوات، وكلما يذكر بابكر ساتي سيتعاظم دوره في المعركة حتى يصبح بعد سنوات فارسها الوحيد، المقاتل الفرد الذي فتح كرن وأجلى عنها الطليان ثم سقط صريع رصاصاتهم المرتبكة وهم يفرون أمامه».

لا تخلو الرواية من قصة حب خالدة تسكن وجدان القرية وهي قصة بشير وسكينة. رأى بشير سكينة يوم مولدها وكان طفلاً في الرابعة من العمر، وأعجبته هيئة الرضيعة فعبر عن إعجابه بها؛ وهكذا استبطن بشير نوعا من المحبة الصامتة ولكن بسبب الخلاف بين الأسرتين تردد وتأخر في خطوبتها إلى أن اتى الامباشي بابكر ساتي الذي ينتمي إلى القرية المجاورة وتزوجها؛ وظل بشير متيما بها خلال طفولته وصباه إلى أن لقي بابكر ساتي مصرعه فذهب وطلبها من أبيها في يوم وفاة زوجها وأمام حشد كبير من الناس ما أثار موجة غضب وفجر نزاعات، لكن والد البنت استطاع ان يعالج المشكلة بحكمة قادت في نهاية المطاف إلى زواج بشير وسكينة.

التعبير الأشد وضوحاً لانتهاكات عائلة النائر الجنسية والإنسانية للنساء المنحدرات من سلالة الاسترقاق السابق هي ان عبد الحفيظ ابن العمدة هو الوالد الحقيقي لعبير بنت فايت ندو بينما عمه الرشيد شقيق العمدة هو اب مولود عبير الذي أعطته الرضية لصبري زعيم الغجر.

كانت أم عبير تحلم أن تكون ابنتها عبير طبيبة، فسمتها أولاً شهرزاد تيمناً بابنة أخ الرضية لكن الرضية استشاطت غضباً حينما علمت بذلك وهددت بقتل فايت ندو ومولودتها لولا تدخل العمدة زوجها الذي قام بإجراء تسوية، إذ أمر زوجته أن تترك له الأمر كي يحله بنفسه (بطريقة حكيمة) فمنح شهادة ميلاد البنت أمام زوجته، وأمر الأم أن تذهب إلى سجل المواليد بالمدينة وتختار لبنتها أيّ اسم آخر تشاء غير شهرزاد وقد صحبت فايت ندو في هذا المسعى الشخصية المحبوبة سكينة، أما عبير التي عانت من الرضية كارثة إخراجها من المدرسة ثم انتزاع مولودها فإنها انتحرت غرقاً بعد أن فقدت الأمل في اعتراف الرشيد أو المساعد الطبي بأبوة ابنها ثم جاء انتزاع الرضية عنوة للمولود واعطائه للغجري صبري واستسلام أم عبير لذلك كقاصمة الظهر.

يدقق الراوي في وصف الجماعات والأفراد ولا ينسى التطرق للطقوس، فمثلا يصف الغجر قائلا: «لا يعبئون إذا شتموا ولا يملون إن رُفضوا، يأتون في جماعات، ويغادرون في جماعات، يرتزقون بالإرتحال، ويقتاتون بالالتقاط». ويصف الرضية وصفاً يجعلها طاغية، إذ أنها التي تحمي التقاليد وتمارس الفصادة والختان، وانّها كانت «كالفيضان والهبوب ورائق النخيل وقوة كاسحة تحمي التراث وسلطة بيت النائر» مضيفا أنها كانت «تحتقر العبيد والإماء، وتروض الزوج الناشز، وتحرض الرجال وتختّ الصبيان والبنات. وتقرع الشباب العابثين».

وترصد الرواية مجموعة من الطقوس مثل تغطية الرأس عند دخول الرجال على النساء والملل من الخطب المستعادة في المساجد وغيرها. أما عنصر الحداثة في هذه الرواية الريفيّة فيمثله المساعد الطبي احمد شقرب المنهمك أيضا في علاقة جنسية مع الصبيّة عبير فإن حظه من الحداثة لا يتجاوز العيادة شبه الفارغة ورف الكتب والراديو.

يبدو أن الكاتب ظل مسكوناً بالغرق منذ روايته «شوق الدرويش» فقد قال عنه:

«في اللحظة التي يدرك فيها الإنسان كل شيء يعلم أنها لحظة الموت. كتلك الرؤيا الغيبية التي تجتاح الغريق وهو يلفظ مع النهر أنفاسه ـ ص458 من شوق الدرويش».

ربما ورد عند الراوي سلوك قدماء مصريين أو نوبيين

وهم يزفون العرائس بإلاه النيلي.

النيل في الرواية مكان انتحاري غرقاً لليائسين والمنتظرين لجثث الغرقى. هناك تلك المرأة الصامتة، فاطمة أم سعاد «تأتي ملتفة بثوبها تناظر الجثة الغارقة تعاينها لعلها سعاد» لعلها ابنتها سعاد التي غرقت. يُقال إن الجثث القديمة للغرقى تخرج مع الجثث الجديدة. فاطمة لم تكف عن هذا الانتظار منذ غرق بنتها سعاد قبل 28 عاماً. وعلى نفس هذا الطريق ذهبت عبير بعد أن أخذت الرضية مولودها وأعطته للغجري. من هنا ذهبت وتتبع عبد الرازق اثر أقدامها إلى أن انتهى إلى المياه. ومن عمق المأساة يأتي صدى ما قالته فايت ندو لبنتها عبير ذات يأس «نحن وحيدتان ليس لنا أحد. لا تغرنك الهياكل والعمائم والكلمات الحنونة ودعاء خالي. نحن وحيدتان ليس لنا أهل ولا مال ولا احترام. كل اللاتي يعانقنني يضمرن لي احتقاراً. ليست الرضية وحدها من تحتقرنا ـ نحن المتناسلون من اللامكان في قرية تتفاخر بالأنساب. لا يحترمنا أحد إلا بمقدار ما يحتاجون الينا ونظهر لهم من أدب وطاعة. أنت لست بنت البدري ولا من بيت النائر ولا أبوك صاحب أطيان انت بنت فايت ندو. ليس لك غيري وليس لي غيرك».

حمّور زيادة: «الغرق»
دار العين للنشر، القاهرة 2018
260 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

الشعبوية والعقلية الثأرية متضايفتان

الثأر، الانتقام، الكراهية، الحقد مصطلحات توصيفية، تدل على مشاعر سلبية قوية تُفسد العلاقة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات والدول؛ بل تلتهم في تصاعدها، وعبر اختلاطاتها مع التحوّلات المجتمعية والاقتصادية والسياسية، ونتائج التقدم العلمي التقني غير المحصنة بالعلوم الإنسانية، الفرص وتقضي على إمكانيات البناء والتفاعل الإيجابي مع الإنجازات العلمية في مختلف الميادين، وعلى جميع المستويات.

وقد أسهمت جوانب في النظام العولمي الجديد في تأجيج هذه المشاعر، وترسيخها. من بين هذه الجوانب التقدم الهائل في ميدان الاتصال والتواصل، سواء عبر السفر أم الهجرة، أم الاتصالات الهاتفية، أم تلك التي تتم عبر مختلف وسائط التواصل الاجتماعي. ولهذه الظاهرة جوانبها الإيجابية الكثيرة، ولكن هناك الكثير من الجوانب السلبية التي تتجلى مثلاً عبر امكانية نشر الأخبار الزائفة التحريضية، والدعاية الموجهة ضد الأشخاص والجماعات والمجتمعات بناء على الاعتبارات الشخصية أو الدينية أو القومية أو العرقية وغيرها، ونشر ثقافة العنف والكراهية.

ومع تراجع الاهتمام بالتيارات الفلسفية والفكرية الإنسانية، وهيمنة ثقافة المصالح على مستوى الدول، وتوحش النزعة الاستهلاكية على مستوى المجتمعات والأفراد، وتراجع دور الأسرة لحساب الحريات الفردية، يتسع نطاق ظاهرة الشعبوية السياسية في مختلف المجتمعات، لا سيما في تلك التي تُعتبر متقدمة؛ وذلك بفعل اللعب على وتيرة مشكلات المهاجرين، وتسويق التنوع الثقافي والحضاري بوصفه صراعاً لا بد أن يحسم لصالح طرف على حساب طرف آخر. هذا بالإضافة إلى استخدام فزّاعة الإرهاب للتغطية على مختلف التجاوزات التي تقوم بها السلطات المستبدة الفاسدة المفسدة في مجتمعات الأطراف/المجتمعات النامية، أو تلك التي هي في طريقها نحو النمو.

وبتفاعل هذه العوامل وغيرها مع جملة المشكلات التي تعاني منها مختلف المجتمعات، يتشكل مناخ قاتم مشحون حتى الذروة بالتوتر والتشنج، مما يهدد بإمكانية الانفجار في أية لحظة.

وما يلاحظ في هذا السياق، هو أن الثأر والانتقام يستمدان نسغهما من الماضي، سواء البعيد أم القريب. وغالباً ما يتم استخدامهما ليكونا محور حملات تعبوية موجهة نحو مجموعة أو مجموعات بعينها، تصبح موضوعاً للثأر أو الانتقام. أما الحجة، أو الحجج، فهي أنها قد أساءت من موقع انتمائها الطائفي أو القومي أو العرقي، وحتى المناطقي المختلف، إلى المجموعة الحاملة للمشروع التدميري الثأري الانتقامي، أو بكلام أدق للمجموعة التي تحولت بدورها إلى موضوع للمشروع الانتقامي بناء على رغبات وحسابات الزمرة المهيمنة ضمن هذه المجموعة. والأمثلة حول هذا الموضوع في منطقتنا كثيرة، صارخة صادمة بكل أسف. يتمثّل أبرزها في النزعة الانتقامية الثأرية التي أجّجها النظام الإيراني عبر استغلال المظلومية الشيعية التي اتخذ منها أيديولوجية ليتمدد في دول المنطقة عن طريق القوة الناعمة أولاً (مراكز ثقافية، جهود دعوية، كتب ومنشورات مجانية أو شبه مجانية، مشاريع خدمية...الخ)، ومن ثم عبر تشكيل المجموعات والميليشيات المذهبية، لتكون جزءاً من مشروعه القومي التوسعي تحت يافطة الانتقام من أحفاد أولئك الذين ظلموا الأئمة، وتسبّبوا في سلب الحق من أصحابه، ووقفوا إلى جانب الظالم المعتدي.

وقبل ذلك، كان النظام الأسدي في سوريا قد استغل المظلومية العلوية، ليتخذ من الطائفة أداة قمعية لحكمه المستبد.

وفي مواجهة هذه المظلومية، والنزعات الانتقامية المتحورة حولها، برزت المظلومية السنية التي أراد القائمون على إثارتها استعادة المكانة والامتيازات التي كان يتمتع بها السنة، سواء في سوريا أم في العراق، وحتى في لبنان. ودخلت مجتمعاتنا دوامة عنف فظيعة، تسبّبت في تفجير النسيج المجتمعي من الداخل. إذ لم يعد الصراع المسلح بين الجيوش كما كان الحال أثناء الحرب العراقية – الإيرانية، أو مقتصراً على عمليات محددة تستهدف مفاصل الدولة أو مجموعات مسلحة هنا أو هناك، بل أصبحت العمليات الإرهابية تستهدف المدنيين العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، وفي مختلف الأماكن، لا لشيء سوى لانتمائهم إلى هذا المذهب أو ذاك، وذلك بهدف تفتيت المجتمع من خلال تأليب مكوناته بعضها ضد بعضها الآخر.

إلى جانب النزعة الانتقامية المذهبية الكبرى هذه، هناك نزعات انتقامية فرعية كامنة أقل انتشاراً، وأخف حدة، منها النزعات التي تبرز هنا وهناك بين المتطرفين العرب والكرد، وبين سكان الريف والمدينة، وإلى حد ما بين المسلمين والمسيحيين... ولكنها نزعات لم تتحول بعد لحسن الحظ إلى صراع مفتوح، بل ما زالت في طور التململ والتوتر والتشنج، يمكن معالجتها عبر معالجة أسبابها وفق أسس عادلة قوامها رفع الظلم، والإقرار بالحقوق، وإفساح المجال أمام الجميع للمشاركة والاستفادة من الموارد، وكل ذلك سيساهم في الحد من مشاعر الحقد والكراهية التي تعمي بصيرة ضحاياها، وتقودهم نحو المسارات المؤذية، خاصة في ظل غياب أنظمة الحكم الغيورة على مواطنيها وأوطانها، والحريصة على مستقبل أجيالها المقبلة من دون أي تمييز.

أما على المستوى الدولي، فيلاحظ أن التوجهات القومية، والنزعات العنصرية، قد بدأت تهيمن في العديد من المجتمعات، بما فيها تلك الديمقراطية في الغرب نتيجة معاناتها من الكثير من التغرات وحالات الفساد التي لم تصبح بعد خارج السيطرة، ولكن الخشية هي من أن تصبح كذلك مستقبلاً، ما لم تعالج الأمور معالجة تشمل الأسباب البنيوية للأزمة التي تعاني منها أنظمة الحكم في المجتمعات المعنية. وهي أزمة تتمثل في جملة من المشكلات التي ترهق المواطن الغربي في مختلف الميادين، مثل التعليم والعمل والصحة والسكن وخدمات رعاية المسنين وانتشار المخدرات وجرائم القتل وغيرها، وهي مشكلات غالباً ما تستغلها القوى السياسية الشعبوية في سعيها من أجل كسب المزيد من الأصوات.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن العديد من العمليات الإرهابية التي شهدتها بعض الدول الأوروبية (فرنسا، ألمانيا، بلجيكا، السويد وغيرها) قد عزّزت دوائر هذه القوى اليمينية العنصرية، ومكّنت وسائل الإعلام التي تبث البروباغندا الخاصة بها من التأثير على قطاعات واسعة من الرأي العام الغربي، وخاصة في أجواء التكامل بين ظاهرتي الإسلاموفوبيا من جهة والتطرف الإسلاموي العدمي من جهة ثانية.

ورغم الجهود الإيجابية الواعية التي تبذلها العديد من الحكومات والأحزاب الغربية والجمعيات والشخصيات الفكرية والفنية من أجل إدانة العمليات التي تندرج ضمن خانة الإرهاب الأبيض أو العنصرية البيضاء، فإن المؤشرات لا توحي بالخير إذا ما استمرت الأوضاع الراهنة على حالها، ولم تُبذل جهود جادة حازمة، تستهدف معالجة الأسباب بصورة جذرية.

ظاهرة تصاعد اليمين المتطرف في الغرب تنذر بالكثير من المخاطر الفعلية، وبدورة عنف دموية، ما لم تتفاهم الأحزاب الأوروبية والغربية عموماً بعيداً عن الاستقطابات وجرائم القتل وغيرها، وهي بخطوات وبرامج واقعية، تضع حلولاً ممكنة، مقرونة بجداول زمنية مقبولة لجملة المشكلات التي يعاني منها الناس.

ولكن كل ذلك لن يكون كافياً ما لم تبذل جهود حثيثة لدعم النزوع الديمقراطي في مجتمعات الشرق الأوسط، وشمال وسط أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وغيرها من المناطق التي تكون أنظمة الحكم فيها طاردة لمواطنيها الذين يتوجهون لاجئين نحو المجتمعات الغربية، حاملين معهم آمالهم وطموحاتهم، ومثقلين في الوقت ذاته بجملة من المشكلات التي تحول دون اندماجهم في المجتمعات الجديدة، فيتحولون إلى كتلة أو مادة تتولّد في داخلها، وفي مواجهتها، مشاعر مختلطة من الحقد والكراهية، وعدم الانسجام. وكل ذلك لا يخدم مجتمعاتهم الأولى، كما لا يفيد مجتمعاتهم الجديدة في المحصلة العامة. وحدها الشعبوية السياسية هي التي تستفيد من هذا الواقع، فهي تحول مآسي الناس ومعاناتهم إلى وسيلة لتعزيز المواقع، والعمل من أجل المهمة عبر إخراج الخصوم من دائرة التأثير.

والسؤال هو: هل ستستمر الشعبوية بأشكالها المختلفة في التصاعد لتصبح عنوان الحقبة الكونية القادمة؟ أم أن ما نشاهده مجرد فقاعات ستتلاشى مع ارتطامها مع الوقائع، سواء الإيجابية منها أم السلبية؟

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

عنصرية جديدة

منصف الوهايبي

قد لا يعرف أكثرنا أنّ كلمة «عنصريّة» حديثة الميلاد، فعمرها إذا نحن استظهرنا بغاية الاستظهار قرن ونيّف؛ إذ ظهرت الكلمة عام 1902 في فرنسا والمملكة المتّحدة. ثمّ شاعت وتداولتها الألسن في العشرينات في ألمانيا؛ لتدلّ على غلاة جماعات من اليمين، وعلى أنشطتهم ومذاهبهم. وإذا كانت الكلمة تحوي في سياقاتها التاريخيّة العبوديّة وازدهار القوميّات والنازيّة والفاشيّة والتمييز والتفرقة وما إليها، فإنّها لا تزال مسألة خلافيّة ومصدر تأويلات شتّى؛ وبخاصّة كلّما تعلّق الأمر بتشخيصها أو تقديرها انطلاقا من أعراضها وظواهرها، على مستوى دولة ما، أو بنعت التصرّفات السيّئة لفرد ما؛ على نحو ما نلاحظ في سلوك الرئيس الأمريكي دونالد ترامب. وتتجلّى العنصريّة في جملة من المظاهر والمواقف مثل التصريحات والشتائم والوعيد والتهديد. وهي مبنيّة على قوالب ورواسم وأفكار ومعتقدات وأحكام سبّقيّة لا سند لها من استدلال صريح. ونتبيّنها في سلوك فرد أو جماعة وفي تصرّفاتهم ومجموع استجاباتهم لما يحيط بهم من ظروف؛ من تجنّب أفراد بعينهم على أساس من هويّتهم أو عرقهم وجنسهم ولونهم ومعتقداتهم، ومحاساتهم واحتقارهم وازدرائهم، إلى مضايقتهم وتهديدهم؛ كما جاء في تعريف العنصريّة في قانون بلغين في فرنسا في تموز (يوليو) 1972. وسواء أكان ذلك طبقا لأوضاع وقواعد منظّمة (اضطهاد الدولة، والأبيرتايد...) أم من دونها؛ فالعنصريّة ظاهرة لا تنتج عن مجرّد جمع خصائصها، وإنّما من مجموع العلاقات بين هذه العناصر مثل الطرد والحرمان والعزل والتمييز، وما يحكمها من خطاب إيديولوجي ونظريّات عرقيّة. ويمكن القول إنّها بيولوجيّة مثلما هي ثقافيّة، إذ تقوم على مفهوم العرق، ويزعم القائلون بها أنّ لكلّ المنتمين إلى جنس خصائص تكوينيّة وراثيّة تحدّد استعداداتهم واستجاباتهم الثقافيّة وخصالهم وقيمهم الأخلاقيّة.

إنّ إعادة بناء الأصل الاجتماعي للكلمة ضرورة لا فكاك منها، لأسباب وداع من أظهرها أنّ اللّغة تتطوّر وأنّ العلامة أو الكلمة لا تمضي على ثبات ودیمومة وأطراد. بل إنّ تطوّر العلامة يمكن أن يفضي عبر تحوّلات وتناسخات لغويّة كثيرة لا إلى تغيّرها فحسب، وإنّما إلى زوالها أيضا.

وربّما تغيّر الكلمة ما بها من المعنى أكثر ممّا هي تضمحلّ أو تتلاشى فيتوسّع المدلول الذي يتولّد منه توسيع في المعنى. وقد تتّسع الكلمة في حقبة لجملة من المعاني، ثمّ تقصر في أخرى على معنى واحد، وقد تمرّ الكلمة بالطورين معا: انتشار يعقبه انحسار. ومهما يكن فثمّة دائما علامات إراديّة اصطلاحيّة تواصليّة، وأخرى غير إراديّة ولكنّها تعبيريّة إذ توحي بحالة من حالات الفكر أو تبين عنه؛ وتشهد لتنظيم ما للكون أشياء وقيما وأحاسيس.

والنظام اللغويّ لا يمكن إلاّ أن يحوي تحليلا للعالم الخارجي بخصّه، ولكنّه يختلف عن نظام لغات أخرى مثلما يختلف من حقبة إلى أخرى، في حيّز اللغة الواحدة. وكلمة «عنصريّة» لا تنفكّ عن هذا السياق. كيف تولد اليوم وأيّ معنى تتّخده في خطاب عنصريّ مثل خطاب ترامب؟ وفي خدمة من؟ وضدّ من؟ وفي أيّ مهاد تنمو؟ وعلى أيّة وتيرة تجري؟

عام 1992 طالب برنار هرزبرغ، باسم جمعيّة، بحذف كلمة «عرق» من الدستور. وحجّته لذلك أنّ في القول بأنّ الفرنسيّين معتبرون مواطنين «دون تمييز في العرق والجنس [ذكر وأنثى] أو الدين» إشارة ضمنيّة أو مباشرة إلى حالات أو ظواهر معترف بوجودها، ما عدا العرق، وأنّ استعمال هذه الكلمة في الدستور، يمكن أن يرسّمها أي يجعلها رسميّة. وردّ عليه مخالفوه بالقول إنّ البشر هم حقيقة مصنّفون على مقتضى ما يسمّيه البعض «عرقا». وغنيّ عن القول إنّ حذف الكلمة لا يسوق إلى حذف هذا الواقع الاجتماعي. وهو ما يفسّر السجال حول العنصريّة والعرقيّة من حيث هي اعتقاد بأنّ العرق هو العامل الحاسم في تقرير سمات البشر ومواهبهم. على أنّ كلمة عرق صارت اليوم «مفخّخة» أشبه بكمين، ويتحاشاها كثيرون ما عدا الذين يحبّون الصيد بالفخّ. لنقل إنّ الكلمات لا تحمل حُدا أو تعريفا في ذاتها، والاستئناس بالمعجم لا يقدّم حلّا. والتعريفات تتغيّر حسب المعجم وتاريخه. والمعجم ليس محايدا، وهو إمّا أن يرضى بالأهواء والصور المهترّة؛ فيفضّل الغموض التعريفي، أو أن يقدّم سلسلة من التعريفات غير المترابطة عادة. وكلّ المعاجم والموسوعات الكبرى تجري على هذه الوتيرة. ومثال ذلك كلمة «فاشية» فقد ظهرت في المعاجم عام 1930 وأضفى عليها معجم «لاروس الشهري» بعدا مؤيّدا أي تعريفا مناصرا واصفا الحراك «الثوري» الإيطالي من حيث هو حامل رسالة تتمثّل في توطيد دعائم الأمّة، وتغيير البلد باستبعاد قوى «التخريب» وخاصّة الشيوعيّين. وقس على ذلك كلمة «شيوعي» فقد كانت تعني كلّ من ينادي بشيوع كلّ شيء، وليس إلغاء الملكيّة الخاصّة وإحلال الملكيّة الجماعيّة محلّها أو انتقال السلطة إلى العمّال والمزارعين. أو كلمة «فوضوي» [أناركيست] فقد كانت تُضفى عليها قيمة محقّرة؛ بالرغم من أنّها عند برودون، وقد وصف بها نفسه، من معدن كريم؛ أو تأخذ بـ«شرافة اللفظ» كما يقول أسلافنا. أو كلمة «أصفر» فقد كانت تعني قبل الحرب العالميّة الثانية كاسر الإضراب، وكانت هناك «نقابات صُفر» في مواجهة «النقابات الحمر».

وقس على ذلك كلمة الإسلاموفوبيا، فهي تعني بالرغم من أنّ أصلها يعتريه نقص ما، أو هو غير ناجز؛ عنصريّة نوعيّة تجاه المسلمين عامّة، انخفّت تتنامى. وعقب اعتداءات زيلاندا الجديدة، كانت أبرز ردود الفعل التي يمكن رصدها هي الحرب الكلاميّة التي دارت بين المُناظِرة كارولين فورست ومجادليها. وهي نشيطة نسوانيّة معروفة بدعوتها إلى توسيع حقوق المرأة ومدّ سلطاتها، فقد وقفت ضدّ مفهوم الإسلاموفوبيا المتداول، وتصدّت له منذ سنوات. وحجّتها أنّ قلق التسمية ليس إلاّ انتقاصا من قيمة الظاهرة وتصغيرا لها؛ وهي تعتبر أنّ الإسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام، يعني «الخوف من الإسلام» وليس إلقاء التبعة على المسلمين أو رفضهم من حيث هم بشر، أو بسبب انتمائهم الديني. ولذا هي تفضّل اصطلاح «العنصريّة المناهضة للمسلمين» وتدعو إلى مقاومتها. والخلط بين هذين النعتين يمكن أن يترك الباب مفتوحا إزاء استحالة نقد الإسلام من حيث هو ديانة أو نظام إيديولوجي. وكان كوفي أنان الأمين الأسبق للأمم المتّحدة قد صرّح عام 2004: «إذا كان العالم مرغما على ابتكار مصطلح جديد، لإثبات تعصّب ما انفكّ يتنامى، فهذا تطوّر مؤسف مزعج. وتلك هي الحال مع الإسلاموفوبيا». إنّ الكلمات تتكلّم من نفسها، والإسلاموفوبيا، وإن كان الاصطلاح يعاني من قلق العبارة ومن اشتقاقها، تعني الخوف أو الرهاب، وتدلّ على ظاهرة علّم عليها الأمين العامّ الأسبق، أي العنصريّة النوعيّة إزاء المسلمين أو كما هم في منظور مناهضيهم؛ وما يترتّب عن ذلك من تمييز ورفض وعنف. ولا يخفى أنّ هذه النوعيّة هي أيضا حال مناهضة السامية، وهذا اصطلاح لا يحوي كما يفترض أن يدلّ عليه أصل الكلمة، عداوة الساميّين كلّهم؛ وإنّما اليهود وحدهم: الضحيّة التي لا شريك لها.

وهذا لا يسوق إلى صرف النظر عن تاريخ الكلمة «فوبيا الإسلام»، وما إذا كانت تعود إلى بدايات القرن العشرين أو إلى 1979 مع تأسيس جمهوريّة إيران الإسلاميّة. فلا بدّ من التاريخ للمصطلح الذي قد يضيق عن معنى، ويتّسع لآخر، من أجل استيعاب مجمله وتحليل عناصره. تنخرط إذن كارولين فورست في هذا السجال الإيديولوجي، وهو حقّها الذي لا أحد يصادره؛ وإن كانت لا تنتبّه إلى أنّ الإسلام واحد ومتعدّد في الآن ذاته، فهو بشهادة المستشرقين مثل هاملتون جب يتمثّل في عدد من الكيانات السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة المترابطة المتباينة، في منطقة مترامية الأطراف مكانا وزمانا. ولكن ينبغي أن لا يخفى أنّ معركة الإسلاموفوبيا تضعنا في مواجهة النضال ضدّ العنصريّة، دون لفّ أو دوران. والإسلاموفوبيا أصبحت اليوم مفهوما شعبيّا لا يمكن حذفه بجرّة قلم، وهي لا تحظر نقد الإسلام أو رفضه أو حتّى التشهير به وبيعض شعائره ومعتقداته على نحو ما يفعل كثير أو قليل؛ والأديان كلّها كانت منذ ظهورها ولا تزال عرضة للنقد والمساءلة. فهذا ليس مشكلا في حدّ ذاته، ما لم ننتقل من المختلف إلى المشابه وهو العنصريّة في السياق الذي نحن به؛ أو مماثلة هذا بذاك، فيُستهدف المسلم باعتباره مسلما لا غير.

إنّ الكلمة وصيرورتها المفهوميّة تتشابهان، فهما تتمثّلان حلول الإنسان في الكون وتكوّنان نظام استدلاله وسط ما يحيط به. لكن هذا التشابه لا يحجب عن الفرق بينهما، وتصوّر الأشياء إنّما يبدأ على أساس من تقسيم العالم إلى مجموعتين متعارضتين: مجموعة الأشياء ومجموعة الذوات. وإذا كانت الأولى واضحة لأنّها تنضوي إلى عالم المحسوسات الماثلة للعيان، فإنّ الثانية ملتبسة أو هي غير واضحة.

كاتب تونسي

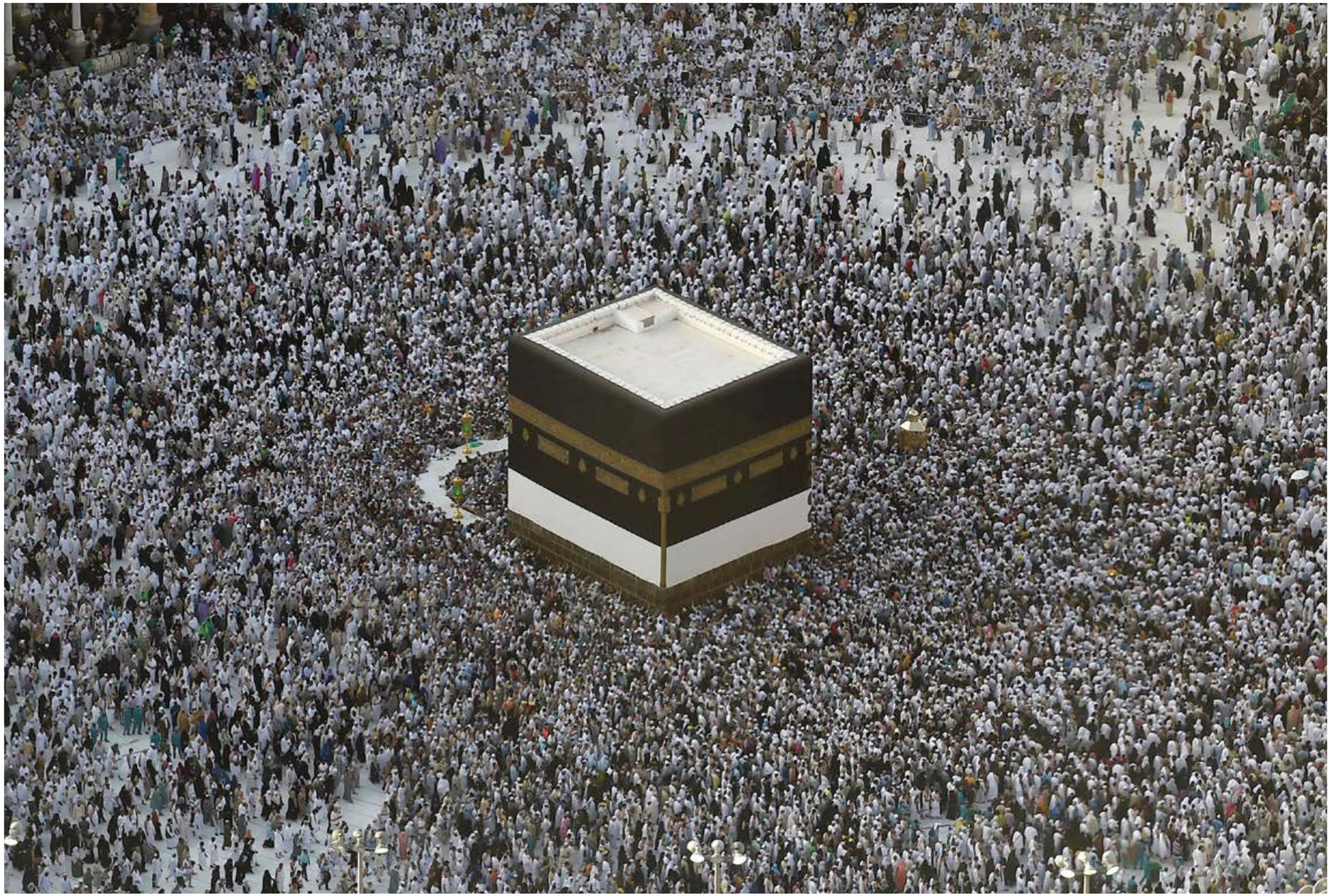

عيد الأضحى

يحتفل المسلمون في أنحاء الأرض بحلول عيد الأضحى المبارك، ويشكل الحج أحد الأركان الخمسة للإسلام وهو فرض على من استطاع من المؤمنين أن يؤديه على الأقل مرة واحدة في العمر. والسبت تجمع أكثر من مليوني حاج عند صعيد عرفات عشية عيد الأضحى لأداء أهم أركان مناسك الحج، في يوم من الدعاء والتكبير.

أداب وفنون

جدل الهويّات الثقافية وخطابها في سجالات المثقفين العراقيين

مروان ياسين الدليمي

يكل ما تحمله من خصوصية ضاربة في جذور الذاكرة الجمعية، تواجه الثقافات المحلية انساقا إيديولوجية فرضتها ماكنة العولمة مهددة استمرارها وفاعليتها، وإذا ما أردنا ان نرصد انعكاس هذه القضية على المثقف في المنطقة العربية، سنقف عند حزمة من الأسئلة؛ ما الذي يمكن أن نقرأه في خطابه الثقافي، هل يحمل حساسية عالية ازاء تحدياتها، هل تشكلت لديه رؤية واضحة في التعامل معها، أين يمكن أن يكون حضوره في هذا الصراع الثقافي، هل يستحضر التاريخ ويستعين به لتأكيد خصوصية ملامحه أم يتحرك في مساحة من الانفتاح يخضع فيها موروثه الثقافي إلى رياح التغيير مستجيبا بذلك إلى خطاب العولمة الشمولي؟ من هنا لجأنا إلى تلخيص هذه الهواجس بسؤال واحد طرحناه على نخبة من المثقفين العراقيين؛ كيف تقرأون الهوية الثقافية في زمن العولمة؟

هويّات متسرِّبة

الروائي حميد الربيعي بدا متشككا في مآلات العولمة، حتى أنه شبهها ببالوعة كبيرة تشفط كل شيء يتحرك في الشوارع والأزقة من دون أن تستطيع إعادة تدويره ثانية. وضمن مفهوم التدرج التاريخي في المسيرة الإنسانية فإن العولمة لن تكون المحصلة النهائية وإلا سنقرأ سلام الختام على البشرية وذلك بالعودة مرة ثانية إلى قانون الغاب الأولي. ويضيف الربيعي بأن العولمة لم تأت من فراغ، إنما فرضتها إرادات اقتصادية دولية وتدرجت من السوق المفتوحة إلى التجارة الحرة لتحويل العالم إلى قرية صغيرة عبر وسائل وأساليب كثيرة. ويصل في استنتاجه إلى ان الهويات ستكون متسربة في ثنايا هذه القرية الكبرى ولن يكون لها وجود من خلال تلاشي مفاهيم الأطر للثقافات المحلية كاللغة والتراث والتاريخ والجنس، لأن الاختلاط الذي تطلبه العولمة يقضي على هذه المفاهيم كما يحاصر الذات الإنسانية، فضلا عن ان انتشار ثقافة العولمة سيقودنا إلى عدم التمييز ما بين الثقافات المحلية بين هؤلاء وأولئك من المجاميع البشرية، بالتالي يتحول البشر إلى قوالب معبأة بمفاهيم جاهزة بدون أن تكون هناك خلفية تساعد على المقاربة أو المقارنة بثقافة أخرى، والنتيجة تعني إلغاء كل ما هو ذاتي أو محلي.

هويّات لا تسعى للطيران

يرى الشاعر بولص آدم أن الإساءة للهوية الثقافية في هذه المسألة تتمثل بالحصار الرجعي عليها، بحجة مقاومة الذوبان، وقبل أن يصل إلى هذه النتيجة يتساءل: هل هناك تكافؤ فرص وعدالة في توزيع هذه الفرص في الشرنقة الثقافية لتكتسي الحواضر بالحرير؟ ويجيب على تساؤله قائلا: إن خالق الوجه الثقافي له منجز يقصد الوصول والصول بصوته المعلن لحضوره واستعداده للتفاعل في كل العالم، فليكن من كان قد أعلن عن مشروع متجسد في عمل ثقافي فكري إنساني فهو أول من تمرد على الحواجز والتحكم. ويضيف أن فكرة الفني والتقني طموحة ومسافرة بل عاشقة للتماهي والتبادل بينها وبين الآخر البعيد قبل القريب. ثم يحاول آدم مرة أخرى أن يعيد قراءة الهوية الثقافية في إطار ما طرحناه من سؤال وذلك بطرحه عدة أسئلة؛ كيف للهوية الثقافية ان تنتعش وتتجدد وهي لا تسعى للطيران والتحليق بعيدا؟ هل القدرية عند بتهوفن ناتجة عن هوية تفهم القدر وتسميه تجريديا بصيغة مطابقة لسماتها وتوقعاتها الإنسانية فقط؟ في معرض إجابته على الأسئلة التي طرحها نجده يضمنها أسئلة أخرى إذ يقول: لنركز على شكل هوية أحوال مثقف مثلا، الم تتغير تلك التي كانت قبل نصف قرن عنها الآن؟ شكل الورق والطبع والصورة الشخصية تغير، غير أننا نستطيع تمييزه رغم شكل هوية أحواله الجديدة فسماته ومميزاته حوفظ عليها. نحن نخشى ان يكون للحفاظ كنية حسنة ان تقابل بمكافئة رديئة من قبل الطرف المتصدي للعولمة بغية إشباع رغبات التحكم والسلطة والنفوذ بأشكالها الشاذة والغبية، فالانغلاق نتيجة لذلك والخوف عنوان تلك الهوية الثقافية. ثم يصل إلى نتيجة واضحة حول مفهوم الهوية الثقافية عندما يقر بأن مدنية اليوم دليل وعي وعمل حثيث على هوية ثقافية متجددة تساير العصر وتقرر ما تنتمي ولا تنتمي إليه بحس استقلالي شفاف وليس استغلالي كذاب. أعطني فرصةً فاذا لم أحصل عليها فساكون أول من يشك في كل شيء. لدي هوية ثقافية تعدَّدت بالصهر مع كل استقبال إيجابي تأسيسا على معدن الأرض التي أنجبتني، غدا ستكون عندي هوية جديدة جرى عليها تحسين طفيف وهكذا.

يوتوبيا المستقبَل

الناقد المسرحي عصمان فارس يجد في اعتناق العولمة الثقافية كظاهرة عالمية أمرا صعبا للغاية. لأننا نتحدث كثيرا عن التعددية الثقافية على المستوى الملموس والمحلي، وهو مفهوم قريب ولكن ليس متطابقًا بالشكل الذي تتطرق إليه العديد من النصوص في هذه القضية. ربما يمكن القول إن التعددية الثقافية هي المظهر الوطني للحركة الثقافية العالمية. ولأن متحدثنا يعيش منذ مدة طويلة لاجئا في السويد يتطرق إلى موضوع التعددية الثقافية في الدول الاسكندنافية، مفترضا أن ثقافة الأغلبية المحلية هي بطريقة ما سياق العولمة الثقافية. وفي ضوء ذلك، يرى أن التعددية الثقافية ليست مفهوما إشكاليا، بينما يتم استخدامه كمثال، فإنه يميل إلى التركيز على الآخر المهاجر. فإن العولة الثقافية شيء يشعر المرء بسهولة بالتناقض تجاهه. من ناحية، يعد شكل من أشكال المجتمع الثقافي العالمي شرطا أساسيا وفرصة للقرية العالمية التي وعدت بها يوتوبيا للمستقبل، ومن ناحية أخرى فإن حنين الروح ينخرط، والشعور بأن هناك كنوزا تضيع إلى الأبد، واللغات التي تموت، والذكريات الجماعية والخبرات التي تتلاشى. الثقافة شيء يُحدِث الموت المستمر والولادة، لذلك فإن حدود البلد هو موطن الثقافة.

طائفيّة الثقافة

ويشير الروائي نوزت شمدين في إجابته إلى عمق التفتت الحاصل في الوعي الثقافي الجمعي لدى العراقيين حتى انه شبه العراق مثل مركب تتقاذفه أمواج الأزمات، لذا فلا شيء مستقر فيه وركّابه الذين توزعوا مجموعاتٍ طائفية وقومية، راضين أو مرغمين، يحاول بعضهم وباستماتة مسك المساحة التي حصلوا عليها وعدم الرجوع ولا حتى خطوة واحدة إلى الوراء. بينما آخرون همهم الوحيد المحافظة على ما تبقى لديهم. هذا هو المشهد العام. ويعبر شمدين عن أسفه لأنه وجد الحال يتفاقم في بعض الأحيان عندما يلعب فيه المظلوم سابقاً دور الظالم حالياً وقد يتجاوزه بمراحل. قلة قليلة هم المؤمنون حقاً بالعراق بيتاً ومستقبلاً للجميع ويظهر ذلك جلياً في أقوالهم وأفعالهم، وإلا فإن الأغلبية تحمله شعاراً فقط، سرعان ما يلقون به أرضاً ويهرعون لتلبية نداء الطائفة او القومية، ويظهر ذلك جلياً في الانتخابات والكوارث الوطنية المتلاحقة. ويضيف معلقا على ما وصل إليه حال الثقافة في العراق فيقول، إن العراق هو البلد الوحيد في هذا الكوكب الذي ليس فيه عيد وطني يحتفل فيه الجميع وهذا يكفي لندرك حجم المأساة. وبالنسبة له فان الثقافة الوطنية حتى تحقق حضورها الفاعل فإنها تحتاج إلى إجماع حتى تسود لتغلب على الانتماءات والولاءات الضيقة التي تقاسم الساسة على أساسها كل شيء تقريباً في بلادنا بدءاً من الإنسان. يجب أن نفهم جيداً أننا بلا عراق مجرد نتف بشرية لا قيمة لنا في أي مكان آخر وأن متانة سقفه فوق رؤوسنا تعتمد علينا وعلى سعينا الدائم للبحث عن معززات لوحدتنا. وهذا الفهم العام يتطلب فضلاً عن الجهد الجمعي الشعبي اضطلاع مؤسسات الدولة لترسيخه فعلاً يومياً في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية. وفرصة ذلك قائمة إن قررنا فعلاً أننا أبناء وطن واحد.

الهويّة متغيّرة

من وجهة نظره يعلق المخرج المسرحي د. علي عبد الحسين إزاء الهوية الثقافية ويجدها متغيرة بالضرورة لأي شعب، كما انها لا تعرف الثبات ما ظل تاريخها يمر بمراحل من التحول والتغير اللذين ينتجان عن عوامل محلية وعالمية في آن. والهوية ليست كيانا ثابتا مغلقا على نفسه، وإنما هي كيان فعال، فاعل ومنفعل، وتتكون من عناصر ثابتة عميقة الجذور ضاربة في العمق التاريخي للأمة، وأخرى متغيرة لأنها مشروطة بالتاريخ المتحول بكل عملياته، أي العمليات التي تأتي من الخارج، متفاعلة مع العناصر الثابتة. ويضيف علي عبد الحسين أن الهوية لا يمكن أن توجد بمفردها من دون ثلة من النقائض والنوافي والأضداد. وان البعد الثقافي للعولمة لا يعدو أن يكون محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحّدة. ويصل في رؤيته حول أهداف العولمة إزاء الهوية الثقافية فيجدها تسعى إلى سلخ الشعوب عن ثقافتها وموروثها الحضاري وبالتالي سلخ هويتها الثقافية، لأنها في قناعته ليست سوى نظام يقفز فوق حدود الدولة والأمة والوطن يعمل على إفراغ الهوية الجماعيّة للأمة من أي محتوى، ويدفع بها إلى التفتيت والتشتيت، وليربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة. وبذلك تصبح العولمة فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الهويات، أنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح بالثقافة– فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة.

سؤال شائك

الشاعر محمود جمعة اعتبر السؤال شائكا، والإجابةُ عنه تتطلّب إحاطةً بجوانب كثيرة، من التاريخ والسياسة والدّين والأنثروبولوجيا. لكنّه يستدرك ويجد ان بالامكان الولوجُ إلى مصطلح (العولمة) الذي بموجبه أصبح العالمُ قريةً صغيرةً، وهذا أثّر على العقل العربيّ بصورةٍ مُباشرة، فجعله يتنازلُ عن قناعاته الشخصيّة المتعلّقة بالتصاقه بالأرض، والأمرُ الأهمّ من ذلك بالنسبة لجمعة ان الحديث عن ثقافة وطنيّة بات غيرَ ممكن مع شيوع محوُ فكرة الوطن، وإبدالُها بمفهوم الطائفة، لا سيما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، فانبرتِ الطوائفُ مُحاولةً انتزاعَ التاريخ من سياقاته المعرفيّة بما يعزّز أحقيّتها في السلطة، فضلاً عن ذلك فإنّ الدول العربية محكومةٌ بحُكّام، لم يحافظوا على أوطانهم سواء التي هي أفكار في الأذهان، أو حقائق جغرافيّة على التراب.

ثقافة نكوصيّة

الناقد الاكاديمي د. قيس عمر وضع مسؤولية ما آلت إليه حال الثقافة على عاتق الثقافة الإبدالية بعناوينها الطائفية والقومية، لأنها عملت على تشكيل ثقافة نكوصية/ تاريخية– أسطورية، وإذا ما حاولنا البحث عن الثقافة الوطنية التي تسعى لها الأيديولوجيات السياسية المنعتقة من الخطاب الطائفي أو القبلي سنجد تجربة الحزب الشيوعي– عربيا– مثلا لا تختلف كثيرا عن الثقافة السائدة، فمحاولة الهيمنة على المنابر الثقافية والإعلامية وتكريس ثقافة تاريخية ثبت فشلها التاريخي أمام الرأسمالية لا يمكن عده إلا في هذا السياق. وأضاف أن التحالف الهش بين هذه المكونات الإبدالية قد عمل على ضرب لحظة التنوير. فبعد احتلال العراق تغول الخطاب الطائفي، وفتح الباب أمام مشروع نكوصي جديد أطاح بمفهوم «الدولة الوطنية» لتتبعها مفاهيم «الثقافة الوطنية» وإذا ما أردنا تشكيل ثقافة وطنية ينبغي ترصين دعامات الفكر الحر، وأن يكون الهرم فيها هو الأيمان بالمواطنة القطرية ومن ثم الكونية العابرة للجغرافيا والتي تؤمن بالتجربة الإنسانية.

فان كوخ العبقريّ المتوحِّد الذي غيّر ذائقة الناس

عدنان حسين أحمد

نظّم غاليري «Tate Britain» في لندن معرضًا استعاديا للفنان الهولندي الشهير فنسنت فان كوخ (1853–1890). وقد ضم المعرض مجموعة كبيرة من أعماله الفنية المتنوعة الأحجام والثيمات، لكن القائمين على الغاليري ركزوا كثيرًا على 50 لوحة ترصد تأثره بالفنانين الإنكليز وتأثرهم به، فمثلما ألهموه وحرّضوه على الإبداع، ألهمهم هو الآخر، واستدرجهم إلى عوالمه الفنية التي كانت غامضة وعصيّة في ذلك الوقت حتى على النقاد والمختصين بالفن التشكيلي.

ينتمي فان كوخ إلى مدرسة «ما بعد الانطباعية» التي سنُفضي لاحقًا إلى المدرستين التكعيبية والوحشية، فهو لم يتقيّد بتقاليد «الانطباعية» وقيمها الفنية الثابتة التي تعكس الجانب الموضوعي للفنان وإنما تعدّاها إلى الجوانب النفسية التي تستغور أعماق الفنان، وتعكس مشاعره الداخلية المتضاربة التي ينفّذها بضربات الفرشاة العنيفة، والألوان الثقيلة الصريحة التي لم يستسغها المتلقّون في حينه لكنهم اعتادوا عليها، وتطبّعوا على مفرداتها التشكيلية الغريبة.

لوحات لأجيال قادمة

ولد فنسنت فان كوخ عام 1853 في زونديرت بهولندا، ثم قدم إلى لندن وهو العشرين من عمره، وقد زاولَ مهنًا متعددة بعد أن ترك الدراسة في سن الخامسة عشرة حيث عمل موظفًا في شركة تتاجر بالأعمال الفنية، ثم مساعد معلّم في الريف الإنكليزي، فواعظ في عدد من الأحياء غربي لندن قبل أن يحسم أمره وينقطع إلى الرسم وهو في سن السابعة والعشرين حيث أنجز خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته 2100 عمل فني من بينها 860 لوحة زيتية رسمها في العامين الأخيرين من حياته وهي تشمل المناظر الطبيعية، والطبيعة الصامتة، والبورتريهات. لم تكن لوحاته ناجحة تجاريًا ولكنها كانت مرسومة لأجيال قادمة تعرف قيمتها الفنية وهذا ما تحقق بالفعل حين أصبحت لوحاته من أغلى الأعمال الفنية في العالم.

تمرين السجناء

ينقسم المعرض إلى قسمين أساسيين، الأول يركز على تجربة فان كوخ في لندن، والمعطيات الأدبية والفنية التي لفتت انتباهه، بينما يستكشف الجزء الثاني تأثيره الفني على الفنانين البريطانيين حتى الخمسينات من القرن العشرين، لكن هذا التقسيم يبدو قاصرًا ولا يُسعف المتلقي بشيء فكل لوحة من لوحات هذا الفنان الذي كان يُوصف دائمًا بـ «العبقري المجنون» تأخذنا إلى مساحات وآفاق واسعة تغطي في الأقل المناخ الأوروبي الذي يتسع شيئًا فشيئًا حتى يلامس الجهات الأربع للكرة الأرضية.

الشغف بالقراءة

ما إن يلج المتلقي إلى الصالة الأولى حتى تسترعي انتباهه مجموعة من الكتب والروايات الإنكليزية المرصوصة على أحد الرفوف، فالرسّام فان كوخ كان يتقن أربع لغات قراءة وكتابة من بينها الإنكليزية والفرنسية، وكانت هذه الروايات والمجموعات الشعرية مصدر إلهام وسعادة لا توصف بالنسبة إليه، ومن بين الكتّاب والروائيين الذين قرأ لهم، تشارلز ديكنز، وجورج إليوت، وكريستينا روزيتي، ووليم شكسبير. وقد كتب لأخيه ثيو ذات مرة قائلاً: «قراءة الكتب تشبه النظر إلى اللوحات، وعلى المرء أن يجد ما هو جميل». وتعزيزًا لشغفه بالكتب حتى السنة الأخيرة من حياته، رسم فان كوخ خمسة بورتريهات لصديقته ماري جينو التي كانت تدير كافيه المحطة في مدينة آرل وقد أسمى اللوحة «امرأة من آرل». ولو دققنا النظر في الكتابين الموجودَين على الطاولة لوجدنا الأول «ترنيمة عيد الميلاد» لتشارلز ديكنز والثاني «كوخ العم توم» للروائية الأمريكية هاريت بيتشر ستو المعروفة بمناهضتها للعبودية.

إثر وصوله إلى لندن عمل فان كوخ في مؤسسة «غوبيل وسي» وسكن مع أورسولا لويَر وابنتها يوجيني في ستوكويل في جنوب لندن وقيل إنه كان معجبًا بيوجيني لأنها كانت تشبه أخته الكبرى ولكنها كانت مرسومة لأحد هذه الحادثة مُكتفيًا بالإشارة إلى احباطه العاطفي مع أنها مهمة لجهة تواجده في هذه المدينة الكوزموبوليتية. كان فان كوخ يستعمل القوارب النهرية، وقطارات الأنفاق أثناء تنقلاته اليومية لكنه كان مشّاءً بامتياز يعبر جسور المدينة ويتأملها كثيرًا، وقد ألهمه النهر العديد من اللوحات الفنية بما فيها تلك الأعمال التي رسمها على أنهر أخرى مثل الرون والسين وغيرهما من الأنهار الجميلة التي أبهرت المتلقين.

يعترف فان كوخ بأنه كان ضعيفًا أمام براعة الفنانين الإنكليز في الأعمال الفنية الطباعية التي يمكن أن يتلمس فيها المشاهد ثنائية الضوء والظل وما تنطويان عليه من قوة درامية واضحة. ونظرًا لأهمية هذه الأعمال فقد جمع فان كوخ أكثر من 2000 عمل طباعي وهي التي ساعدته لاحقًا لتطوير أساليبه الفنية في الرسم وأعانته في العثور على موضوعات جديدة تمسّ حياة المواطن العادي مع أنّ هذا الأخير كان يرى في رسوماته، وخاصة الطبيعة الصامتة، أقل جمالاً من الأزهار الحقيقية التي نراها في الحدائق وأصص الشرفات.

ضربات الفرشاة العنيفة

تحتفي الصالة الثالثة ببورتريه شخصي للفنان فان كوخ وهو واحد من البورتريهات الخمسة والثلاثين التي رسمها لنفسه طوال حياته الفنية التي استمرت عشر سنوات لا غير. وقد رسمَ هذا البورتريه في مستشفى سانت بول في خريف 1889 بعد تكرار نوبات مرضه العقلي في صيف ذلك العام الذي قال عنه: «بدأ اليوم الأول الذي استيقظتُ فيه، وكنتُ نحيلاً، وشاحبًا كالشيطان». وقد اشتهرت هذه اللوحة بضربات الفرشاة العنيفة الملتوية وكأنها تعكس الألم الذي كان يعانيه أثناء النوبات التي كانت تُدهمه على حين غِرّة، لكن بارقة الأمل في هذه اللوحة كانت واضحة من خلال «البالية» وحزمة الفُرَش التي يحملها في يده ليؤكد لعائلته وأصدقائه بأنّ صحته جيدة وأنه قادر على العمل ومواصلة إنتاج اللوحات الفنية.

تضم الصالة الرابعة عددًا من اللوحات الفنية المهمة لكن تظل «الليلة المرصّعة بالنجوم فوق نهر الرون» التي أنجزها عام 1888 هي الأكثر جاذبية، فهي تُذكّرنا بنهر التيمز وضفافه عند ويستمنستر التي أدمن تأملها، ولعل انعكاسات الأضواء والنجوم على سطح الرون تحيلنا إلى المناخ الانطباعي الذي ساهم في تأسيسه مع مونيه وماني وديغا وسيزان وسيسلي وغيرهم.

ترك فان كوخ هولندا مرة أخرى في عامه الثاني والثلاثين والتحق بأخيه ثيو في باريس حيث التقى عددًا من الفنانين الذين يتحدثون اللغة الإنجليزية، وهناك طوّر أسلوبه الغريزي الناضج، وأمضى في باريس سنتين قبل أن ينتقل إلى «آرل» في جنوبي فرنسا ويؤسس جمعية للفنانين لكن نوباته المَرَضية كانت قوية هذه المرة بحيث اضطرته للذهاب إلى مستشفى سانت بول وتلقّي العلاج فيها من دون أن يحرموه من نعمة الرسم؛ المهنة الوحيدة التي يجيدها في حياته. وبعد تحسّن حالته الصحية عام 1890 عاد إلى قرية أوفير سور واز المحاذية لباريس كي يعيش على مقربة من أخيه ثيو حيث كان ينجز كل يوم لوحة واحدة لكنه في 27 تموز/يوليو أطلق النار على صدره وفارق الحياة بعد يومين متأثرًا بجراح الطلق الناري.

ربما تكون لوحة «أشجار الصفصاف المقطوعة الرؤوس» التي وضع اللمسات الأخيرة عليها عام 1888 هي الأكثر إيهارًا للمتلقّين رغم أنّ اللون هو الذي يتسيّد مناخ اللوحة، إلاّ أنّ موضوعها يرسخ في الأذهان ولا يغادر الذاكرة البصرية للمتلقين، تمامًا كما ترسخ في الأذهان لوحات أشجار الكستناء التي تكتظ بها الطرقات المُفضية إلى مستشفى الأمراض العقلية في سانت ريمي وغيرها من المصحات المشيّدة في أماكن محددة في البلدات والمدن الفرنسية.

سمفونية لونيّة

تُعدّ لوحة «عيّاد الشمس» واحدة من أشهر اللوحات في العالم وتوجد منها خمس نسخ موزعة على كل من أمستردام ولندن وميونيخ وفلادلفيا وطوكيو وقد رسم النسخة الأولى كي يزيّن بها غرفة صديقه غوغان في البيت الأصفر الذي استأجره في «آرل» وعمل فيه مع صديقه غوغان بين تشرين الأول/أكتوبر وكانون الأول/ديسمبر عام 1888. وقد أخبر شقيقه ثيو بأنه يعمل بحماس منقطع النظير لتنفيذ هذه اللوحة التي رسم منها أربع نسخ حتى ذلك الوقت، وسوف ينجز النسخة الخامسة في وقت لاحق. تتألف اللوحة من 14 زهرة عبّاد شمس مثبتة في مزهرية تعطي للناظر انطباعًا مُذهلاً وهو يتطلع إلى هذه السمفونية اللونية المُبهرة التي يهيمن عليها اللونان الأصفر والأخضر وتدرجاتهما المتناغمة مع فضاء العمل الفني ولا تزال هذه النسخ الخمس موضع نقاش كبير لم تنتهِ تداعياته حتى الآن.

ومن اللوحات المميزة لهذا المعرض هي لوحة «حزن الرجل العجوز» التي أنجزها في أيار/مايو 1890 في سانت ريمي بعنوانها الإنكليزي وقد كانت في الأساس عملاً ليثوغرافيًا نفّذه قبل ثماني سنوات حين كان معتلاً ولم يستطع الخروج إلى الطبيعة التي يحبها، وقد لاحظ طبيبه هذا المشهد الكئيب لفان كوخ وهو يضع رأسه بين يديه المتكئتين على فخذيه، وإذا تحدّث معه شخص آخر فإنه يشعر بالألم، وكان يومئ لمتحدثه أن يغادر ويتركه وشأنه. ولهذا كان يصفونه دائمًا بالعبقري المتوحّد وغير السعيد.

نختم هذا المقال باللوحة التي رسمها الفنان البريطاني فرانسس بيكون وأسماها تسمية دقيقة ومعبّرة وهي «شبح على الطريق» رسمَ فيها شخصية فان كوخ وهو يمشي بقامته المحنيّة في قلب الطبيعة، ويبدو أن بيكون قد رسم هذا التكوين من إحدى الصور الفوتوغرافية لفان كوخ الذي كان وحيدًا ومنعزلاً. كما أن الظلال القاتمة توحي بالكآبة وكأنّ الآخرين جميعًا قد أساؤوا فهمه ولذلك وجد ضالته في العزلة والتوحّد. ويعتقد بعض النقاد أن بيكون قد شاهد فيلم «شهوة للحياة» الذي ركّز مُخرجهُ على فكرة العبقرية المتوحدة التي نأت بنفسها عن الحياة العامة بعد أن يئس من إمكانية التواصل مع الآخرين.

أشجار الزيتون

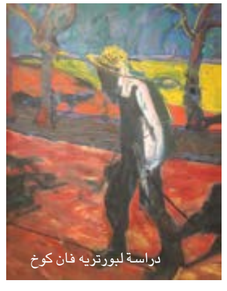

دراسة ليورتريه فان كوخ

ليلة مرصعة بالنجوم

تحقيقات

سهل نينوى تتقاذفه صراعات الأحزاب والمكونات والدول

نينوى ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تتصاعد خلافات وصراعات علنية وخفية للسيطرة على منطقة سهل نينوى الاستراتيجية في شمال العراق، تارة بين مكونات المنطقة من المسيحيين والإيزيديين والعرب، وأخرى بين حكومتي بغداد وأربيل للسيطرة عليها، إضافة إلى التدخلات الدولية فيها.

وتشهد منطقة سهل نينوى التي يقطنها خليط من المسيحيين والإيزيديين والعرب، تطورات خطيرة هذه الأيام، أكدت مخاوف العراقيين من تداخل الصراعات المحلية والدولية للسيطرة على المنطقة وتأثيراتها السلبية على الاستقرار والأمن فيها.

فقد تمردت قوّة تابعة للحشد الشعبي على أوامر رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة عادل عبد المهدي، رافضة قرار سحبها من سهل نينوى وإحلال قوة من الجيش والشرطة مكانها، واضعة الحكومة في حرج شديد.

وكان عبد المهدي قد أمر اللواء 30 (المكون من الشبك) في الحشد الشعبي، بالانسحاب فورا من مناطق سهل نينوى، بعد ورود اسم قائد اللواء وعد القدو، على قائمة العقوبات الأمريكية لتورّطه في قضايا فساد وانتهاكات لحقوق الإنسان في منطقة سهل نينوى، إضافة إلى شكاوى من قوى سياسية وشعبية في الموصل بانتهاكاته ضد السكان، إلا أنّ اللواء المذكور رفض القرار وقام بإثارة اضطرابات وفوضى وتشبّث بنقاط تمركزه وتصادم مع قوات الجيش التي جاءت لاستلام مواقعه، إضافة إلى تحريك اتباعه لقطع الطرق ونصب خيام اعتصام بحجة تمسك السكان بحماية الفصيل المسلح للشبك في المنطقة.

وأكد القيادي في لواء 30 في الحشد الشعبي سعد القدو، ان «هناك ضغوطا أمريكية وكردية ومسيحية وراء قرار سحب الحشد» متحدثا عن «حملة منظمة يقودها الحزب الديمقراطي الكردستاني لترويج أكاذيب تستهدف إخراج القوات الاتحادية من سهل نينوى وإحلال البيشمركه بدلا عنها، تمهيدا لضمه إلى إقليم كردستان».

وقد أثار تمرد الفصيل استنكارا واسعا من القوى السياسية والشعبية السنية في نينوى والأنبار وغيرها، الذين اعتبروا سكوت الحكومة دليلا على ضعفها إزاء تنامي نفوذ الحشد الشعبي في سهل نينوى وبقية المناطق المحررة من تنظيم «داعش» مؤكدين أن هذا السلوك أضعف هيبة الدولة، وسط اتهامات بتورط بعض فصائل الحشد في عمليات تهريب النفط والمخدرات وفرض الإتاوات على سكان المنطقة.

ويذكر أن الحكومة الأمريكية أصدرت مؤخرا عقوبات على أربع شخصيات عراقية من بينهم القياديان في الحشد الشعبي قائد اللواء 30 (الشبك) وعد القدو وزعيم فصيل بابليون (المسيحيين) ريان الكلداني، بتهمة ارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان في محافظة نينوى، وخاصة في سهل نينوى الذي يتواجد عناصرهما فيه، وهو ما جعل رئيس الوزراء يصدر أمرا بسحب الحشد الشعبي من مناطق السهل.

خلافات المسيحيين

وفي شأن ذو صلة، تفجرت هذه الأيام خلافات حادة بين أطراف من المكون المسيحي، عقب رسالة بطريرك الكنيسة الكلدانية الكاردينال لويس ساكو، إلى رئيس الوزراء عادل عبد المهدي، التي عبر فيها عن تأييده لقرار ضم فصائل الحشد إلى القوات المسلحة الرسمية، ورفضه وجود أي فصيل مسيحي مسلح، مما خلق ردود أفعال عنيفة من قادة فصيل بابليون (المسيحي) المنضوي ضمن الحشد الشعبي، والمتواجد في سهل نينوى، الذين شنوا حملة انتقادات عنيفة ضد راعي الكنيسة.

وقد اتهم القيادي في فصيل بابليون ظافر لويس، البطريرك ساكو (من دون ان يسميه) بانه «أصبح دمية بيد إسرائيل وأمريكا» وانه يعمل ضد الحشد، داعيا إلى «تغييره من قبل الفاتيكان» ومهددا بـ «خروج مظاهرات أمام السفارة البابوية» لهذا الأمر.

وكان الكاردينال ساكو عبر عن دعم الكنيسة الكلدانية لـ «حصر السلاح بيد الدولة مما يرصن مؤسساتها، ويرسخ الوعي الوطني عند العراقيين على الهوية الوطنية الواحدة» معلنا «رفضه القاطع لوجود أي فصيل أو حركة مسلحة تحمل صفة مسيحية لأن ذلك يتعارض مع روحانية الدين المسيحي الذي يدعو إلى المحبة والتسامح والغفران والسلام» ومبديا تأييده «لإنخراط المسيحيين في الأجهزة الأمنية الرسمية كالجيش والشرطة الاتحادية والبيشمركه».

وردا على اتهامات باتصال الكنيسة بدول خارجية، أصدرت الكنيسة الكلدانية بيانا أكدت فيه «ان غبطة البطريرك الكاردينال ساكو لم يوجه رسالة شكر لأي سفارة. كما ان البطريركية تنفي الإتهامات التي نشرت على وسائل التواصل الاجتماعي بأن الكاردينال زار إسرائيل والتقى بمسؤولين فيها، أو في واشنطن». وأكدت البطريركية «ان البطريرك ساكو لم يزر في حياته إسرائيل ولم يلتق بمسؤول إسرائيلي قط، وعندما زار البابا فرنسيس الأردن عام 2014 ومن بعده فلسطين وإسرائيل رفض غبطته ان يرافق قداسته في هذه الزيارة احتراماً للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة».

الإيزيديون وسهل نينوى

وفي خضم تداعيات هذا الصراع، كان الإيزيديون الذين يتواجدون في سنجار ضمن سهل نينوى، أحد أدوات القوى المتصارعة للسيطرة على المنطقة الاستراتيجية، حيث يسعى الإقليم إلى اعتبارهم أكرادا لضم مناطقهم إليه، رغم أن المنطقة هي جزء من محافظة نينوى وتتبعها إداريا.

وللتعبير عن الدعم الدولي للإيزيديين في سهل نينوى، قامت الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في العراق جينين بلاسخارت، بزيارة المنطقة داعية إلى تشكيل إدارة موحدة وهياكل أمنية مستقرة للإيزيديين في قضاء سنجار غربي الموصل.

وذكر المكتب الأممي في العراق في بيان صحافي أن ذلك جاء خلال زيارة بلاسخارت إلى قضاء سنجار في الذكرى السنوية الخامسة للابادة الجماعية التي ارتكبها ما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» بحق المجتمع الإيزيدي في العراق. وطالبت الحكومة العراقية، اتخاذ إجراءات عاجلة لضمان استقرار إدارة القضاء والترتيبات الأمنية فيه، وتأمين تدفق المساعدات الإنسانية من دون عوائق لتمكين العودة الآمنة والكريمة للنازحين.

ومن جهة أخرى، أثار تنصيب حازم تحسين بيك قبل أيام، أميراً جديدا للإيزيديين في العراق والعالم، خلافات جديدة بين أبناء الطائفة، حيث تم اختياره من عائلته لمنصب الأمير الجديد، خلفا لوالده الذي توفي بداية العام الحالي.

وتشير المصادر إلى ان ضغوطا مارسها حزب مسعود بارزاني (الديمقراطي الكردستاني) لفرض حازم تحسين رئيسا للطائفة كونه على علاقة جيدة بالقيادة الكردية، حيث صرح بعد تنصيبه، أن الإيزيديين جزء من الكرد وان سنجار ستصبح كردستانية، داعيا إلى تطبيق المادة 140 حول المناطق المتنازع عليها بين حكومتي الإقليم وبغداد. إلا ان مجلس الإدارة الذاتية الديمقراطية في سنجار، ورؤساء بعض العشائر الإيزيدية، أصدروا بياناً صحافياً، أعربوا فيه عن عدم قبولهم بأمير للإيزيديين «خارجاً عن إرادة الإيزيديين» مشيرين إلى أن تعيين حازم تحسين بك أميرا تم من قبل «بعض الأطراف السياسية خدمةً لمصالحها الشخصية».

ورفض الأمير الإيزيدي أنور معاوية في بيان، الطريقة التي تم فيها تنصيب أمير جديد للطائفة الإيزيدية، مبينا انها تمت وفق أجندة سياسية وتقديم الرشى، مؤكدا أن الأمر منوط بأبناء الطائفة فقط. وشدد على «إننا نرفض وبشكل قاطع تسييس هذا الموضوع واستغلاله كما نرفض التدخل في شؤوننا الدينية وشؤون الإمارة الإيزيدية لخدمة جهة سياسية معينة».

وأشار إلى ان «من الغريب والمعيب ان يجري ذلك وأغلب الأراضي الإيزيدية في العراق مسلوبة ونساؤنا في الأسر وتم منع أبناء الإيزيدية من العودة لأراضيهم ودورهم وحصر تواجدهم في مخيمات اللجوء غير الإنسانية وإجبار الآخرين منهم على الهجرة» منتقدا «غياب كامل واهمال مطلق من الحكومة العراقية ومؤسساتها وتنصلها من مسؤولياتها الأخلاقية والقانونية في حماية ملايين المهجرين والمبعدين من العراقيين ومنهم أبناء الإمارة».

ومعروف حكومة إقليم كردستان، لها دور مؤثر في مشكلة سهل نينوى، من خلال سعيها المحموم للسيطرة عليها، عبر الدعوة لإخراج القوات الاتحادية والحشد من المنطقة لعجزها عن ايقاف الأعمال الإرهابية فيها، مع ابداء استعدادها لسد الفراغ الأمني هناك. وتعد بعض مناطق سهل نينوى من المناطق المتنازع عليها بين حكومتي بغداد والإقليم، وأصبحت تحت سيطرة أربيل بعد ظهور تنظيم «داعش» وانسحاب القوات الاتحادية منها عام 2014 إلا انه بعد طرد التنظيم من الموصل عام 2017 أعادت القوات الاتحادية والحشد الشعبي، فرض سيطرتها على سهل نينوى. ومنذ ذلك التاريخ تسعى القيادة الكردية لإعادة قوات البيشمركه إلى تلك المنطقة بمختلف الذرائع، مستغلة علاقتها المميزة بعبد المهدي.

وحذر النائب عن تيار الحكمة المعارض حسن فدعم، من «محاولة حكومة بغداد، إعادة سنجار إلى البيشمركه» مشددا على إن «مناطق سهل نينوى وسنجار تحررت بدماء الشهداء من الحشد الشعبي وأبناء تلك المناطق، وان محاولة الحكومة اعادتها الآن لسيطرة البيشمركه ما هي إلا خيانة لتلك التضحيات ونحن لن نسمح بتكرار المأساة مرة أخرى».

تدويل الصراع في سهل نينوى

وفي مؤشر على الاهتمام الدولي بمنطقة سهل نينوى، حذرت بعض القوى الشيعية والكردية من وجود مخطط أمريكي جديد يهدف إلى إعادة احتضان عناصر وعائلات تنظيم «داعش» الإرهابي في الموصل عبر نقلهم من مخيم الهول في سوريا إلى مناطق سهل نينوى.

وأعلن عضو اللجنة الأمنية النيابية كريم المحمداوي في تصريحات، إن «واشنطن تخطط لإعادة عائلات داعش الإرهابية التي تسكن مخيم الهول في سوريا إلى مناطق سهل نينوى» محذرا من إن «إعادة تلك العائلات إلى الموصل مجددا سيضر بأمن البلاد» نافيا ادعاء الولايات المتحدة بأن تلك العائلات عراقية، وانه لا يمكن بقاءها في سوريا. وقد أكد هذا الخبر أيضا النائب الكردي عن محافظة نينوى شيروان دوبرداني.

كما جاء انضمام بعض أبناء المنطقة إلى تشكيلات عسكرية مرتبطة بحزب العمال التركي الكردي المعارض الذي يتواجد في سنجار، ليزيد التوتر فيها، إضافة إلى تنفيذ الطائرات التركية عدة غارات على مواقعه فيها، إضافة إلى ان المنطقة تدخل ضمن مشروع (طريق إيران وسوريا عبر العراق) مما جعل الصراع السياسي على المنطقة يأخذ أبعادا محلية ودولية.

وهكذا تدور رحى الصراع على منطقة سهل نينوى، وتؤدي إلى زيادة الخلافات والتشتت بين سكانها من المسيحيين والإيزيديين إضافة إلى العرب، الذين توزعت ولاءاتهم بين حكومتي بغداد وأربيل. ومن المؤكد ان هذه المنطقة يراد لها ان تبقى بعيدة عن الاستقرار، لأمد مفتوح، جراء الصراعات السياسية بين القوى المحلية وغياب التوافق بين حكومتي بغداد وأربيل حول المنطقة ومستقبلها، إضافة إلى تأثير التدخلات الدولية في هذا الشأن.

كتائب بابليون

أثار تمرد سعد القدو استنكارا واسعا من القوى السياسية والشعبية السنية في نينوى والأنبار

الحكومة الأمريكية أصدرت عقوبات على أربع شخصيات عراقية بتهمة انتهاك حقوق الإنسان في نينوى

ميديا

مغردون في جنوب اليمن يدعون إلى «انتفاضة»

لندن – «القدس العربي»:

توجه يمنيون إلى مواقع التواصل الاجتماعي بعد المواجهات العنيفة بين قوات الحرس الرئاسي التابعة لحكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي، ومسلحي المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم من الإمارات، في محيط قصر «معاشيق» الرئاسي في مدينة عدن، جنوب البلاد.

دعا المغردون إلى انتفاضة في جنوب البلاد تطالب «بطرد حكومة الشرعية وتمكين الجنوبيين من أرضهم». كما تطرق بعضهم إلى مستقبل التحالف العربي بقيادة السعودية.

وقال أحد المغردين عبر حسابه على موقع «تويتر»: «لن تستطيع الشرعية فرض سيطرتها على عدن، ولن يتمكن المجلس الانتقالي من حسم الموقف لصالحه، لأن إسقاط الشرعية يعني انتهاء دور التحالف العربي بقيادة السعودية التي لم تعترف بالمجلس الانتقالي كسلطة أمر واقع والمجتمع الدولي لم يعترف به كممثل للجنوب أو كطرف في المفاوضات السياسية».

في حين قال مغرد آخر: «انفصال الجنوب يعني نهاية الشرعية والتدخل السعودي في اليمن ونهاية عاصفة الحزم».

وصرح المتحدث الرسمي باسم قوات التحالف الذي تقوده السعودية العقيد الركن تركي المالكي، بأن القيادة المشتركة للتحالف تتابع وبقلق تطور الأحداث في العاصمة المؤقتة عدن، مؤكدا «الرفض القاطع من قيادة القوات المشتركة للتحالف لهذه التطورات الخطيرة، ولن تقبل بأي عبث بمصالح الشعب اليمني».

وانتشر هاشتاغ #انتفاضة_شعبية_جنوبية عبر مواقع التواصل الاجتماعي في اليمن وغيرها من الدول العربية، وتصدر في مرحلة قائمة أكثر الهاشتاغات انتشارا في بعض هذه الدول حاصدا أكثر من 76 ألف تغريدة عبر من خلالها المستخدمون عن غضبهم لما وصل إليه الحال في اليمن.

وقال أحدهم: «الشعب الجنوبي الجبار سيفرض دولته على الإقليم والعالم ... لا تنازل بعد اليوم تحت أي مسمى ... قضيتنا حلها بأيدينا. لا وألف لا أن نكون مطايا للتحالف على حساب أرضنا ودولتنا».

واعتبر مغرد آخر إنه: «على التحالف العربي أن يعي أن شعب الجنوب لا يمكن أن يتوقف عن ثورته ولو امتلأت السماء بطيور قصر اليمامة».

وشاركت الروائية والباحثة السياسية، والكاتبة الخليجية، نورا المطيري، بالجدل قائلة: «لماذا لا يلتفت العالم كله إلى #انتفاضة_شعبية_جنوبية الشعب وملايين من المناضلين والشجعان والعائلات التي فقدت شهداء في الجنوب العربي تهتف بصوت واحد أنهم يريدون دولة آمنة مستقلة ومستقرة ليس فيها الحوثية ولا الإصلاح ولا القاعدة، فمن يسمع مطالبهم ويحققها؟!؟»

وتابعت قائلة: «نظرية أن استقلال #الجنوب_العربي سيؤدي إلى سيطرة الحوثية وإيران على الشمال وأن ذلك سيضر بأمن السعودية لا تقنعني! هذه مجرد فزاعة أطلقتها #إيران وعملائها لتضمن بقاء الجنوب تحت مظلة الحوثية بإعتبار إيران تظن أنها ستنتصر في #اليمن !إيران لن تنتصر والحوثية ستقبل رغما عنها بالسلام». وظهر انقسام عبر مواقع التواصل الاجتماعي حول الموقف السعودي والإماراتي من ما يجري في عدن، وتحدث كثيرون عن الشرخ في العلاقة بين الدولتين.

فقال مغرد: «التحالف قال كلمته، والمملكة العربية السعودية تقف ضد التوجه الإماراتي المدعوم من إيران. انكشفت اللعبة، والكل أصبح يعي الدور الإماراتي القذر في اليمن ضد المملكة وضد الخليج».

في حين اعتبر وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتية، أنور قرقاش: «التطورات حول قصر المعاشيق مقلقة والدعوة إلى التهدئة ضرورية، ولا يمكن للتصعيد أن يكون خيارا مقبولا بعد العملية الإرهابية الدنيئة، الإطار السياسي والتواصل والحوار ضروري تجاه إرهاصات وتراكمات لا يمكن حلها عبر استخدام القوة».

وكان نائب رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي، هاني بن بريك، قد دعا إلى النفير العام وطالب «المقاومة الجنوبية» بالتوجه صوب قصر معاشيق للسيطرة عليه. وامتدت المواجهات إلى مديرية، خورمكسر، حين حاول عناصر المجلس الانتقالي الجنوبي اقتحام معسكر بدر الموالي للرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي. واندلعت المواجهات بعد تشييع المئات من أبناء المحافظات الجنوبية في اليمن الذين قضوا في هجوم استهدف قائد قوات الحزام الأمني التابع للمجلس الانتقالي الجنوبي، منير اليافعي، وجنودا في معسكر الجلاء الخميس الماضي.

ودافع قائد شرطة دبي السابق، ضاحي خلفان، عن بن بريك قائلاً: «عندما ينادي هاني بن بريك بضرورة تأمين الجنوب من مرتزقة الحوثي وجماعات داعش ..يتهم مع للأسف من قبل البعض بانه يحاول الانقلاب على السلطة! فالإجراءات الأمنية لا تعترف بالعواطف».

العرب يحوزون على ثاني أعلى معدلات استخدام الهواتف الذكية عالمياً

لندن – «القدس العربي»:

ينفق الناس وقتاً أكثر على هواتفهم الذكية الآن، أكثر من أي وقت مضى. ونتيجة لهذا الإقبال الهائل، الذي وصل إلى مستوى الإدمان. وأورد موقع «سوشال ميديا تودي» أرقاما عن الوقت الذي يمضيه مستخدمو الإنترنت، خلال الفترة المنقضية من العام الجاري 2019.

وأوضح أن المعدل العالمي لاستخدام شبكات التواصل هو ساعتين و23 دقيقة يوميا، أي أكثر من العام الماضي بدقيقة واحدة.

وكان أول إحصاء تناول هذا الأمر في عام 2012 وجد حينها أن المعدل هو دقيقة و30 ثانية، وتصاعدت الأرقام من حينها باطراد، حسب الموقع ذاته.

ولفت الموقع المتخصص في شبكات التواصل، إلى أن هناك 3.48 مليار نسمة يستخدمون هذه الشبكات، أي حوالي 45 في المئة من سكان الأرض. ويتابع 60 في المئة من هؤلاء بشكل مستمر شبكات التواصل، فيما استخدم 98 في المئة منهم هذه المواقع، الشهر الماضي.

وأشار الموقع إلى أن المستخدمين في المنطقة العربية ينفقون 3 ساعات و12 دقيقة يوميا على شبكات التواصل، وهي ثاني أعلى نسبة في العالم بعد أمريكا الجنوبية التي بلغت 3 ساعات و32 دقيقة. وحصلت الفلبين على موقع الدولة الأولى في العالم، بحيث يمضي فيها المستخدمون أطول وقت على شبكات التواصل، وبلغ نحو 4 ساعات يوميا.

«لا تلمس أخي»: حملة للتضامن مع اللاجئين السوريين في إسطنبول

«لا يوجد لكم مكان في هذا البلد» اسم أحد وسوم «هاشتاغ» الكراهية التي أطلقها بعض الأتراك تجاه اللاجئين السوريين. حملات الكراهية على الإنترنت رافقتها هجمات على الأرض تعرض لها لاجئون سوريون ولم تستثن أتراكا أيضا.

«ألقونا بالحجارة وتحطمت نافذة المحل بالكامل، كنا ثلاثة في الداخل وشعرنا بخوف شديد». هذا ما قاله السوري أحمد ياسين عن أعمال عنف مشابهة لتلك التي وقعت نهاية الأسبوع الماضي في إسطنبول، حسبما أكدت صحافية من عين المكان لموقع «مهاجر نيوز» رفضت ذكر هويتها. ويعمل اللاجئ السوري، الذي فرّ من حلب قبل ست سنوات، في صالون لتصفيف الشعر في حي كوتشوك شكمجة، حيث وقعت أعمال اعتداء من تجمع غاضب لشباب أتراك نتج عنه تدمير واجهات المحلات.

ليس ذلك فحسب، بل تعرض مخبز يمتلكه لاجئ سوري أيضا يدعى محمد العماري إلى تحطم واجهات المحل في المنطقة نفسها حينما توجه إلى مقر عمله.

حملة الكراهية ضد اللاجئين السوريين، نتجت عن سوء تفاهم وقع بسبب شائعة حول عراك لفظي بين فتى سوري وفتاة تركية ولم يتم التأكد ما إذا كان اعتداء أو تحرشا جنسيا، ما اضطر الشرطة التركية لتفريق الجموع الغاضبة باستخدام قنابل الغاز المسيل للدموع.

وحملة الكراهية تسببت في انطلاق هاشتاغ بعنوان #SuriyelilerDefoluyor «ليغرب السوريون عنا» على شبكات التواصل الاجتماعي. ليحتل صدارة الوسوم في تركيا لأول مرة منذ اندلاع الثورة السورية وفرار الملايين من السوريين إلى تركيا. كما شهد هاشتاغ آخر تحت اسم #SyriansGetOut «أخرجوا السوريين» تفاعلاً كبيراً.

«لا يوجد لكم مكان في هذا البلد»

لم يكن السوريون وحدهم من تعرضوا لتلك الضايقات، بل إن الأمر امتد إلى الأتراك أنفسهم الذين يقومون بتشغيل اللاجئين السوريين في أعمالهم. فقد قام حشد من الأتراك الغاضبين بتخريب أحد المطاعم بمدينة اسطنبول يقوم بتشغيل عدد من اللاجئين السوريين، ما دعا صاحب المحل للقول بأن «إذا عثر أحدهم على قطة ميتة في الشارع، فستجد شخصاً يقول إن سوريًا قتلها»، مضيفاً: «يجب أن نتوقف عن جعل السوريين كبش فداء» للحالة الاقتصادية، بحسب ما أفاد لوكالة الصحافة الفرنسية.

الشرطة التركية قالت إنها ألقت القبض على 16 شخصا بتهمة التحريض ضد اللاجئين السوريين في إسطنبول، وكشفت أن مجموعة على تطبيق «واتس آب» تنشر بيانات تحت اسم «شباب إكتيلي» وتضم 58 عضوا، كانت تقوم بتضخيم الأحداث. وأضافت أنها اعتقلت 11 شخصا من تلك المجموعة.

من جانبه، أكرم إمام أوغلو رئيس بلدية اسطنبول الجديد عن حزب الشعب المعارض، دعا المواطنين الأتراك إلى «الهدوء وضبط النفس في التعامل مع اللاجئين السوريين»، قائلا «إننا إنسانيين لا عنصريين»، متعهدا بتقديم المساعدة المادية والمعنوية لهم في إسطنبول، وخاصة الأطفال والنساء، إلا أنه انتقد إدارة الدولة التركية منذ البداية لهذه الأزمة، «بفتحها الباب على مصراعيه لـ 3 ملايين إنسان دون اتباع معايير وآلية وطنية، ودون كتاب ولا حساب ولا مساءلة»، حسب قوله.

ويلقي عدد من الأتراك باللوم على اللاجئين السوريين في تدهور أحوالهم الاقتصادية بزعم أن اللاجئين يحصلون على الوظائف بجانب الدعم من الدولة التركية في العلاج والتعليم وغيرها من الأمور.

حملات لمساندة اللاجئين السوريين

لكن على الجانب الآخر، رفض مدونون أتراك الحملة ضد اللاجئين السوريين بعدة لغات، مؤكدين على أن تركيا ليس بها مكان للكراهية أو العنصرية.

حتى أن بعضهم كتب معلقا على ما يحدث لعدد من الأتراك الذين هاجروا الى ألمانيا ويقابلون بالجملة نفسها «عودوا الى بلادكم» متسائلين إن كنا نرفض ما يحدث لنا في ألمانيا فعلينا ألا نكرر الأمر في بلادنا ومع إخوتنا السوريين».

من جانبهم، عبر مغردون سوريون عن حزنهم العميق للحملة المتصاعدة ضدهم. عبد الله آلاف قال إن أجداده من السوريين دافعوا عن الدولة العثمانية وقاتلوا تحت رايتها خلال الحرب العالمية الأولى فكيف يمكن أن يحدث ذلك لنا اليوم.

ناشطون آخرون أطلقوا وسما بعنوان #لا_تلمس_أخي_imeDokunma:Karde» أو «لا تلمس أخي» لرفض الاعتداء على السوريين وتشجيع المزيد من الأتراك على التضامن معهم.

وكتب آخرون: «أوقفوا الهجمات العنصرية ضد اللاجئين السوريين».

وبحسب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإن تركيا أكبر مستقبل للاجئين في العالم، حيث استقبلت أكثر من 3.7 مليون سوري – بما في ذلك نصف مليون شخص في إسطنبول وحدها – أجبروا على الفرار من الحرب الدائرة في بلادهم.

وكانت دراسة أجرتها جامعة قادر هاس في إسطنبول الأسبوع الماضي قد أظهرت أن نسبة الأتراك غير الراضين عن وجود السوريين في بلادهم ارتفعت من 54.5 في المائة في عام 2017 إلى 67.7 في المائة في عام 2019. (dw)

صورة لترامب وهو يرفع ابهامه مع رضيع يتيم في إل باسو تثير جدالا

أصبحت صورة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب وهو يبتسم ابتسامة عريضة ويرفع ابهامه في الوقت الذي كانت فيه زوجته ميلانيا تحتضن رضيعا فقد والديه في حادث إطلاق النار العشوائي في مدينة إل باسو بولاية تكساس مثار حديث وسائل التواصل الاجتماعي بعد أن نشرت ميلانيا الصورة على تويتر.

والتقطت الصورة يوم الأربعاء في مركز إلباسو الطبي الجامعي أثناء زيارة ترامب لتلك المدينة الحدودية في غرب تكساس مع مسعفين وأطباء وأشخاص نجوا من تلك الجريمة التي وقعت يوم السبت في متجر لوول مارت.

وسافر الرئيس وزوجته في وقت سابق من ذلك اليوم إلى دايتون بولاية أوهايو في زيارة مماثلة لمستشفى من أجل المواساة في أعقاب جريمة إطلاق نار عشوائي دامية بعد 13 ساعة فقط من جريمة إل باسو.

وأدت الجريمتان معا إلى سقوط 32 قتيلا من بينهم المسلح الذي ارتكب مذبحة دايتون.

وتفادى ترامب الصحافة خلال زيارتيه للمستشفيين واللتين لم يسمح لوسائل الإعلام بتغطيتهما ولكن البيت الأبيض بث فيما بعد شريطا مصورا قصيرا للزيارتين. ونشرت السيدة الأولى أيضا عدة صور على «تويتر» للزيارة من بينها صورة ظهرت فيها وهي تقف أمام شعار لمركز إل باسو الطبي الجامعي محتضنة رضيعا عمره شهران قُتل والداه في هجوم وول مارت أثناء حمايتهما له من الرصاص وفقا لما قالته تقارير. ووقف ترامب بجوار السيدة الأولى مبتسما ورافعا إبهامه. ووقف على الطرفين عمة وعم الطفل الذي كان مبتسما أيضا ووضع ذراعه على كتف ترامب أثناء وقوف الأربعة للتقاط الصورة.

ورأى كثيرون على وسائل التواصل الاجتماعي الصورة على أنها إظهار لعدم تعاطف أو احترام الرئيس لوقار هذه المناسبة.

وقال غريغ بينيلو عضو الحزب الديمقراطي على «تويتر» ردا على هذه الصورة «طفل أخذ من بيته وأجبر على أن يصبح وسيلة دعم في صورة تذكارية لنفس الوحش الذي قتلت كراهيته والديه». وقال عم الطفل، الذي وصف نفسه وأخاه القتيل بأنهما من أنصار ترامب، لصحيفة «واشنطن بوست» في مقابلة نشرت يوم الجمعة الماضية إن زيارة الرئيس واسته ونفى أن ترامب كان هناك «لتحقيق أي نوع من الدعاية السياسية».

وقال إنه اختار أخذ ابن أخيه اليتيم للمستشفى للقاء ترامب وأضاف أن آخرين سيسوا مأساة أسرته. وأصيب الطفل بكسر في اصبعين خلال إطلاق النار ولكن الأطباء سمحوا له بالخروج من المستشفى فيما بعد. (رويترز)

علوم وتكنولوجيا

سامسونغ تكشف عن «نوت 10» لتنافس به شركة «هواوي»

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت شركة سامسونغ عن نسخة جديدة من هاتفها الذكي غالاكسي نوت، تعمل بشبكة الجيل الخامس وتتمتع بخصائص كاميرا محسنة، أملا في أن يساعدها هذا الطراز المتميز في إنعاش أرباحها المتراجعة وتوسيع الفجوة مع منافستها هواوي.

وبرزت سامسونغ إلكترونيكس كأكبر مستفيد من المتاعب التي تعرضت لها هـواوي تكنولوجيز في الربع الثاني، إذ حققت ارتفاعا في مبيعات الهواتف الذكية بلغت حوالي 7 في المئة مع انخفاض مبيعات الشركة الصينية في السوق العالمية بعد أن أدرجت الولايات المتحدة اسمها على قائمة سوداء أمريكية للتجارة في أيار/مايو.

وبالتركيز على خصائص الفيديو والتصوير المحسنة والتي ساعدت هواوي في أن تصبح ثاني أكبر بائع للهواتف الذكية في العالم، تأمل سامسونغ في أن يحصل غالاكسي «نوت 10»على اهتمام مستخدمي «يوتيوب» ووسائل التواصل الاجتماعي.

وإلى جانب أول هاتف قابل للطي تنتجه الشركة، يمثل «نوت 10» ذو الشاشة الكبيرة والذي جرى الكشف عنه في نيويورك يوم الأربعاء، أهم منتجات الشركة الكورية، الجديدة في النصف الثاني من هذا العام.

والهاتف الجديد متوفر بشاشتين 6.3 و6.8 بوصة وهو مزود بمؤثرات فيديو مطورة مثل

آبل ستُوفر هواتف آي فون مُقرصنة للباحثين الأمنيين من أجل تعزيز البنية الأمنية لنظام «أي أو إس»

لندن ـ «القدس العربي»:

أشار موقع «إلكتروني» إلى أنه كشف تقرير منذ بضعة أشهر عن وجود سوق سوداء مزدهرة لمطوري «آي فون» قد يمكن استخدامها للبحث عن ثغرات غير مكتشفة في نظام تشغيلها المعروف بـ«اي أو إس». وتكلف كل ثغرة أمنية آلاف الدولارات، وجدت الشركة أنه قد يكون الاستثمار يستحق هذا العناء بالنسبة للقراصنة الذين يتطلعون إلى بيع الثغرات الأمنية التي يكتشفونها في هواتف «آي فون» لمن يقدم أعلى سعر، رغم كون تكلفة العملية باهظة جداً.

ورغم أن الشركة تستعجل عامةً بتصحيح الثغرات الأمنية الجديدة، لكنها بسبيل الإسراع أكثر، ستقوم بتزويد الباحثين الأمنيين (القراصنة) بهواتف آي فون مماثلة لتلك التي تباع في السوق السوداء. ومن المفترض أن تجعل هذه الأجهزة الخاضعة التي تم تطبيق «جيل بريك» عليها، عملية اكتشاف الثغرات الأمنية في نظام أي أو إس أسهل على المطورين، ليبلغوا الشركة عنها قبل أن يتمكن القراصنة من الحصول على فرصة إساءة استخدامها.

القراصنة الموثوق بهم والذين يعتبرون جزءًا من برنامج «آبل باونتي بروغرام» هم الوحيدون الذين سيحصلون على هذه الأجهزة. هذا يعني أن شركة آبل ستكون قـادرة على التحكم في من يمكنه الوصول إلى هذه الأجهزة وتجنب تسربها إلـى الـسوق الـسوداء. وحسب ما نشرت مجلة «فوربز» يبدو أن هذه الأجهزة ستمتاز بحيثيات أجهزة آبل نفسها التي تباع في الأسواق، إلا أنها ستكون عبارة عن طرازات خفيفة دون إمكانية الوصول إلى نظام التشغيل الأساسي المشفر للآي فون.

ولـم يتضح طـراز الهاتف الـذي ستوفره الشركة للمطورين. ويذكر أن الشركة تريد أيضاً بدء برنامج مكافآت لنظام «ماك أو إس» سيضم حوافز مالية للباحثين الذين يكتشفون ثغرات أمنية في كمبيوترات «ماك».

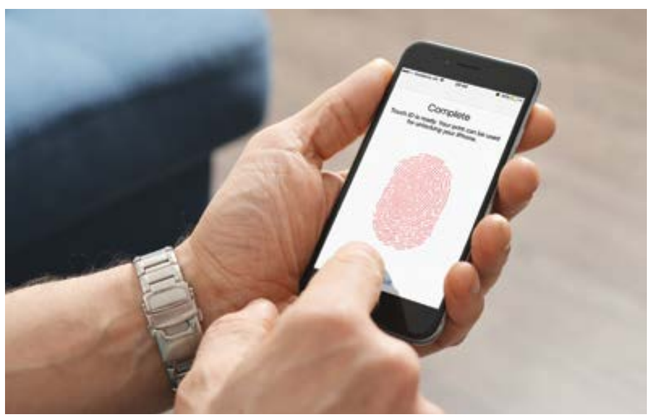

كاميرا في حجم الإصبع تلتقط آليات تحرك الضوء بدقة

لندن ـ «القدس العربي»:

قام باحثون من كلية الهندسة والعلوم التطبيقية في جامعة «هـارفـارد» الأمريكية، بتطوير كاميرا بحجم الإصبع، قـادرة على استقطاب الضوء، ذات جودة عالية، وقد «تُستخدم في أنظمة الرؤية المدمجة بالمركبات ذاتية القيادة أو الطائرات أو السفن أو حتى الأقمار الاصطناعية التي تدرس كيمياء الغلاف الجوي».

ويشير موقع «العلم» إلى أنه يمكن وصف الضوء بدقة خصائصها، من لونها وقـوة سطوعها إلى خاصية تدعى الاستقطاب، وهي تلك التي تصف المسـار الـذي يهتز فيه الـضـوء، إذ أن الضـوء هو موجات كهرومغناطيسية عرضية، تتحرك عموديا صعودًا وهبوطًا، وأفقيا. ولأن شعاع الضوء يتكون من خليط متعدد من الموجات، تهتز كل موجة في الاتجاهات المتعامدة على خط انتشارها. وحين يهتز الضوء بشكل ثابت في اتجاه واحد، يُسمى بـ«الضوء المستقطب».

وغم كون اهتزاز العين لا يرى بالعين المجردة، تقول مجلة «العلم» أن دراسته ذات أهمية كبيرة لأنه يمكّن الكشف عن التباين في السطوح، ويسمح بتحليل جودة المواد، وتطبيقات أخرى تشمل دراسة تركيزات الغازات والملوثات في الهواء الجوي.

ويضيف الموقع أنه إذا أراد مصور محترف التقاط مجموعة من الصور للسماء بكاميرا ذات جودة عالية، لا بد أن يستخدم «فلاتر التصوير» التي تجعل الصورة تبدو أقرب إلى الواقعية، «بحيث تقوم تلك الفلاتر بعمل استقطاب للأشعة الساقطة على عدسة الكاميرا، فتستقبل العدسة شعاعًا ضوئيًا يهتز بشكل ثابت، فيزيد التباين، وتُصبح صـورة السماء أكثر زرقة، والسحاب أكثر ابيضاضًا».

وفي حين أنه توجد كاميرات تقدر على إستقطاب الضوء من دون فلاتر، إلا أنها كبيرة جداً، وثقيلة، وحساسة ومكلفة، ما يجعل استخدامها ونقلها صعبا للغاية.

وتمكن علماء، وفق دراسة نشرتها دورية «ساينس» من تصميم كاميرا تستقطب الضوء، ذات حجم صغير، وتكلفة زهيدة، تستطيع رصد الاستقطاب، وتُمثل، حسب الموقع «عينًا جديدة على الواقع» إذ تكشف عملية انعكاس الضوء، وتشتته، واستقطابه، ما سينقل لنا رؤية جديدة عما يدور حولنا في العالم.

ويقول البيان الصحافي للدراسة إن «استقطاب الضوء يتغير حين ينعكس على الأسطح، فإذا تمكنّا من التقاط ذلك الانعكاس، أمكننا أن نُجسد الأشياء بشكل ثلاثي الأبعاد». ووفق البيان، ستساعد الكاميرا على تقدير عمق الأشياء المصورة، وملمسها، وعلى تمييز الكائنات الحية عن الجمادات، حتى وإن كان لكلٍّ منهما اللون والشكل نفسه، وهو ما يعني أن لنا القدرة على رؤية حرباء صفراء مختفية داخل رمال الصحراء.

وأضـاف الموقع أنه لتصنيع الكاميرا، استخدم الباحثون مواد نانوية تتفاعل مع الضوء اعتمادًا على طوله الموجي. ثم صمموا «مرشحًا نانويًا مدمجًا في الكاميرا، يوجه الضوء إلى عدستها اعتمادًا على زاوية استقطابه، مشكلًا مجموعةً من الصور التي يُظهر كلٌ منها استقطابًا مختلفًا، ثم يقوم معالج مدمج في الكاميرا بتجميع تلك الصورة في كل بكسل، لتظهر لنا صورة واحدة تُعبر عن الحالات المختلفة للاستقطاب».

وعلى الرغم من وجود كاميرات تعمل بالمبدأ ذاته، إلا أن الاختراق العلمي في تلك الدراسة هو حجم السطح النانوي المدمج في الكاميرا الذي لا يزيد عن سنتيمترين طولًا، وقد استخدم الباحثون ذلك الجهاز خارج المعمل لتصوير استقطاب الضوء على زجاج سيارة، كما صوروا أنفسهم لإثبات قدرة الكاميرا على استقطاب الضوء.

وقال نوح روبين طالب الدراسات العليا المُشارك في الدراسة في تصريحات لـ«العلم»: «إن الكاميرا الجديدة تتميز بالقدرة على دمجها في مجموعة واسعة من التطبيقات، تمتد من إمكانية استخدامها في الأقمار الاصطناعية وصـولًا إلى تطبيقات المستهلك، كدمج السطح النانوي في كاميرات الأجهزة المحمولة».

وأضـاف أن «الكاميرا يُمكن استخدامها كـأداة اختبار لتوضيح بنية المواد، وتحسين سلامة المركبات ذاتية القيادة، كما أنها قد تفتح في المستقبل مجالًا للاستخدام في مجالات لا نعرفها بعد، قد تشمل الأجهزة الطبية المتطورة، وأجهزة التعدين والكشف عن النفط».

أبحاث تتبع الحمض النووي للمواشي عبر التاريخ تكشف مسارات التزاوج والتطور

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكّن فريق دولي من تحديد تسلسل لجينات تعود إلى بقايا عتيقة من 67 حيوانًا من المواشي، مما سمح لزيادة فهمنا لنحو 8 آلاف عام من تربية الأبقار. وتقترح نتائج الدراسة، حسب مجلة "ساينتفك أميريكان" أنه قد توجد صلات مثيرة للاهتمام بين أنماط تربية الحيوانات، والأحداث المناخية التاريخية، وقد تشير أيضاً إلى قـرارات اتخذها المزارعون لضمان نجاة قطعانهم.

واستخلص الباحثون، بقيادة دانيال برادلي، من كلية «ترينيتي» في دبلن في أيرلندا، بالاشتراك مع عبد السلام مقداد، من المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث في الرباط في المغرب، عينات الحمض النووي من بقايا ثلاثة أنواع مختلفة من الماشية: «بوس تورووس» و«بوس إنديكوس» التي تنتمي إلى ماشية الزبيو البرّيّة التي نشأت في وادي السند (في باكستان وشمال غرب الهند) بالإضافة إلى ستة حيوانات برّيّة منقرضة، كانت تعيش في أوروبا وآسيا.

يقول برادلي إن «بوس تورووس هو أقدم أنواع الماشية المُستأنسة، التي نشأت في الشرق الأدنى، في الأناضول وبلاد الشام وإيران». ويستطرد: «إن الماشية المعاصرة كلها قد انحدرت من مجموعة صغيرة من بوس تورووس، منذ حوالي عشرة آلاف وخمسمئة سنة. ولكن التفاصيل الجينية المبكرة مستترة في الحمض النووي للماشية المعاصرة، والسبيل الوحيد لإعادة تشكيل هذا الماضي الجيني بطريقة سليمة، ستكون عبر استخدام تحليل جينومات عتيقة».

واستخرج الفريق عينات الحمض النووي من عظام الأذن الداخلية للماشية، حيث يتم الحفاظ على الحمض النووي بمعدلات أعلى، حسب المجلة، خاصةً في مناطق مثل الشرق الأوسط، حيث تم العثور على كمية كبيرة من البقايا العتيقة. وتـذكـر المجلـة أنـه عـاش «بـوس تـوروس» و«بـوس إنديكوس» التي تنتمي إلى ماشية الزبيو، بمعزل عن بعضهما لآلاف السنين. إلا أن نتائج الفريق تشير إلى أنه منذ حوالي أربعة آلاف ومئتي سنة، بدأت ثيران الزبيو فجأة تتزاوج مع نوع بوس تورووس، في مناطق مختلفة من منطقة الشرق الأوسط ومصر والعراق.

وصادَف حدوث هذا التزاوج مع جفاف استمر لقرون، متزامناً مع انهيار حضارتي مصر وبلاد ما بين النهرين. وتذكر الدراسة أنه قد يحتمل أن يكون المزارعون قد اتخذوا القرار عن عمد، وسمحوا للماشية بالتزاوج مع الزبيو المتكيّف مع البيئة القاحلة، بغرض حماية قطعانهم في مواجهة التغيرات المناخية.

ويعقّب برادلي قـائـلًا: «وبينما تغيرت الجينومات بأكملها تغيرًا جذريًا عند نـوع بـوس تـوروس، إلا أن مجموعة الحمض النووي الخاص بالميتوكوندريا، التي تورّث من ناحية الأم، بالكاد تأثرت. يشير هذا إلى أن ثيران نوع الزبيو قد خصّبت إناث نوع بوس تورووس، ولم يحدث تزاوُج مختلط بين ذكور وإناث كلا النوعين».

وقال لوسيف لازاريديس، عالِم الجينات في كلية الطب بجامعة هارفارد، للمجلة (وهو لم يشترك في البحث وإن كان قد أجرى دراسات جينية مكثّفة على الزراعة والبشر الأوائل): «توجد أوجُه تشابه مثيرة للاهتمام بين دراسة الأبقار العتيقة بالشرق الأدنى، وما نعرفه عن التجمعات البشرية من عينات الحمض النووي العتيقة». وأضاف: «لم تكن منطقة جنوب آسيا–حيث نشأ نوع بوس إنديكوس–منعزلةً إبان هذه الفترة. ويبدو أن البشر قد هاجروا من حضارة وادي السند متجهين إلى آسيا الوسطى، في النطاق الزمني نفسه الذي حدث فيه التأثير المناخي، أي منذ حوالي أربعة آلاف ومئتي عام. ولعل هذا الحدث هو ما أسهَمَ في تقديم أسلاف ماشية الزبيو إلى قطعان الماشية التي كانت تعيش بالقرب من الشرق الأدنى».

حمى الضنك

عدوى فيروسية ينقلها البعوض

- المصابون بالعدوى في العالم: 390 مليون سنويا
- 40% من سكان العالم عرضة للخطر

ينتقل فيروس الضنك عن طريق لدغة بعوضة أنثى من جنس الزاعجة المصرية

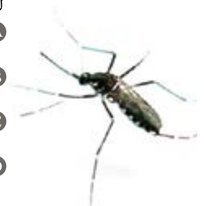

الفيروس

- مرض فيروسي وخيم يشبه الإنفلونزا ويطال الرضع والأطفال والبالغين
- إن الكشف المبكر والحصول على رعاية صحية قد يقللان من معدل الوفيات

نجد أربعة أنماط متمايزة، ولكن ذات صلات وثيقة، **من الفيروس المسبب** لحمى الضنك

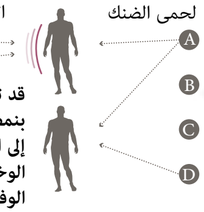

يؤدي تعافي المريض من العدوى إلى اكتسابه مناعة تدوم طيلة العمر إزاء النمط الذي أُصيب به

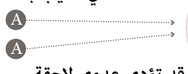

قد تؤدي عدوى لاحقة بنمط آخر من أنماط الحمى إلى الإصابة بحمى الضنك الوخيمة التي تصل نسبة الوفيات في صفوف المصابين بها إلى 2.5%

مناطق انتقال العدوى

تنتشر في المناخات المدارية وشبه المدارية وفي المناطق الحضرية وشبه الحضرية بالدرجة الاولى

2.5 مليار شخص

معرضون لخطر الإصابة بالمرض

المصادر: منظمة الصحة العالمية/مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها/جامعة ستانفورد/وزارة الصحة الهندية AFP ©

اقتصاد

الدولة الريعية وتحديات النمو والتنمية في الاقتصاد العراقي

د. عبّاس الفيّاض

ثمة تعريفات متعددة للدولة الريعية أبرزها «أنها تستمد كل أو جزء كبير من إيراداتها الوطنية عن طريق تأجير الموارد المحلية لعملاء خارجيين». ومن بين الدول الريعية في الوطن العربي، السعودية والإمـارات العربية المتحدة والعراق وإيران والكويت وقطر، وكذلك في أمريكا اللاتينية وشمال أفريقيا مثل فنزويلا ونيجيريا والجزائر. أما التعريف الأشمل للدولة الريعية، فهي «الدولة التي تعيش على العائدات الريعية المتأتية من الخارج بشكل منتظم مقابل ضعف العمليات الإنتاجية المحلية «، وفي هذه الحالة يجب أن يكون دافع الريع أجنبيًا، وبدونه لا يؤثر على مجمل الدخل لأن الريع ليس حصيلة إنتاج معين وإنما حصيلة إعادة توزيع الثروة من دافع الريع، ولذلك ينبغي أن يكون مدفوعًا من الخـارج ليؤثر على دخل الـدولة كتحـويل من خارج الدولة لداخلها.

ويجمع الاقتصاديون على تعريف مفهوم الدولة الريعية، بأنها «الدولة التي تحصل على جزء كبير من دخْلها من موارد طبيعية أوزراعية أو استخراجية على شكل ريع، وتتحكم في السيطرة عليه وتوزيعه». وقد تبنّت سلطة الائتـلاف الدولية الانتقالية منهجية الأرض الجديدة، في ظل غياب المعلومات عن كيفية إدارة المدن فعلياً. فالدولة الريعية لا تنتظر الدعم من مواطنيها بل تستحوذ على مصادر الدعم الذاتية، ريوع النفط، والـغـاز، والمعادن .. الخ» لحماية موقعها ومصالحها ضد التهديدات الداخلية حصريًا.

الموازنة

عند قراءة الموازنة العراقية بإيراداتها ونفقاتها نلحظ جانبين مهمين: الأول يبيّن بأن الإيرادات النفطية تحتل النسبة الأكبر من إجمالي إيـرادات المـوازنـة، والثاني يكشف أنّ الـرواتـب والأجـور التي يُطلق عليها نفقات الأفراد العاملين في الموازنة تشكّل النسبة الأكبر والأهم في بند «النفقات التشغيلية» ولمناقشة هذين الأمرين لا بد من الدخول في هيكل الإيرادات وهيكل النفقات للموازنة العامة للحكومة.

يـبـدو أنّ الـنـفـقـات التشغيلية والاستثمارية في الموازنة قد شكّلت مبلغا ضخما وذلك بحدود 900 تريليون دينار باستثناء سنة 2014 والتي لم تُقَرّ بقانون، ومن هنا بلغت النفقات التشغيلية 625 تريليون، أي بحدود 600 مليار دولار فيما كانت النفقات الاستثمارية 272 تريليون دينار فشكّلت الاستثمارية ما نسبته 30 في المئة من مجموع النفقات. وقد تجاوزت الصادرات النفطية 98 في المئة من مجموع الصـادرات، وتراوحت باقي الصادرات بين 1 في المئة و2 في المئة من مجموع الـصـادرات مـا يعني غياب شبه كامل لهذا النشاط، وبالمقابل تركز الاستيراد على السلع الاستهلاكية، وغياب السلع الإنتاجية، ومستلزمات الإنتاج، ويؤشر ذلك على غياب الاستثمار المحلي والأجنبي المباشر في العراق فلم يؤشر تدفقًا داخلاً ولا رصيدًا متراكما للاستثمار الأجنبي المباشر، بينما بلغت مديونية العراق الآن حسب مصادر رسمية 133 مليار دولار حيث تسعى الحكومات جاهدة للتغلّب على العجز في موازنتها بعدة طرق منها: تغطية العجز من الاحتياطي العام للدولة، أو عن طريق فرض الرسوم والضرائب، أو الإقتراض.

في دراسـة للأمم المتحدة 2018 احتل العراق المرتبة 108 عالميًا وبلغ نصيب الفرد 7,391 دولار سنويًا والعاشرة عربياً، إذ جاءت قطر في المرتبة الأولى عالميًا وبلغ نصيب الفرد مبلغ 98,814 دولار، وتليها اللوكسمبورغ، بينما تحتل سنغافورة المرتبة الثالثة.

بطالة وفقر مُدقع

تشير تقديرات وزارة التخطيط العراقية إلى أن نسبة البطالة في العراق قد بلغت 35 في المئة، من بينها 14 في المئة نسبة الخريجين العاطلين عن العمل، وهي نسبة يرى مختصون أنها مرتفعة جدًا، قياسًا بالإمكانيات الاقتصادية المتاحة لواحد من أغنى بلدان العالم بما يحتويه من كميات نفطية هائلة وثروات أخرى. وأن معدل بطالة الشباب في العراق يبلغ أكثر من 40 في المئة.

وحسب إحصائية البنك الدولي فإن «نسبة الفقر في العراق وصلت إلى 41.2 في المئة في المناطق الحـررة، و30 في المئة في المناطق الجنوبية، و23 في المئة في الـوسـط، و12.5 في المئة في إقليم كردستان».

وقامت الحكومة بترشيد قائمة السلع الأساسية المدعومة في منتصف عام 2009 فألغت بحكم الواقع الدعم على أسعار الشاي والـفـول والصابون والمنظفات والحليب وكانت هذه المواد متاحة جميعًا على البطاقات التموينية قبل هذا التاريخ.

يعيش حوالي 23 في المئة من السكان تحت خط الفقر، ومـا يثير الانتباه هو التفاوت الملحوظ في مستويات الفقر مرتفعة جدًا في الريف لدرجة أن نسبة الحرمان هناك بلغت 65 في المئة أي أنها تعادل ثلاثة أضعاف النسبة في المناطق الحضرية.

الخصخصة

علينا أن نـفـرّق بـين القطاع الـخـاص والخصخصة؛ فالخصخصة تعني أساسًا بيع ممتلكات وأصول الدولة إلى القطاع الـخـاص، وهـي لا تعني إضـافـة جديدة للمنتوج الاجتماعي الإجمالي بقدر ما تعني تغيير الملكية. لقد أقدمت أكثر من 160 دولة نامية على إعادة هيكلة وتجديد مصانعها ومؤسساتها الإنتاجية فلماذا لا يتبنى العراق هذا المنحى الناجح بدلاً من الحديث السمج عن المشاريع الوهمية التي يشير لها المسؤولون في الدولة وفي مجلس النواب علمًا بأنها بلغت 6000 مشروع وهمي رُصد لها بحدود 200 مليار دولار.

وعلى الرغم من أن بريطانيا دولة كبيرة ومتقدمة إلا أنّ هناك حرصًا شديدًا على الا تقع ملكية محلات «هارودز» بلندن في أيدي إخوان محمد الفايد المصريين، وألا تزيد حصة مكتب الاستثمار الكويتي في شركة البترول البريطانية بعد تحويلها للقطاع الخاص عن 9 في المئة.

تجربة سنغافورة

في الـخـتـام لابـد أن نـتـسـاءل: كيف نعالج حال الاقتصاد العراقي؟ هل نعتمد البرنامج الحكومي الداعي للتحوّل إلى القطاع الـخـاص أم نبقى كما كنّا عليه؟ اليس من المعقول أن ننتبه إلى التجارب الاقـتـصـاديـة الناجحة في سنغافورة وبعض بلدان أمريكا اللاتينية مثل البرازيل والأرجنتين والأكـوادور وبيرو؟ ونظرًا لقراءتنا المتعمقة للـدول النامية التي وجـدت الحلول الناجعة، وبما أنّ بلدان أمريكا اللاتينية المُشار إليها تحتاج إلى مساحة واسعة فسنتوقف عند تجربة سنغافورة التي انتقلت من دولة مغمورة من دول العالم الثالث إلى دولة حديثة من دول الصف الأول تطوّر فيها الاقتصاد بسرعة مذهلة بحيث تضاعف نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ما بين 1966 و2013 خمس عشرة مرة، أي بمعدل ثلاث مرات أسرع من نظيره في الولايات المتحدة الأمريكية. ويؤكد لي كـوان يو رئيس جمهورية سنغافورة السابق قائلاً: «كلما اخترت أصحاب المواهب والكفاءة كوزراء وإداريين ومهنيين كانت سياساتنا أكثر فعالية وأكثر نجاحًا».

تبنّت سـنـغـافـورة استراتيجيتين أساسيتين؛ الأولى تعتمد على استيراد أحـدث التطورات التكنولوجية العالمية لـزيـادة إنتاجية رأس الـمـال والعمالة وذلـك من خـلال تشجيع الاستثمارات الأجنبية المـبـاشـرة، وتوظيف المواهب الأجنبية كوسيلة لنقل المعرفة. بينما ترتكز الاستراتيجية الثانية على توفير البيئة القانونية، والفكرية، والحوكمة الرشيدة للنمو، ورعاية المواهب المكتسبة من أجل خلق مجالات للابتكار والتقدم التكنولوجي. وفـي هـذا الـصـدد، تحتل سنغافورة المرتبة الأولى في نظام الحوافز الاقتصادية لاقتصاد قائم على المعرفة، والرابعة في العالم من حيث الابتكار في مؤشر اقتصاد المعرفة للبنك الدولي.

كانت سنغافورة تحمل لقب الدولة الأكثر فسادًا في العالم لكنها أصبحت خلال الثلاثين سنة الأخيرة، وبشهادة كل الدول والمحللين الاقتصاديين وغيرهم، الدولة الأقل فسادًاعلى المستوى العالمي على وفق معايير منظمة الشفافية العالمية، بينما يشير التقرير ذاته الى أن العراق يقع في أسفل سُلّم الدول في العالم فيما يخص قيمة مدركات الفساد خلال الفترة الممتدة من سنة 2003 حتى عام 2012. وفي عام 2011 كان العراق يحتل المركز رقم 175 ويأتي بعده السودان والصومال فقط، في حين تربعت كلٌ من الدنمارك وفنلندا ونيوزلندا والسويد على المـركـزالأول، وتأتي سنغافورة في المركز الثاني. أما على مستوى البلدان العربية. فيأتي العراق في الترتيب العشرين في حين تتقاسم كل من الأمـارات وقطر المركز الأول عربيًا، والمركز 27 دوليًا.

اليوان «الضعيف» عندما يهدد الدولار «القوي»

إبراهيم نوار

في سياق الحرب الاقتصادية الشاملة التي تخوضها الولايات المتحدة ضد الصين، يحاول الرئيس الأمريكي تجريد بكين من أحد مقومات قوتها الاقتصادية مبكرا. مصدر قوة الصين الذي لم تطوره ولـم تستخدمه بعد، يتمثل في عملتها الوطنية «اليوان» الأضعف كثيرا قياسا إلى حجمها كأكبر قوة تجارية في العالم. نصيب اليوان في سلة عملات الاحتياطي النقدي العالمي حاليا يقل عن 2 في المئة مقابل حوالي 60 في المئة للدولار. المسافة بعيدة جدا بين اليوان والدولار، لكن ترامب يضغط بقوة على مجلس الاحتياط الفيدرالي الأمريكي لتخفيض أسعار الفائدة، بهدف إضعاف الدولار وشن حرب على اليوان. نتائج الحرب التجارية بعد عام تؤكد أن الصين لم تتأثر كثيرا، صادراتها إلى العالم إرتفعت في نهاية تموز/يوليو بنسبة 3.3 في المئة بينما وارداتها انخفضت بنسبة 5.6 في المئة، وكـان أكبر انخفاض هو مع الولايات المتحدة بنسبة 20 في المئة تقريبا، مع تراجع في صادراتها إليها بنسبة 6.5 في المئة. الفائض التجاري الصيني مع العالم في تموز/يوليو زاد بنسبة 64 في المئة عما كان عليه قبل عام! لذلك فإن ترامب يضيف الآن سلاح الحرب ضد اليوان إلى أسلحة رفع الرسـوم الجمركية، ووقـف الصادرات التكنولوجية، وحصار الشركات الصينية الرائدة مثل هواوي.

المثير للدهشة هو أن الصين لم تتألم من مـحـاولات ترامب شن حرب ضد عملتها، بينما هو يملأ العالم ضجيجا، متهما الصين بالتلاعب في سعر العملة، بينما الـيـوان في حقيقة الأمـر، يرزح تحت ضغوط الـحـرب التجارية، والإضطرابات السياسية في هونغ كونغ، وتـراجـع مـعـدلات النمو. وقد طلب ترامب توجيه مندوب الولايات المتحدة في صندوق النقد الـدولـي بتقديم شـكـوى رسمية ضد الصين بتهمة «التلاعب في أسعار اليوان»! الصندوق لم يعلق حتى الآن على الاتهام الأمريكي، لكن بعثته التي أنهت مؤخرا مهمة في بكين، طبقًا للمادة الرابعة من اتفاقية عضوية الصندوق، أكدت أن سعر صرف اليوان يتماشى مع المتغيرات الاقتصادية الرئيسية في المدى الطويل.

الذي يسعى إليه ترامب بشكواه أمـام صندوق النقد الـدولـي، هو الـحـصـول عـلـى تـأيـيـد لـلاتـهـام، يبرر له فرض المزيد من الرسوم الجمركية الانتقامية ضد الصين قد تزيد عن 50 في المئة مقابل 35 في المئة حاليا. ويتردد الآن بقوة في أركان الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي، أنه يعتزم زيادة الرسوم الجمركية على الواردات من الصين إلى 45 في المئة، بهدف تخفيف العجز التجاري الأمريكي.

والحقيقة أن اتهام ترامب للصين بـ«التلاعب في سعر اليوان» لا يجد مبررا موضوعيا، حتى باستخدام المعايير الأمريكية التي وضعتها وزارة الخزانة في واشنطن. وطبقا لهذه المعايير فإن الولايات المتحدة تستطيع توجيه اتـهـام إلـى أي دولة بالتلاعب في أسعار عملتها الوطنية، إذا حققت فائضا تجارية يصل إلـى 3 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي. وقد قامت الوزارة بتخفيض هذه النسبة مؤخرا إلى 2 في المئة فقط، في محاولة لابتزاز شركائها التجاريين لشراء المزيد من البضائع الأمريكية. المشكلة التي يواجهها ترامب مع الصين، هي أن فائضها التجاري يقل عن 2 في المئة من الناتج المحلي، ومن ثم فإننا إذا افترضنا في أسوأ الأحوال إخضاع الصين للمعايير الأمريكـيـة، فلن يسفر ذلـك عن الحصول على دليل يثبت تورطها في «التلاعب» بقيمة عملتها.

وقـد علـت صـيـحـات الرئيس الأمريكي ضد (اليوان) منذ 5 آب/أغسطس الـحـالـي، عندما هبطت قيمة العملة الصينية إلـى أقل من 7 يـوان مقابل الـدولار، وهي القيمة الوسطى التي استقر عندها معدل التبادل بين العملتين خلال السنوات العشر الأخيرة تقريبا.

وربما اعتقد ترامب أن بنك الشعب الصيني «البنك المركزي» قام عمدا بتخفيض سعر صرف اليوان، ردا على عزم الولايات المتحدة فرض رسـوم جمركية إضافية على ما تبلغ قيمته 300 مليار دولار من وارداتها من الصين إعتبارا من أول أيلول/سبتمبر المقبل. لكن الحقيقة أن الصين تقاوم التأثير السلبي لـلـرسـوم الـجـمـركـيـة الإضـافـيـة بطرق أخرى، منها زيادة المبيعات في السوق المحلية، وفتح أسواق جديدة لصادراتها، وإعادة توطين الكثير من الصناعات الصينية في الـخـارج، خصوصا في فيتنام وإندونيسيا والفلبين وكمبوديا والهند، والانتقال إلى الصناعات التكنولوجية عالية القيمة المضافة، كما أنها تتحمل أيضا تراجعا في معدلات النمو. ومن أجل المحافظة على استقرار قيمة اليوان، وهو أمر ضروري للمحافظة على التماسك الاقـتـصـادي الـداخـلـي، فـإن بنك الشعب الصيني تدخل في الأيام الأخيرة، لرفع السعر إلى مستوى 7 يوان للدولار.

وتـعـتـمـد فـلـسـفـة الـسـيـاسـة النقدية في الـصـين، على توفير درجـة عالية مـن المـرونـة لسعر صـرف الـيـوان مقابل العملات الرئيسية، وذلك لخدمة احتياجات التنمية الاقتصادية. ومن هنا فإن التلاعب في أسعار العملات أو في معدلات الفائدة على الإيداع والاقتراض غير مسموح به، لأنه يمثل خطرا على عملية التنمية. ويتمسك البنك بسياسة نقدية مرنة، تتيح للعملة الوطنية القدرة على مواجهة الصدمات الداخلية والخارجية بـجـدارة، وبأقل قدر ممكن من الخسائر. ومع أن اليوان «الضعيف» يمكن أن يعزز القوة التنافسية للصادرات الصينية أكثر وأكثر، فإن مضاره قد تتجاوز هذا المكسب. ومـن أخطر هـذه المضار تقليل الثقة في العملة، وهـروب رؤوس الأموال إلى الخارج. ونظرا لأن الصادرات الصينية تستحوذ عـلـى نصيب كبير فـي أسـواق العالم، فإن المحافظة على قدرتها التنافسية يتطلب أولا ضمان اسـتـمـرار نمـو الإنـتـاج بمعدلات مرتفعة، ويتطلب ثانيا الانتقال من صناعات قليلة القيمة المضافة مثل الأثاث والأقمشة إلى صناعات تكنولوجية عظيمة القيمة المضافة مثل أجهزة الـذكـاء الاصطناعي وأنـظـمـة الاتـصـالات المتقدمة، ومـعـدات إنتاج الطاقة المتجددة وصـنـاعـات الـطـيـران والفضاء. الصين لا تنافس الولايات المتحدة فـي نـطـاق الـحـلـقـات الأدنـى من الإنتاج، مثل فول الصويا واللحوم والـبـتـرول والـغـاز، وإنمـا تسعى إلـى تكريس تفوقها في مجال الصناعات المتقدمة. ولتحقيق ذلك يجب أن يتمتع الاقتصاد بقدر كبير من الاستقرار النقدي واستقرار سعر العملة الوطنية والبعد عن التقلبات والصدمات.

وبينما يتجه دونالد ترامب إلى اختيارات قصيرة المـدى، ضيقة الأفـق فـي حـربـه الاقـتـصـادية مع العالم، مثل تسييس أسعار الفائدة والرسوم الجمركية، فإن الـصـين تعمل بثبات في اتـجـاه توسيع وتطوير طاقاتها الإنتاجية، والمحافظة على معدلات مرتفعة للنمو الاقتصادي، خصوصا في قطاعات الصناعات المتقدمة. وعلى الرغم من أن معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي في الصين انخفض في النصف الأول من العام الحالي إلى 6.3 في المئة فإن هـذا المعدل يظل أعلى من ضعف معدل النمو الـذي حققته الـولايـات المتحدة خلال الفترة نفسها والذي بلغ 2.8 في المئة. هذا المعدل السريع للنمو في الصين، على الرغم من أنه يقل عن معدلات النمو التاريخية التي تحققت خلال العقود الماضية، إلا أنه يضمن استمرار تسارع النمو والتقدم على طريق كسب معركة المنافسة الاقتصادية ضد الولايات المتحدة.

فـي حـربـه الاقـتـصـاديـة مع الصين يـردد الرئيس الأمريكي حججا واهـيـة، مثل أن الصين تسرق التكنولوجيا الأمريكية ثم تعيد تصديرها إليها، ومثل أن الصين تتعمد تخفيض سعر اليوان من أجل زيـادة القوة التنافسية لمنتجاتها فـي أسـواق الـعـالـم، بينما هـو فشل في تقديم خطة اقتصادية واضحة المعالم من أجل زيادة قدرة الولايات المتحدة على المنافسة، مكتفيا بإصدار قرارات لفتح الولايات المتحدة أرضا وبحرا للتنقيب عن النفط والـغـاز، حتى أصبحت فعلا أكبر منتج للنفط في العالم. إن هذه السياسة التي يستند إليها تـرامـب قـد تتسبب فعلا في حـدوث أضـرار قصيرة المـدى للمنافسين مثل الصين، لكنها لن توقفهم عن التقدم، ولن تساعد واشنطن على التوسع في أسواق العالم، خصوصا أسواق المنتجات المتقدمة التي يتسع نطاق تصنيعها في الصين لأنها أكفأ من الناحية الإنتاجية، وأكثر قدرة على المنافسة من الناحية التجارية.

الأسـوأ في حربه الاقتصادية مع الصين لم يواجهه ترامب بعد. ويتمثل الأسـوأ في أن بكين تنفذ بهدوء شديد خطة طموحة طويلة الأجـل لتحويل الـيـوان إلـى عملة دولية واسعة التداول. وهي في ذلك تستخدم العديد من الأدوات والسياسات، مثل زيادة احتياطيها مـن الـذهـب، وتقليل نسبة ما تحتفظ به من الـدولار، والتوسع في عقد اتفاقات لتسوية المبادلات باستخدام العملات الوطنية مقابل اليوان، ومنح القروض، وتمويل احتياجات مشـروعـات مبـادرة الحزام والطريق باستخدام اليوان. وتستهدف الصين بلا موارية حاليا أن يصبح اليوان هو ثالث أكبر عملة متداولة في العالم بعد الـدولار واليورو خلال العقدين القادمين.

مدن وآثار

مدينة بيسان الفلسطينية:
عشرون طبقة حضارية وآثار شاهدة على ازدهارها

الناصرة – «القدس العربي»:
وديع عواودة

في الطريق من الناصرة إلى شقيقتها بيسان داخل أراضي 48 كانت مشاهد الجغرافيا والتاريخ كمين جالوت موقع المعركة الفاصلة بين المماليك والتتار، تشي بعراقة المدينة الجميلة التي وصفتها فيروز بـ «ضيعتنا الظليلة». هناك في قلب مدينة بيسان الفلسطينية تنتشر آثار المدينة الرومانية «سكيتوبوليس» على مساحة واسعة تبلغ 1600 دونم يحرسها تل كبير في بطنه آثار وفيرة عمرها 2000 عاما وأكثر لم يكشف النقاب عن ملامحها الكاملة. رغم أن أعمال التنقيب الأثرية في بيسان القديمة قد بدأت منذ عشرينات القرن الماضي ما زال المخفي أعظم. ويقدر الباحثون في الجامعة العبرية المشرفة على أعمال التنقيب بدون توقف منذ 1986 أن ما كشف النقاب عنه لا يتعدى الـ 10 في المئة فقط من كنوزها التاريخية. ويقولون إن السنوات الألف الخمس قبل الميلاد شهدت أول بلدة أقيمت في تل بيسان القائم جنوب وادي جالوت في قلب منطقة خصبة وغنية بالينابيع تعتبر مفترق طرق رئيسية. ويوضح الباحث الأثري دكتور وليد أطرش أن الفراعنة اتخذوا من تل بيسان مقرا لحكمهم في فلسطين خلال الفترة الكنعانية المتأخرة في الفترة بين القرون 12 و16 قبل الميلاد. وتم تدمير البلدة الأثرية عام 732 قبل الميلاد بعد احتلال البلاد على يد الأشوريين.

المدن العشر

ويستذكر أطرش أن المكان شهد مجددا عملية استيطان وبناء في الفترة الهيلينية وسميت باليونانية «نيسا ـ سكيتوبوليس». ومن ضمن المفارق التاريخية في مسيرة هذه المدينة ما شهده عام 63 قبل الميلاد على يد الرومان وكانت واحدة من مدن «ديكابوليس» الرومانية العشر وشكلت مركزا لحكمهم في شمال البلاد. وحسب التقاليد اليهودية أجهز الرومان على اليهود سكان المدينة عام 66 ميلادي. ويستدل من زيارة المدينة التاريخية أن بيسان الرومانية قد ازدهرت، مدينة مسيحية تطورت كما وكيفا بلغ تعدادها 30–40 ألف نسمة وقد أحيطت بالأسوار الضخمة وداخلها كنائس وأديرة وحمامات ومنشآت عامة داخل أحيائها.

الهزة المدمرة

ولم يدم عزها بعد الفتوحات العربية، فقد زلزلتها هزة أرضية في آخر أيام الدولة العثمانية عام 749 ميلادي أدت لتحطيمها بالكامل وما زالت آثار الهزة بادية في عمدان رخامية وتيجان حجرية فنية عملاقة متحطمة على الأرض بعدما تهاوت كالورق. ويستذكر أطرش عثور المنقبين على هياكل عظمية من تحت بعض الأعمدة وأحيانا قطع نقدية ذهبية ما يدلل على أن الهزة وقعت خلال النهار وفي ساعات نشاط السوق. ويتابع استعراض محطات في مسيرة بيسان بالقول إن المدينة التي صار اسمها بيسان عقب الفتوحات العربية / الإسلامية شهدت عمليات ترميم وبناء مجددا بلغت أوجها من جديد في الحقبة العثمانية وما تزال عدة عمارات شاهدة على ذلك أبرزها مبنى السرايا المبني من حجر البازلت الأسود. أما المدينة الفلسطينية بيسان التي تغنت بها السيدة فيروز فقد شهدت زلزالا مدمرا عام 1948 وهذه المرة ليس من صنع الطبيعة بل نتاج أيدي الصهيونية في أقسى الشهور، أيار. حيث ما تجول الزائر في المدينة اليوم يلاحظ منازلها الفلسطينية علاوة على كنيستين ومسجد عتيق خلفه مقبرة إسلامية تكابد أقسى أنواع الهجران والاستباحة والتدمير.

المسرح الكبير

غير أن السائحين الأجانب لا يتوقفون عند معالم المدينة الفلسطينية عروس الأغوار بل يتم توجيههم لبيسان الرومانية / البيزنطية لمشاهدة كمية كبيرة من الآثار العمرانية المدهشة. في مركز المدينة التاريخية نجا من الزلازل مسرحها الروماني المبني من الحجارة السوداء منذ القرن الميلادي الأول وهو يتسع لنحو 7000 شخص جلسوا في ثلاث طبقات من المقاعد الحجرية. وما زالت في حالة جيدة، مداخل المسرح على شكل مبان مقوسة، قباب وعقود وخلف منصة المسرح يرتفع جدارها 20 مترا ازدان بسلسلة أعمدة متوجة بتيجان وتماثيل غرانيت كل منها تحفة فنية بحد ذاتها بفضل نقوشها الجميلة. ويشير المؤرخون إلى أن هذا المسرح الغربي الروماني «الامفيتيترون» الذي لم تنج من مكوناته سوى ثلاثة مقاطع للمقاعد استضاف عروضا ومصارعات استمتع بمشاهدتها نحو 6000 شخص. وعلى بعد 150 مترا من المسرح ما زالت آثار الحمام العام المركزي شاهدة على ازدهار حياة الترفيه والثقافة في المدينة. ويوضح الباحث وليد أطرش أنه كما في بقية المدن الرومانية في العالم انتشرت الحمامات، وفي بيسان التاريخية كان الحمام المبني في القرن الرابع ميلادي يمتد على تسعة دونمات منذ أن بني في القرن الرابع ميلادي، ويشمل ثماني قاعات مغطاة بالقبب. ويستدل من اللوحات التوضيحية

باللغتين الانكليزية والعبرية أن رواد الحمام الروماني دخلوا بداية إلى صالة لخلع ملابسهم «ابوتوريوم» وأودعوها هناك وحصل مرات أن عادوا ووجدوا أن ثيابهم قد اختفت. وقبيل الاستحمام دأب الرواد على القيام بتمارين بدنية كالمصارعة أو رفع الأثقال قبل دخولهم منطقة الصالات الساخنة «كالدريوم» لتنظيف أبدانهم عبر التعرّق جراء الهواء الساخن وبحكّ الجلد بأدوات تنظيف. ومن الصالات الساخنة انتقل رواد الحمام لصالة فيها مسابح مياهها معتدلة الحرارة من أجل الاستجمام والراحة ثم إلى مسابح باردة «بريجيدريوم». كما تروي الإرشادات المعلقة هناك أنه مقابل مبلغ مالي متواضع كان الرواد يحظون بخدمات تدليك مهنية وبعدها كانت الفرصة تتاح لتلقي خدمات تزيين وحلاقة فيما اختار بعضهم زيادة معرفتهم وإثراء ثقافتهم بالاستماع لمثقفين ومحاضرين يشاركونهم الأحاديث والمداولات.

الحمامات الرومانية

كما يرى الزائر بوضوح طريقة عمل الحمام، إذ تبدو أسفل الأرضية الرخامية والفسيفسائية في القاعات الساخنة منظومة تسخين الماء والهواء عملت بواسطة إحراق كمية كبيرة من الحطب التي استحضرها عمال وعبيد. وفي هذه المنشأة الفريدة التي طورها الرومان كان الهواء الساخن يتعالى في الفضاء أسفل الأرضية المبنية على أعمدة قصيرة ويسخنها وعند رشها بالماء تملأ المكان بالبخار، مثلما يتعالى أيضا لفناء القاعة بواسطة أنابيب فخارية. ودأب رواد الحمام على الاختيار بين صالات البخار كما هو الحال بطريقة الحمامات التركية وبين صالات الساونا والبرك الساخنة. وفي المناطق المجاورة للقاعات بنيت مسابح ونوافير لتخفيف وطأة الحر في هذه المدينة المعروفة بطقسها الحار وبوفرة مياهها المتدفقة من ينابيع تستمد ديمومتها من جبل فقوعة المجاور والماثل بكامل هيبته في الجانب الجنوبي من مرج بن عامر. وصدق من سبق ووصف المدينة وقتها بـ «عتبة الجنة».

تل الحصن

وبين المسرح والتل الكبير المعروف بـ «الحصن» تمتد طريق سميت باسم حاكم المدينة البيزنطي «فلاديوس» المحاطة بعمدان عملاقة شقت وبنيت في الفترة الرومانية وتم تطويرها في عهد البيزنطيين وهي معبدة بالحجارة السوداء وما زالت بادية على حوافها أنظمة تصريف المياه. كما ما تزال آثار محال تجارية مكونة من طابقين على جانبي الطريق وساحاتها معبدة بالفسيفساء وبمخطوطات تحمل أسماء بناتها كما يشير الباحث الأثري عبد الله مقاربي الذي شارك في أعمال التنقيب في المكان. ويشير مقاربي لساحة «سيغما» نصف الدائرية وهي عبارة عن ميدان مركزي في المدينة ازدانت أرضيتها بلوحات فسيفسائية على شكل رسومات هندسية وصور حيوانات ونباتات وطيور ومخطوطات هيلينية. وفي واحدة من اللوحات الفسيفسائية تبدو آلهة المدينة «تيخا» وهي تعتمر تاجا ملكيا على شكل سور وبيدها قرن الخصب. وقريبا منها وفي مركز المدينة بنيت مراكز تجارية في الحقبة البيزنطية وتمت فيها إضافة منشآت لصناعة الفخار أيضا وبناء سوق وجامع كما يؤكد مقاربي مشيرا لسلسلة آثار بيزنطية في حالة جيدة لمعبد روماني وشارع واسع يصل لتل الحصن «الاكروبوليس» الغني بالآثار العمرانية منذ أن استوطنه الكنعانيون منها خمسة معابد. عشرون طبقة حضارية اجتمع فيها الكنعانيون والأشوريون والرومان والبيزنطيون واليهودية وغيرهم ترد المعلومات حول كل منها بشكل واف في لوائح وكراسات الإرشاد بعكس الحقبة العربية/ الإسلامية التي تذكر على هامش الرواية التاريخية المعتمدة من قبل دائرة الآثار الإسرائيلية التي تخلط بين اعتبارات السياسة ومزاعم الحقوق التاريخية في فلسطين وبين ما يقتضيه علم الآثار المجرد. مثل هذه المعايير تفسر الحالة المأساوية للمسجد وللمقبرة الإسلامية الفلسطينية من قبل النكبة والتي تستبيحها وتحطم أضرحتها الأبقار والمحرومة من الحد الأدنى من الرعاية بعكس الآثار الرومانية المجاورة على بعد 100 متر فقط.

أمنا الطبيعة حينما تغضب

في قمة الحصن المشرف على المدينة الرومانية/البيزنطية/ الأموية اكتشفت 20 طبقة سكنية تعكس تعاقب الحضارات والشعوب فيها ميان عامة ومنازل بعضها نقشت فيه كتابات فرعونية داخل مدينة أحيطت بالأسوار، وقد شهدت المدينة في قمة الحصن عمليات ترميم وبناء من جديد في كل واحدة من الحقب. في جنبات المدينة الأثرية تجول العشرات من الزائرين القادمين من إيطاليا ممن تابعوا بانفعال مشاهد التاريخ. واحدة من هؤلاء كلوديا وهي سيدة إيطالية قالت ردا على سؤال إنها تقيم في روما وتعرف عن قرب الآثار الرومانية الضخمة والمهيبة ومع ذلك فوجئت بوجود ما يشبهها هنا في بيان وتابعت «فوجئت ببلوغ الحضارة الرومانية لمثل هذه الأمكنة النائية وأمام الأعمدة المتكسرة جراء الهزة الأرضية قلت في سري، كم هو عظيم الإنسان وكم هو صغير أمام أمنا الطبيعة حينما تغضب».

رياضة

من يملك الجرأة والشخصية لإنهاء هيمنة مانشستر سيتي على البريميرليغ؟

ماغواير أصبح أغلى مدافع في العالم وأغلى صفقة هذا الصيف بانتقاله الى يونايتد

لندن ـ «القدس العربي» من عادل منصور:

أخيرا وبعد أكثر من ثلاثة أشهر من الانتظار، يُعثت الحياة من جديد في أعرق ملاعب كرة قدم على هذا الكوكب، بانطلاق موسم الدوري الإنكليزي 2019–2020، بتوقعات وآمال أن يكون أكثر إثارة من الموسم الماضي، الذي يعتبره جُل النقاد والمتابعين من أكثر مواسم البريميرليغ بمسماه الحديث إثارة وندية على اللقب، بعد المنافسة الشرسة بين مانشستر سيتي وليفربول، التي حسمها الفريق السماوي بأعجوبة بـ98 نقطة، بفارق نقطة واحدة عن الريدز، في ظاهرة لم تحدث من قبل، أن ينجح فريق في جمع 97 نقطة ولا يتوج باللقب!

مؤشرات لموسم استثنائي

شهد الميركاتو المنقضي في بلاد الضباب عدة ظواهر صحية، أبرزها على الإطلاق عودة الإخوة الأعداء في شمال لندن توتنهام وآرسنال للسوق بشكل حقيقي وواقعي، يكفي أن كليهما حطم الرقم القياسي في الصفقات الجديدة، والأمر ينطبق كذلك على مانشستر يونايتد، بنجاح ذي الوجه الطفولي أوليه غونار سولشاير التغلب على نقاط ضعف الفريق منذ رحيل الأسطورة سير أليكس فيرغسون، ومن بعده ثنائي الدفاع المخضرم نيمانيا فيديتش وريو فرديناند، حتى حامل اللقب، دعم صفوفه بصفقات أقل ما يقال عنها مُذهلة، الاستثناء الوحيد كان ليفربول، ربما لاعتقاد الألماني يورغن كلوب بأن فريقه ليس بحاجة لصفقات جديدة، وكذلك تشلسي لظروفه القهرية، بحرمانه من الغيفا بعدم ضم لاعبين جُدد حتى منتصف 2020، مع ذلك، تعامل الأيقونة فرانك لامبارد مع الأزمة بطريقة يُحسد عليها، أضف إلى ذلك الأندية الأخرى، التي أنفقت مئات الجنيهات الإسترلينية لتغيير خريطة القوى في البريميرليغ، مثل إيفرتون وليستر وأستون فيلا، بعد عودته من تشامبيونشب، وغيرها من الأندية الطامحة لكسر هيمنة الستة الكبار، وهذه مؤشرات أننا سنكون على موعد مع موسم استثنائي، سواء على صعيد المنافسة على اللقب ذاته أو المراكز الستة الأولى، خاصة بعد ظهور ملامح ثورة التصحيح في الأندية الكبيرة، التي خرجت من الموسم الماضي بلا ألقاب ولا مركز مؤهل لدوري أبطال أوروبا، والإشارة بطبيعة الحال للكبيرين مانشستر يونايتد وآرسنال، وفي الوقت ذاته، من المتوقع ألا يرفع بيب غواردیولا ورجاله الراية البيضاء بسهولة، كذلك غريمه المباشر في «أنفيلد»، هو الآخر يُمني النفس بحل عقدة لقب البريميرليغ الغائب عنه منذ 30 عاما، حتى السبيرز لديه أهداف وطموحات مشروعة، بتحقيق نتائج أفضل من الموسم الماضي، الذي ختمه في المركز الرابع، بجانب إنجاز الوصول لنهائي دوري الأبطال للمرة الأولى في تاريخه، لكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن بعد هذه المقدمة وسنحاول الإجابة عليه بشكل مفصل، هل ستتكرر منافسة السيتي والريدز للعام الثاني على التوالي؟ أم هناك منافس ثالث لهما وربما رابع؟ ومن يا ترى الأوفر حظا لمزاحمة البطل ووصيفه على اللقب هذا الموسم؟ الآن دعونا نلقي نظرة سريعة على حظوظ كل فريق من الستة الكبار.

مهمة الأسود الصعبة

بعد النجاح الكبير الذي حققه فرانك لامبارد مع دربي، بقيادته للوصول لأغلى مباراة كرة قدم في العالم، في نهائي «البلاي أوف»، جاءته المكافأة الفورية بمنحه القيادة الفنية لناديه السابق تشلسي، خلفا للإيطالي ماوريسيو ساري بعد انتقاله إلى يوفنتوس، لكن يُحسب للأخير نجاحه في إنهاء موسمه الوحيد المعقد في إنكلترا، في المركز الثالث المؤهل لدوري الأبطال، بجانب التتويج بلقب اليوروبا ليغ، وهذا في حد ذاته، أضاف الكثير من الهدوء والثقة للجميع داخل النادي، لكن لسوء حظ المدرب الجديد، أنه أجبر على اختيارات معينة بسبب عقوبة الفيفا، كما فعل بتصعيد أبناء الأكاديمية للفريق الأول مثل تومي أبراهام وماسون ماونت وكالوم هودسون أودوي وريكي جيمس وآخرين. فقط الوافد الجديد الوحيد هو الأمريكي كريستيان بوليستش، لتعاقد الإدارة معه منذ الشتاء الماضي، ما يعني أن الظروف القهرية التي مر بها البلوز هذا الصيف، ستكون أشبه بالسلاح ذي الحدين، إما أن يستغلها المدرب الجديد غير المضغوط نفسيا لمصلحته ومصلحة الفريق بتفجير طاقة الشباب الصاعد مع أصحاب الخبرة، وهو ما يتمنى تحقيقه على أرض الواقع لقلة الضغوط عليه، أو يحدث الشيء المتوقع، وهو فشل تشلسي في إنهاء الموسم ضمن الأربعة الأوائل، لكن بوجه عام، نجاح لامبارد من عدمه في موسمه الأول الصعب، سيتوقف بدرجة كبيرة على الوقت الذي سيستغرقه الفريق للتكيف على أفكار المدرب الجديد، وأيضا مدى قدرته على تعويض منقذ الفريق الأول في السنوات الماضية إيدين هازارد بعد انتقاله إلى ريال مدريد، لذا يمكن القول بأنه كلما كانت فترة انسجام اللاعبين مع أفكار المدرب قصيرة، كلما صب ذلك في مصلحة الأسود، ويا حبذا لو كان موفقا وتمكن من تحقيق سلسلة انتصارات في الأسابيع الأولى، ستكون أشبه بالدفعة المعنوية العظيمة، للمضي قدما نحو تحقيق هدفه الرئيس، بإنهاء الموسم ضمن المربع الذهبي مع الذهاب لأبعد مكان في الكأس ذات الأذنين، وفي عالم كرة القدم هذا ليس مستحيلا.

الشياطين الحمر بعد التعديل

عانى زعيم إنكلترا على المستوى المحلي الأمرين تحت قيادة البرتغالي جوزيه مورينيو، إلى أن تمت إقالته في نهاية العام الماضي، ورغم البداية الموفقة للمدرب النرويجي، بانتصارات ونتائج مقنعة أعادته مرة أخرى من بعيد لسباق المنافسة على المركز الرابع، لكن النهاية جاءت مخيبة للآمال، باحتلال المركز السادس، ما ضاعف الشكوك حول إمكانية استمراره لموسم آخر، من باب أن شخصيته ضعيفة، نظرا لانهيار الفريق بعد انتهاء فترة التوهج التي أعقبت رحيل «سبيشال وان»، مع ذلك، أبقت عليه الإدارة، ودعمته بصفقات كان الفريق في أمس الحاجة لها، خصوصا تدعيم مركز قلب الدفاع بالدولي هاري ماغواير، أغلى مدافع في التاريخ، وفي الرواق الأيمن آرون وان بيساكا بجانب الجناح الويلزي المستقبلي دانيال جيمس، وهو أشبه بما فعله بيب غواردیولا في موسمه الثاني مع السيتيزينز عندما ركز على تعزيز دفاعه المتهالك، ليتوج بأسهل لقب بريميرليغ في التاريخ، بفارق 19 نقطة عن وصيفه في موسم 2017–2018، لكن ما يمكن اعتباره الخطأ الوحيد الذي ارتكبه سولشاير بالتعاون مع إد وودوارد ومجلس الإدارة، هو إجبار بول بوغبا على البقاء، رغم اعترافه في أكثر من مناسبة برغبته في البحث عن تحد جديد، الأمر الذي قد يسبب مشاكل بالجملة في غرفة خلع الملابس، إذا لم ينجح المدرب في احتواء غضب لاعبه في وقت الأزمات، لكن على النقيض، نجد أن المدرب لم يتردد لحظة في فتح أبواب الرحيل أمام روميلو لوكاكو، بمجرد أن أعطى تلميحات لرغبته في العمل مع الإيطالي أنطونيو كونتي في الإنتر، وهذا يعكس ازدواجية التعامل مع اللاعبين، حتى وإن كان الفرنسي أكثر أهمية من زميله البلجيكي. عموما سولشاير هو من سيتحمل قرار إجبار لاعبه على البقاء، لكن دعونا نتفق أنه جلب أهم قطعة ثابتة كان يحتاجها اليونايتد منذ سنوات، بضم قلب دفاع يصنف من «الطراز العالمي»، لحل أزمة هشاشة وسذاجة خط الدفاع، عكس الوسط والهجوم، بالكاد ليسا بحاجة إلا لهاجم صندوق رقم (9)، يكون له دور في الأوقات المعقدة، عندما يلجأ لحل العرضيات والكرات الطولية، إلا إذا كان يخطط لمجاراة كلوب وغواردیولا باللعب بالطرق الحديثة التي تخدم الأجنحة وتساعدهم في الوصول للمرمى أكثر من المهاجم الكلاسيكي، كما الحال لصلاح وساديو ماني في ليفربول وليروي ساني ورحيم ستيرلينغ وبيرناردو سيلفا وبقية عصابة السكاي بلوز، ولدى اليونايتد أنطوني مارسيال وماركوس راشفورد وأليكسيس سانشيز، بشرط أن يظهر بنفس النسخة التي كان عليها مع منتخب تشيلي في كوبا أمريكا، سيكون أشبه بالصفقة الجديد لسولشاير وجهازه المعاون، وفي وجود اليافع ماكتوميني والمخضرم نيمانيا ماتيتش، حتى لو رحل بوغبا، سيبقى مركز لاعب الوسط المحوري في أمان، فقط يحتاج المدرب أن يثبت كفاءته وأحقيته بخلافة أستاذه فيرغسون، بإظهار مدى استفادته من الأخطاء التي ارتكبها في نهاية الموسم الماضي، وأدت لانهيار النتائج، إذا فعل ذلك، فعلى أقل تقدير سيتقدم خطوة عملاقة نحو الطريق الصحيح بإنهاء الموسم ضمن الأربعة الأوائل، تمهيدا للخطوة التالية في الطموح، بالعودة للمنافسة بشكل حقيقي وملموس على اللقب، كما كان الوضع في عهد شيخ المدربين، أما إذا أكمل الموسم بنفس الصورة المأساوية التي ختم بها الحملة الأخيرة ولم يكشر عن أنيابه مبكرا بوضع قدم مع الأربعة الأوائل منذ أول جولة، ففي الغالب سيكون قد فرط في فرصة العمر، وهذا في حقيقة الأمر يبدو مستبعدا، لأن كما أشرنا، الظروف كلها متاحة ومهيأة ليعود يونايتد لدوري الأبطال في أسرع وقت ممكن، وإلا يكون قدر النادي هو العيش على أطلال مدربه الأسطوري أو عودته مرة أخرى!

أقرب المنافسين

لو عُدنا بالذاكرة حتى بداية أبريل/نيسان الأخير، كان آرسنال مرشحا فوق العادة لإنهاء الموسم في المركز الرابع، بأداء جيد ونتائج مقبولة جدا، في أول موسم بدون الأستاذ آرسين فينغر، لكن فجأة وبدون مقدمات، تجرع الفريق 4 هزائم من أصل 5 مباريات في شهر الحسم، في الوقت الذي كان يسير فيه بخطى ثابتة نحو نهائي اليوروبا ليغ، لكن لسوء حظ المدرب الإسباني أوناي إيمري، انتهى الموسم عكس الانطباع الذي تركه لنفسه ومشروعه في أغلب فترات الموسم، لكن الآن أمامه فرصة على طبق من فضة، على الأقل للحصول على نقاط أكثر من الموسم الماضي، وهذا فقط سيكفيه للعودة إلى دوري الأبطال مرة أخرى، ولا ننسى أنه بعد الانهيار غير المبرر في نهاية الموسم، أنهى إيمري وكتيبته الموسم في المركز الخامس بفارق نقطة واحدة عن الجار توتنهام، لكن في وجود أغلى لاعب في تاريخ النادي نيكولا بيبي كجناح مخيف، وأمامه ألكسندر لاكازيت وبيير إيمريك أوباميانغ، وخلفهم مسعود أوزيل، شرط أن يكون في أفضل حالاته، سيكون لدى آرسنال خط هجوم لا يقل جودة عن ليفربول ومانشستر سيتي، فقط مشكلته تكمن في قلب الدفاع القادر على تعويض كوشيلني وتقليل حجم الكوارث التي يرتكبها شكودران موستافي الموسم الماضي، لذا لن تكون هناك أية مفاجأة لو ظهر الغانرز بصورة وشخصية أكثر صرامة مما كان عليها في العقد الماضي برمته، لكن يحتاج إيمري قليلاً من الحظ لتفادي البدايات الصعبة كما حدث معه في أول مباراتين بهزيمتين أمام مانشستر سيتي وتشلسي، ولنا أن نتخيل لو بدأ الفريق بانتصارات مدوية في الأسابيع الأولى، مع المعنويات المرتفعة بالميركاتو الصيفي التاريخي بإنفاق أكثر من 100 مليون إسترليني، لاستعارة داني سيبايوس وشراء بيبي وتييرني ومارتينيلي وساليبا الذي سيبقى مع سانت اتيان لموسم آخر على سبيل الإعارة، في أسوأ الظروف سيكون نسخة كربونية من ليفربول قبل قدوم فان دايك، أي فريق شبه متكامل يحتاج قطعة ثابتة واحدة، يمكن العثور عليها لاحقا، لكنها في الغالب لن تعيقه عن المنافسة أو التواجد مع الثلاثة الأوائل لفترات طويلة. وبنفس نسبة تواجد آرسنال مع الثلاثة الأوائل أو بدرجة تزيد قليلاً، يأتي الجار اللدود، الذي أثبت بشكل عملي، أنه ليس بالضرورة أن تنفق الملايين لتحقق أهدافك، كما فعل الموسم الماضي بحصوله على المركز الرابع والوصول لنهائي الأبطال بدون أن ينفق ولو جنيه إسترليني واحد، لكن الجديد، أن المدرب الأرجنتيني ماوريسيو بوتشيتينو سيتسلح بطاقة لا تصدق في وسط الملعب، متمثلة في الفرنسي تانغي ندومبيلي، المتميز بدقة لمساته في الثلث الأخير من الملعب، رغم أنه لاعب وسط ارتكاز، ومؤكد سيعطي إضافة لا بأس بها لمشروع بوتشيتينو الذي ينضج وينمو موسما بعد الآخر، ولمّ لا يكون موسم 2019–2020 هو موسم جني الثمار على أحدث ملعب في العالم، إلا إذا لم يكرر هاري كاين أزمة كل موسم، بتعرضه لإصابة طويلة الأجل في أهم لحظات الموسم، وإذا سارت الأمور كما يخطط لها المدرب الأرجنتيني، بوصول المشروع الذي يضع أساسه منذ عام 2014، لقمة الانسجام والانفجار الكروي، سيكون أقوى وأبرز المرشحين ليكون المنافس الثالث لليفربول والسيتي على اللقب.

البطل المنتظر

صحيح من رابع المستحيلات التكهن ببطل الدوري بعد أول جولة، لكن بلغة العقل والمنطق، يمكن اعتبار ليفربول الفريق الوحيد الذي يملك ما يكفي من الشخصية للصمود أمام المرشح الأوفر حظًا للفوز باللقب، نعم سوق الريدز كان هادئا مقارنة بما كان عليه في صيف 2018، لكن على أرض الواقع لديه 3 من المرشحين لجائزة أفضل لاعب في العالم، وأيضا أفضل مدافع وحارس في العالم، بخلاف ذلك هو بطل دوري أبطال أوروبا، والفريق الوحيد في آخر عامين استطاع الوقوف في طريق الإعصار السماوي، وقبل أي شيء، هناك رغبة جامحة من أصغر مشجع حتى رئيس النادي لإنهاء عقدة البريميرليغ هذا الموسم، مع ذلك عزيزي مشجع ليفربول، لا يبدو فريقك الأوفر حظًا للفوز باللقب في العام الـ30 بدون دوري، باعتراف كلوب وفان دايك، فإن فترة التحضير لم تكن جيدة مثل الصيف الماضي، لعدم مشاركة جُل الدوليين في الجولة، خصوصا الأفارقة والبرازيليين، لارتباطهم مع منتخبات بلادهم باللعب في الكان وكوبا أمريكا، ما قد ينعكس على هؤلاء اللاعبين بشكل سلبي ويورطهم في إصابات عضلية في منتصف الموسم، وبصرف النظر عن هذه الأسباب، حتى لو استطاع فريق المدرب كلوب تكرار الصورة المذهلة التي كان عليها في موسم التتويج بالأبطال، سيبقى أيضا غواردیولا وكتيبته المرشحين رقم ا للاحتفاظ باللقب للموسم الثالث على التوالي والرابعة في آخر سبع سنوات، وهذا ما يريده الفيلسوف وكشف عنه في حوار قبل بداية الموسم، واصفا التركيز على دوري الأبطال بالمقامرة، حتى أنه قال: «الدوري الإنكليزي الأهم لنا هذا الموسم»، ربما لأنه يعرف أن الأبطال يلعب أحيانا بتاريخ الأندية كما لمح، ربما لأنها خطة الإدارة معه لزيادة غلة النادي من ألقاب الدوري، ربما. لكن واقعيا في وجود أسلحة من نوعية رياض محرز ورحيم ستيرلينغ ودافيد وبيرناردو سيلفا وكيفن دي بروين والجوهرة الجديدة رودري مع الأظهر الأساسية وبدائلهم سواء الوافد الجديد كانسيلو أو ووكر في اليمين وفي اليسار بنجامين ميندي والجديد أنجيلينو وفي الهجوم الهداف التاريخي سيرخيو أغويرو وأول من رواغ فان دايك منذ 65 مباراة غابرييل جيسوس، مع أفكار بيب الجديدة، سيكون من الصعب جدا تحريك درع الدوري من ملعب «الاتحاد» هذا الموسم، إلا إذا شاء القدر أن تنتهي عقدة ليفربول أو كان لأحد الكبار الأربعة الآخرين رأي آخر. والسؤال الآن لك عزيزي القارئ: هل تتفق معنا في توقعنا للبطل وترتيب الستة الأوائل؟ أم تتوقع سيناريوهات ومفاجآت أخرى في ترتيب الستة الكبار؟

كانسيلو يعتبر صفقة جيدة للسيتي

أكبر حدث رياضي في تاريخ قطر

بدء العد التنازلي لانطلاق بطولة العالم

الدوحة ـ «القدس العربي» من نورالدين قلالة:

مع بدء العد التنازلي لانطلاق بطولة العالم لألعاب القوى 2019 التي تستضيفها العاصمة القطرية الدوحة لأول مرة في منطقة الشرق الأوسط، من 27 سبتمبر/أيلول إلى 6 أكتوبر/تشرين الاول المقبلين، تتواصل آخر التحضيرات لنسخة البطولة السابعة عشرة باللجنة المحلية المنظمة للبطولة، التي تؤكد جاهزيتها التامة لاستضافة هذا الحدث العالمي الرياضي على استاد «خليفة الدولي» المونديالي الذي يتمتع بنظام التبريد المتطور والمستدام، كما تؤكد اللجنة أيضا على وجود خيارات عدة للتذاكر تسمح للمشجعين بمشاهدة منافسات البطولة بطرق جديدة ومبتكرة.

وكان موقع إقامة بطولة العالم لألعاب القوى 2019 في نسختها السابعة عشرة تقرر في العاصمة القطرية الدوحة، بعدما تم اختيارها من أصل ثلاث دول قدمت ملفات ترشيحها بداية من مدينة برشلونة في إسبانيا وصولا إلى مدينة يوجين الواقعة في ولاية أوريغون في الولايات المتحدة، بالإضافة لمدينة الدوحة التي اختيرت بتاريخ 18 نوفمبر/تشرين الثاني 2014 في الاجتماع الذي انعقد في مدينة موناكو. وساهم الحضور الجماهيري الكبير، والأداء القوي من أبطال وبطلات العالم، بالإضافة لتحطيم العديد من الأرقام القياسية في العديد من السباقات والمسابقات، أن تخرج النسخة العاشرة من جولة الدوحة للدوري الماسي لألعاب القوى بصورة مميزة أثبتت بها العاصمة القطرية جاهزيتها التامة لاستضافة بطولة العالم 2019 نهاية سبتمبر والتي تقام في ضيافة استاد «خليفة» الدولي لأول مرة في منطقة الشرق الأوسط.

أول ماراثون في منتصف الليل

ومن المقرر أن تشهد البطولة أول سباق ماراثون يقام في منتصف الليل على طول كورنيش الدوحة الخلاب، وكذلك أول سباق تتابع مختلط 4/400 متر لزيادة متعة التشجيع والوصول إلى أكبر عدد من الجمهور حول العالم. ويسعى الجميع في اللجنة المنظمة إلى بذل أقصى الجهود، والكل في الدوحة من مختلف شرائح المجتمع ومن شتى المجالات والجنسيات والخبرات، يعمل كفريق واحد لتنظيم نسخة استثنائية من بطولة العالم لألعاب القوى. وتترجم قطر على الصدارة في مجال تنظيم البطولات الرياضية الكبرى وفقا لأعلى المعايير، ومن أجل الحدث المقبل يشارك عشرات الآلاف من الأفراد من المتطوعين والشركاء والرعاة ومختلف الأفراد، كل في تخصصه، لتكون قطر على أتم الاستعداد لاستقبال عالم ألعاب القوى خلال البطولة الأكبر في العالم.

الصقر «فلاح» تميمة البطولة

لا أحد يريد تفويت الحدث، فالجميع متحمس له، والكل حريص على التقاط صور شخصية (سيلفي) مع «فلاح»، شخصية البطولة الذي اكتسب شعبية المشاهير ومحبة الصغار والكبار الذين التقطوا معه أكثر من 10.000 صورة سيلفي خلال زياراته لأبرز معالم قطر، ومقاهيها ومجمعاتها التجارية ومخيماتها الصيفية، وستحرص الجماهير القادمة من مختلف أنحاء العالم على أخذ صور السيلفي مع أبطالها من الرياضيين في استاد «خليفة» الدولي. وأشار الحساب الرسمي للبطولة عبر «تويتر»، إلى أن الصقر: «هو أفضل صديق لأنه مخلص وشجاع». وقال رئيس الاتحاد القطري لألعاب القوى دحلان الحمد إن «الصقر الجالية الكينية هنا لذا أمثل صوت الجالية في دعم تنظيم البطولة وضمان حضور جميع الكينيين إليها». ومن المتوقع أن يشهد استاد «خليفة» أجواء مفعمة بالحماس والطاقة الإيجابية بوجود الجماهير المشجعة من مختلف الجنسيات، وستحظى الجماهير بالتعرف على مختلف الثقافات قبيل دخولها الاستاد، حيث ستستقبلها قرية ألعاب القوى خارج الاستاد الذي عبر مديره علي حسن المنصوري، عن إعجابه بمدى التطور الذي وصل إليه منذ أن بدأ العمل به قبل 30 سنة بقوله: «ستكون البطولة الحدث الرياضي الأكبر الذي يستضيفه الاستاد، ونحن متحمسون جدا للبطولة وننتظرها بفارغ الصبر، سعيد جدا برؤية مدى التقدم الرياضي الذي وصلت إليه قطر». وستنبض قرية ألعاب القوى العالمية بمختلف الأنشطة والعروض الترفيهية الحية، كما ستتضمن أكشاكا للأطعمة والمشروبات من مختلف بلدان العالم، حيث ستفتح في الفترة المسائية طوال مدة البطولة، لتقدم للجماهير والمشجعين رحلة تثقيفية ترفيهية بامتياز.

من جانب آخر، تتكاتف جهود شركاء البطولة والجهات الراعية والجهات الأخرى كالمدارس، للترويج للبطولة والتعريف بها أكثر من خلال تنظيم الأنشطة والفعاليات المختلفة كتلك التي تقوم بها شركة اتصالات «أوريدو» في محالها التجارية، والمبادرات التي تقدمها الخطوط الجوية القطرية لتشجع الحضور الجماهيري. وبالنسبة لموزة خالد المهندي، مديرة المسؤولية المجتمعية والرعاة والإعلام في «أوريدو» فإن «استضافة بطولة العالم لألعاب القوى هنا في الدوحة شرف كبير لنا، ومشاركتنا لهذا الحدث الرياضي المهم حلم تحقق على أرض الواقع، متحمسة لتنظيم بطولة تعكس قدرة قطر في تنظيم بطولات رياضية تخلد في الذاكرة، قطر بلد مضياف ومرحب بالجميع، ويسعدنا أن نري العالم ما أنجزناه في دولتنا الجميلة». وتستفيد شريحة كبيرة من المقيمين بالمزايا والفرص التي توفرها ميزة العيش في قطر، أمثال ليز ماكولغان، الرياضية السابقة وصاحبة الميدالية الذهبية في بطولة العالم في طوكيو، حيث تتمتع بمكانة مرموقة على الصعيد الرياضي في قطر بفضل نادي الدوحة لألعاب القوى، الذي أسسته بهدف تطوير المواهب الواعدة من مختلف الأعمار، وتديره بمشاركة زوجها، وهي تعمل حاليا على تدريب ابنتها إيليش، وعن تجربتها تقول: «أحب الأطفال الذين أدربهم وقابلت العديد من الأفراد المميزين من مختلف الجنسيات في قطر منذ قدومي إليها قبل ست سنوات. تملك الدوحة مجموعة من أحدث المنشآت الرياضية على مستوى العالم، وأحب التراث والتاريخ العريقين اللذين تتمتع بهما قطر».

منافسات في الفترة المسائية فقط

أما بالنسبة لجدول المنافسات، فسيتخذ شكلا جديدا في هذه النسخة، حيث ستقام في الفترة المسائية فقط، بدلا من الفترتين الصباحية والمسائية، ما سيتيح الفرصة للضيوف والصحفيين والمشجعين المتوقع توافدهم إلى البطولة للتعرف على تاريخ وثقافة قطر، وهما جانبان مهمان للطيار القطري خالد عيسى الحمادي الذي سيشارك في الرحلات الجوية التي ستحمل المشجعين إلى الدوحة في سبتمبر المقبل: «كطيار، أكثر ما أحبه في قطر هو أنني أستطيع مشاهدة مدى التقدم الذي وصلت إليه البلاد في فترة قصيرة جدا من أعلى وأنا أحلق في السماء، لكنها ما زالت تحافظ على أصالتها وتاريخها وتقاليدها، فهناك العديد من المباني الجديدة التي تعكس ثقافتنا وتراثنا، ولم يؤثر هذا التطور الكبير على قيمنا، فما زالت عراقة الضيافة متأصلة فينا والتي يلحظها كل من يأتي إلى قطر». ولضمان أجواء مرحبة ومريحة للجميع من حول العالم، تتواصل اللجنة المحلية المنظمة مع أكثر من 100 ألف فرد من مختلف شرائح المجتمع، بدءا من المدارس وصولا إلى الشركاء، لتنظيم الفعاليات والأنشطة التفاعلية لدعم البطولة التي تتوافر تذاكرها حاليا بأسعار تبدأ من 60 ريالاً قطريا فقط (16.4 دولار).

وتشجع الشيخة أسماء آل ثاني، مديرة التسويق والاتصال باللجنة المحلية المنظمة، الجماهير على حضور البطولة كونها تعتبرها «أكبر حدث رياضي على الإطلاق سيقام في المنطقة»، حيث قالت: «أحث الجميع على حضور فعاليات البطولة حتى لا تفوتهم المنافسات والأجواء الرائعة. لقد شارك العديد من الأفراد من مختلف أنحاء الدولة بجهودهم للإعداد لهذه المناسبة، ويمكن مشاهدة ذلك ضمن حملة العد التنازلي على الحدث الذي سيجمع عالم ألعاب القوى في قطر. وبغض النظر عن البلد الذي تنتمي إليه، فهناك ما يربطك بثقافتك وبقطر، ويمكن لكل واحد فينا أن يساهم في تعريف العالم بما يمكن أن تقدمه قطر». فيما يقول مسؤول منطقة التدريب ناصر إبراهيم شهبيك: «الرياضيون سيتمتعون بأفضل مرافق التدريب في البطولة، والكل مستعد لاستقبال أبطال العالم في الدوحة»، مضيفا: «أنا متحمس كثيرا وكل شيء جاهز للرياضيين والمشجعين وأنا متأكد أن الجميع سيحب المكان هنا».

والأول من نوعه في الشرق الأوسط

لألعاب القوى «الدوحة 2019»

الى أي مدى يمكن ان يتحمل الريال أي اخفاق من زيدان؟

تبدو الأجواء قاتمة وسلبية داخل أسوار «سانتياغو بيرنابيو»، والتشاؤم يعم جميع أنصاره في مدريد وحول العالم، بعدما كان يفترض ان يكون هذا الصيف ناريا ومخيفاً للمنافسين من حجم الصفقات ونوعية النجوم الجدد.

نعم أنفق الريال أكثر من 300 مليون يورو على خمسة نجوم جدد، بينهم النجم البلجيكي ايدن هازارد وما زال يطارد المزيد، وهذا قد يكون كافيا لنشر التفاؤل بين أنصاره، لكن الواقع يقول شيئاً آخر، ان فقط هازارد من بين الخمسة قد يبدأ الموسم الجديد، فيما سيكون الأربعة الآخرون احتياطيين، وهم ميليتاو ورودريغو والمصابان يوكيفيتش وميندي، وكونه أخفق في التخلص من غاريث بيل وخاميس رودريغيز، فانه فشل في مساعيه في اضافة المزيد، وابرزهم النجم الفرنسي بول بوغبا، ما قاد الى بعض التوتر بين الرئيس فلورنتينو بيريز والمدرب زين الدين زيدان، الذي عاد الى النادي على خلفية وعود براقة، منها التحكم في كل ما يتعلق بالفريق وضم كل نجم يطلبه الاسطورة الفرنسية.

لكن ما حصل في الاسابيع الماضية، بل في الاسابيع الأخيرة من الموسم الماضي، عزز بعض الشكوك في قدرة زيدان على بناء فريق جديد، واعادة الروح الى المجموعة التي توج معها بثلاثة ألقاب دوري أبطال متتالية، فمنذ عودته الى الريال في الثلث الأخير من الموسم الماضي، فانه لم يترك أي أثر ايجابي يشير الى تحسن أو تطور، بعد تحقيق 5 انتصارات في 11 مباراة، لم يكترث اليها كثيرون، باعتبار ان لا لقب كان يصارع عليه الريال، ولا خشية من فقدان مركز مؤهل الى دوري الأبطال، لكن ما حدث خلال الفترة الاستعدادية في الاسابيع الماضية أصاب الكثيرين بالهول، فهزائم مستحقة أمام بايرن ميونيخ وتوتنهام، وكارثية أمام الجار أتلتيكو مدريد بسباعية، واستقبال شباكه 16 هدفاً في 6 مباريات، دقت أكثر من جرس انذار، رغم الفوز المعنوي الاخير على سالزبورغ، ليتساءل كثيرون ان كان فعلاً زيدان هو المدرب المناسب لهذه الفترة في مسيرة النادي المخيبة؟

في نهاية الشهر الماضي أجرت صحيفة «ماركا» ذائعة الصيت استطلاعاً بين أنصار الريال، حيث سألت 180 ألف مشجع ان كان زيدان هو المدرب المثالي للمشروع الجديد؟ فجاءت الاجابة الصادمة، ان 64% منهم قالوا «لا»، وفقط 36% قالوا نعم، أي ان نحو ثلثي جماهير الريال في مدريد، يساورهم الشك في قدرات لاعبهم ومدربهم الاسطوري. والأكثر دهشة في سؤال آخر اعتبر 34% منهم ان زيدان هو سبب الأزمة الحالية التي يمر فيها الفريق، فيما لام 33% منهم اللاعبين على الاخفاقات، و33% أيضاً لاموا سوء تخطيط الادارة.

اذاً الصورة باتت واضحة، فبيريز لا يملك شجرة ذهبية تدر مالا كي يلبي كل طلبات زيدان، رغم انه حصل على أكثر من ثلث ما دفعه في سوق الانتقالات، لكن يظل مشروع تطوير الاستاد هو الاساس، والذي قد يكلف نحو 600 مليون يورو. ولهذا تبدو يداه مكبلتين، ولا يتحمل أي اخفاق جديد في الموسم المقبل، لكن الى أي مدى باستطاعته أن يتحمل قبل أن يطلق رصاصة الرحمة على زيدان؟

طبعاً الأمر لن يتعلق برغبة بيريز في اقالة زيدان فقط، اذا ساءت الامور، لان المدرب الفرنسي نفسه قد يجد ان الاستقالة قد تكون أفضل الحلول لعلاج صداع الرأس الذي يزيد يومياً، مع مشكلة بيل وخاميس والاصابات الجديدة، بينها اصابة أسينسيو، والنتائج الكارثية في الوديات. لكن بيريز يدرك ان بداية سيئة في الدوري، بمعنى 3 خسارات في أول 10 مباريات، قد يتحملها، والتخلف بخمس نقاط خلف برشلونة قد تظل مقبولة في الثلث الأول من الموسم، لكن ليس خلف الجار أتلتيكو، والحسم لن يأتي قبل حلول فبراير المقبل، على اعتبار ان الريال سينجح في التأهل من مجموعته في دوري الأبطال، ويصارع الكبار في الادوار المتقدمة، واقلها الوصول الى الدور قبل النهائي، وعدا عن ذلك، فانه يدرك أن صديقه القديم البرتغالي جوزيه مورينيو ينتظر فرصة مثل هذه ليعيد الوهج الى سمعته ومسيرته، لكن قبل هذا سيحصل زيدان على فرصته الكاملة والعادلة في محاولة استعادة وهج الملكي واعادته الى سابق عهده.

@khaldounElcheik

الترجي وحسم مسألة

تونس وكذا الأهلي بدون مضايقات من أي طرف، وصفق لهما الجميع، فلماذا إذن لا يقبل أبناء الترجي بفوز الوداد بالكأس لو كان الأخير فعلا يستحق؟ فالمشكلة إذن، وبرأيهم في الوداد الذي عجز عن الفوز على الميدان بسبب قوة الترجي، فاعتقد أنه قادر على افتكاك الكأس بأحمد أحمد. لقد كان قرار المكتب التنفيذي للكاف الذي استأنفه الترجي لدى «الكاس» ظالما بكل المقاييس، فهل يعقل أن يلعب الوداد مباراة الذهاب على أرضه، وهي مباراة شهدت سيطرة الترجي، ويحرم النادي التونسي من لعب مباراة الإياب على أرضه وأمام جماهيره؟ وبعلة واهية هي غياب الأمن في تونس؟ وهل من المعقول أن يلغى ذلك الهدف الذي سجله نجم الترجي والمنتخب الجزائري يوسف البلايلي في مرمى الوداد والهب به جماهير ملعب رادس في مباراة الإياب؟ وبأي حق يحرم البلايلي من رقم قياسي مستحق يتمثل في الفوز بثلاث كؤوس إفريقية في موسم واحد، إثنان في دوري الأبطال مع الترجي وثالث هو كأس الأمم الإفريقية مع المنتخب الجزائري؟ وخلافا في مباراتي النهائي ولا طيلة التصفيات يجعله مستحقا لأمجد الكؤوس الإفريقية. ويشار إلى أن الجانب المغربي تحجج في البداية بعدم وجود تقنية «الفار» لحرمان الترجي من لقبه، وحين تبين ان هذا العذر كان واهيا وأن الإتحاد الإفريقي هو المسؤول على العطب في التقنية وليس الترجي، تم التحجج بعدم توافر شروط الأمن والسلامة في ملعب رادس. ويعلم القاصي و الداني أن تونس تحتضن باستمرار كبرى التظاهرات القارية والعالمية على مدى أيام في مختلف المجالات بنجاحات أمنية باهرة حتى في أحلك ظروف أزماتها السياسية، فما بالك بمباراة يتيمة وهي التي اعتادت أنديتها (تونس) على لعب الأدوار النهائية والفوز بالكؤوس الإفريقية.

ويؤكد مسؤولو الترجي باستمرار على أنهم خسروا في الماضي دورين نهائيين في تونس، واحدا ضد الرجاء المغربي بملعب المنزه، وآخر ضد الأهلي المصري في ملعب رادس، وقبل الترجي بالهزيمة بكل روح رياضية رغم أنه كان الأقوى على الورق والمرشح للفوز. وتسلم الرجاء كأسه في

تونس ـ «القدس العربي» من روعة قاسم:

كانت جماهير الترجي التونسي، كما المشرفون على شيخ الأندية التونسية، مثلما يسمى في أرض القرطاجيين، أن الإتحاد الإفريقي لكرة القدم لن ينصفهم في ما بات يعرف بـ«قضية نهائي دوري أبطال إفريقيا» الذي جمع ناديهم بالوداد البيضاوي المغربي. فالكل كان يخشى من العلاقة الإستثنائية بين المغاربة ورئيس الكاف المغاشي أحمد أحمد الذي يتهم أيضا بوقوفه وراء إقصاء المنتخب التونسي من نصف نهائي كأس أمم إفريقيا الأخيرة، خاصة أنه في خلاف حاد مع الاتحاد التونسي منذ مباراة الترجي والوداد.

لذلك لم يعل الترجيون في البداية على لجنة الإنضباط التابعة للكاف التي حول لها الإتحاد الإفريقي القضية بعدما نقضت المحكمة الرياضية (الكاس) قرار المكتب التنفيذي للاتحاد الإفريقي القاضي بإعادة المباراة على ملعب محايد. وعول الترجيون منذ البدء على الهياكل الدولية التي أكد أكثر من مسؤول أنها هي التي ستنصفهم بعدما باتت المصاهرات في الإتحاد الإفريقي سببا في حرمان بطل من لقبه ومنحه لآخر لم يقدم مردودا

اللقب القاري!

لما تبادر إلى الأذهان وما تم ترويجه، من أن سبب إلغاء هدف الوداد في رادس، كان وجود تسلل، فإن السبب الحقيقي هو وجود مخالفة على مدافع الترجي خارج منطقة الجزاء سابقة لعملية الهدف. كما أن الترجي حرم في تلك المباراة من ركلة جزاء واضحة أبعد من خلالها مدافع الوداد الكرة عن مرماه باستعمال اليد، و لم يحتج لاعبو الترجي باعتبار أن الحكم أعلم قائدهم مثلما أعلم قائد الوداد بأن هناك عطبا في جهاز «الفار» قبل بداية المباراة. هذا الحسم في مسألة اللقب الإفريقي الذي تم من لجنة النزاعات في الكاف والذي صدر لصالح الترجي، سيجعل شيخ الأندية التونسية يتغرغ للنسخة الجديدة من هذه الكأس، التي يطمح للفوز بها للمرة الثالثة على التوالي. فالنادي التونسي لديه مجموعة من اللاعبين يراها جل المحللين الأقوى مقارنة ببقية أندية القارة السمراء المشاركة في دوري الأبطال كما يرى هؤلاء أن الترجي قادر على السيطرة على الكرة الإفريقية لسنوات قادمة.

مجتمع

عين الحلوة مخيم البؤس والحرمان يبحث عن الاستقرار والأمان

بيروت – «القدس العربي»: عبد معروف

تأسس مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين عام 1948 من قبل اللجنة الدولية للصليب الأحمر بهدف إيواء اللاجئين من مدن وقرى شمال فلسطين، وكان عند تأسيسه وكما المخيمات الفلسطينية في لبنان، عبارة عن خيم اصطفت الواحدة إلى جانب الأخرى، ثم عملت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» بشكل تدريجي عام 1952 على استبدال الخيام بمساكن اسمنتية.

ويقع المخيم على بعد 3 كيلومترات جنوب شرق مدينة صيدا اللبنانية، وحوالي 45 كيلومترا جنوب بيروت، ويبلغ عدد سكانه أكثر من 100 ألف نسمة بعد أن لجأت إليه عشرات العائلات الفلسطينية النازحة من سوريا بسبب اندلاع الأحداث عام 2011.

ويعتبر عين الحلوة أكبر مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، من حيث المساحة وعدد السكان، ويطلق عليه اسم عاصمة الشتات، لكنه يفتقر للخدمات الصحية والاجتماعية والإنسانية، ويعيش سكانه في منازل تعاني الرطوبة والظلمة وضعف التهوية بسبب ضيق المساحة والتصاق بعضها ببعض، ويعاني سكان المخيم من الفقر والبطالة التي تزيد عن 90 في المئة بسبب عدم السماح للفلسطينيين بالعمل في معظم القطاعات المهنية، ما دفعهم إلى الاعتماد على أجور ضئيلة تدفع من قبل التنظيمات الفلسطينية وتحويلات الأقارب في الخارج.

وأكدت الأونروا على أن عدد من سكان مخيم عين الحلوة يعملون بشكل رئيسي كعمال عرضيين في مواقع الإنشاءات وبساتين الفاكهة، أو كعمال نظافة. وقالت إن هناك معدل تسرب عال من المدارس حيث يتم إجبار الطلبة في الغالب على ترك المدرسة من أجل إعالة أسرهم.

وتشير التقارير الصادرة عن اللجان الشعبية الفلسطينية ومنظمات المجتمع المدني العاملة في الوسط الفلسطيني، إلى أن نسبة البطالة داخل عين الحلوة تجاوزت 60 في المئة، وأن أكثر من 5 آلاف عائلة فقيرة داخل المخيم، منها أكثر من 1400 عائلة تجاوزت خط الفقر المدقع.

ويؤكد أحمد الشاويش رئيس اللقاء الشبابي اللبناني – الفلسطيني، لـ«القدس العربي» على أن عشرات الأطفال في المخيم يقتصر فطورهم على الخبز المغمس في الشاي، مشيرا إلى أن منظمات المجتمع المدني عملت على مدى الشهور الماضية على رصد الحالة الاجتماعية داخل المخيم بعد استفحالها ونفذت العديد من المقابلات والاستبيانات وخلصت إلى تكوين ملف أولي، مشيرا إلى أن من أبرز ما تضمنه الملف هو أن عشرات التلاميذ في مدارس الأونروا لا يحصلون على مصروف يومي وهذه حقيقة يسأل عنها المدرسون، فيما تذهب عائلات فلسطينية مستورة إلى أسواق صيدا بشكل يومي لجمع بقايا الخضار والفواكه «وهو ما يمكن لمن يرغب التحقق منه بزيارة ميدانية يومية عصر كل يوم إلى الأسواق» وقال إن «هذه المؤشرات غيض من فيض».

ورأت مؤسسة «شاهد» لحقوق الإنسان في تقرير تحت عنوان «الوجه الإنساني لمخيم عين الحلوة» أن المخيم أصبح عنواناً للبؤس والحرمان. واعتبرت المؤسسة الحقوقية أن مخيم عين الحلوة يشكل امتداداً عمرانياً متصلاً مع مدينة صيدا اللبنانية، وأشارت إلى أن مساحته لا تتجاوز كيلومتر مربع واحد فيه كل مقومات الحياة المدنية من مراكز تربوية وطبية واجتماعية. وأضافت أن التحدي الأول الذي يواجه سكان المخيم هو الزيادة السكانية، إذ يصل معدل عدد أفراد العائلة فيه الى خمسة، أما معدل عدد الغرف في المنزل الواحد فهو ثلاث، وأكدت على أن السكان يعيشون واقعاً إنسانياً مزرياً في بقعة جغرافية صغيرة.

وفي رأي «شاهد» فإن الحكومة اللبنانية تتعامل مع موضوع الفلسطينيين من منطلق أمني يولد حالة غضب لدى السكان. في حين تقدّم الأجهزة الأمنية أسباباً كثيرة لتبرير إجراءاتها، لكن سكان المخيم يدفعون ثمناً باهظاً لذلك. والمطلوب استناداً إلى التقرير «أنسنة الإجراءات الأمنية» ودعت «شاهد» في تقريرها، السلطات اللبنانية إلى عدم التضييق على سكان المخيم وتغليب الجوانب الإنسانية دائما، والعمل على الملفات الأمنية بالتعاون مع المرجعيات الفلسطينية داخل المخيم.

ولوحظ أن صعوبة الأوضاع داخل المخيم دفعت باللاجئين الفلسطينيين للبحث عن حلول يائسة للهجرة نحو أوروبا، ما جعلهم فريسة سهلة لمهربي البشر، الذين يقومون بالاستيلاء على مبالغ ضخمة قدمت لهم بعد بيع منازلهم وما تحتويه من أثاث، والتسبب في موت الكثيرين منهم غرقا في البحر.

وتتعاطى الحكومة اللبنانية مع موضوع الفلسطينيين من منطلق أمني، فالفلسطيني في مخيم عين الحلوة موضع شبهة، وحواجز التفتيش والتدقيق على كل مداخل المخيم تولد حالة غضب لدى السكان، وتقدّم الأجهزة الأمنية أسباباً كثيرة لتبرير إجراءاتها، لكن سكان المخيم ليسوا كلهم مطلوبين للقضاء اللبناني وللأجهزة الأمنية، فليس من المعقول أن تستمر الإجراءات المشددة لفترات طويلة.

وفي رأي الفصائل الفلسطينية فإن القوانين التي تنظم حالات الطوارئ تحدد شروطاً لذلك، أهمها عامل الوقت، وزوال الأسباب. لذلك فإن التعاطي الأمني بالمطلق مع المخيم له آثار سلبية على السكان، فالضغط النفسي يولّد الكبت لدى الأهالي ويزيد من مشاكلهم وأعبائهم. لذلك كررت مطالبتها الدائمة المطلوب بأنسنة الإجراءات بحيث تقوم الأجهزة الأمنية بعملها مقابل مراعاة الحاجات الإنسانية وأن تكون الإجراءات موجهة للمستهدفين فقط.

ولا يكاد يمر يوم إلا ويشهد المخيم حادثا أمنيا أو انفجار عبوة ناسفة أو عملية اغتيال أو اشتباكا مسلحا، إلى درجة أنها أصبحت من طبيعة الحياة في المخيم، رغم تأكيد قيادات الفصائل الفلسطينية أن الوضع الأمني داخل المخيم متماسك وأن الأحداث التي تتكرر بشكل شبه يومي لن تتحول إلى اشتباكات واسعة.

وحسب الناشط الاجتماعي الفلسطيني الدكتور ناصر السيد، فإن في مخيم عين الحلوة، مسلحون من كافة الفصائل الفلسطينية بتوجهاتها الفكرية المختلفة ولكل منها له مربعه الأمني الخاص به، واعتبر ان حركة فتح هي الأقوى نفوذاً وتسليحا بسبب سيطرتها وقدرتها العسكرية، وقيادتها لقوات الأمن الوطني التي شكلت من عدة فصائل وهدفها ضبط الأوضاع والاشكالات الأمنية داخل عين الحلوة.

ويرى أن بعض التيارات في المخيم دخلت في صراع مع الدولة اللبنانية وتحاول أحيانا تمرير أجندتها الخاصة، كما أن بعض التيارات الدينية «المتشددة» غير الفلسطينية تحاول هي الأخرى الاستفادة من الخيمات وتستخدمها ملاذا آمنا أو نقطة انطلاق لتحقيق مآربها، وهو ما قد يستخدمه بعض الفصائل الفلسطينية المسيطرة على المخيم ورقة مساومة مع الحكومة اللبنانية.

وبرزت على ساحة مخيم عين الحلوة في السنوات الأخيرة أسماء مجموعة من التنظيمات الغامضة في ظروف نشأتها ودوافع تأسيسها وأهدافها، والتي سيطرت أحيانا على مناطقة معينة من المخيم.

قائد قوات الأمن الوطني الفلسطيني في لبنان اللواء صبحي أبو عرب أكد لـ«القدس العربي» أن مجموعات مسلحة دخلت المخيم خلال السنوات الماضية، من خارج النسيج الوطني الفلسطيني، لافتا إلى أن هذه المجموعات تعمل بين الفترة والأخرى على توتير الأجواء داخل المخيم، وهي مرتبطة بقوى ودول خارجية هدفها تشويه قضية اللاجئين وتحويل المخيمات الفلسطينية في لبنان إلى بؤر توتر، ما يجعل قضايا اللاجئين معقدة.

وقال اللواء أبو عرب أن قوات الأمن الوطني الفلسطيني التي شكلت من الفصائل الفلسطينية، قادرة على ضبط الأوضاع الأمنية داخل مخيم عين الحلوة، مشددا على أن الوضع الأمني في تحسن ملحوظ بالتنسيق والتعاون مع كافة الفصائل ومع السلطات الأمنية اللبنانية. وأضاف أن أحداثا أمنية تندلع بين الفترة والأخرى بين المسلحين داخل مخيم عين الحلوة، إلا أن هذه الأحداث تبقى محدودة ومضبوطة ولفترة محددة، لافتا إلى أن هناك معالجات دائمة لمثل هذه التفجيرات وأن قيادة الفصائل الفلسطينية تشكل الداعم لقوات الأمن الوطني الفلسطيني المكلفة بحماية المخيم والمحافظة على أمنه واستقراره.

وشدد على ضرورة وضع حد للتوترات والاشتباكات الأمنية التي يشهدها عين الحلوة بين الفترة والأخرى، مضيفا «كفى اللاجئين الفلسطينيين عذابا وقهرا وحرمانا حتى من أبسط حقوق الإنسان» وقال رغم الخلاف السياسي مع حركة حماس، لكن «أستطيع التأكيد أن لا اشتباكات ولا صراعات مسلحة ستكون بين فتح وحماس داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان. الفلسطينيون في لبنان ضيوف، ويلتزمون بالقوانين المرعية».

أن واقع الحياة داخل مخيم عين الحلوة ينذر بكارثة إنسانية ليس من السهل تحديد ملامحها اليوم، لكن الفقر والحرمان وحالة الفوضى التي تسيطر على المخيم إلى جانب التوترات والاشتباكات الأمنية وموجة الاغتيالات، تشير إلى واقع صعب ومستقبل غامض.

معمول بالفستق والجوز

المقادير

كيلو سميد
نصف كيلو زبدة أو سمنة
ظرف فانيليا
كأس ماء دافئ
ملعقة كبيرة محلب
ملعقتان كبار سكر بودرة

طريقة التحضير

في وعاء عميق نضع جميع المكونات الجافة مع بعضها السميد والفانيليا والسكر البودرة والمحلب.

نذيب الزبدة في قدر ثم نضعها بعد ان نصفيها على السميد ولا ندعك ولا نعجن فقط نفرك باليد، ثم نضيف كأس الماء الدافئ ونستمر بالفرك بالأصابع حتى تتشرب حبات السميد السوائل.

نغطي العجين ونتركه 6 ساعات أو أكثر.

الحشوات

حشوة الفستق الحلبي: نحمص الفستق مع ملعقة زبدة ثم نضع مع الفستق ماء زهر وسكر بودرة ومعلقتين كبار قطر سميك وظرف فانيليا ثم نحرك. يمكن ترك حبات الفستق الحلبي كما هي أو طحنها.

حشوة الجوز: نفرم الجوز إلى قطع صغيرة ثم نحمصها مع ملعقة كبيرة زبدة ونضيف إليها سكر بودرة وماء زهر وظرف فانيليا وملعقتين كبار قطر سميك ورشة قرفة وتحرك.

بعد ما ارتاحت العجينة نقسمها نصفين، نصف نحشيها حشوة الفستق والنصف الثاني نحشيها بالجوز ثم ندق بالقوالب حتى تتزين القطع.

ندهن قاع الصينية ونرتب فيها قطع المعمول ثم ندخلها للفرن المسخن على درجة 200 تقريباً حتى تشقر ويتحمر قطع المعمول.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الصبار

يعود استخدام الصبار لآلاف السنين. ورغم ظهور أعشاب طبية كثيرة استخدمت للتداوي، إلا أن الصبار ما زال واحداً من بين عدد قليل من النباتات القديمة التي ما تزال تستخدم في صناعة الأدوية ومستحضرات التجميل لأسباب مختلفة.

استخدام الصبار، أو «الألوفيرا» ليس جديداً، بل يعود إلى آلاف السنين. فرسم نبات الصبار محفور على جدران معابد المصريين القدماء، إذ كان من النباتات المقدسة لديهم. وتعود أهمية «الألوفيرا» إلى فوائده العلاجية المتعددة، فضلاً عن دوره الفعال في الحصول على بشرة ناعمة ونضرة. كما يستخدم الصبار في الطب التقليدي لعلاج آلام المغص والإمساك والالتهابات، بالإضافة إلى تطييب الجروح أيضاً. وحتى الآن، يعد الصبار واحداً من بين عدد قليل من النباتات التي لا تزال تستخدم في صناعة الأدوية ومستحضرات التجميل والصناعات الغذائية. موقع «غيزوندهايت» الألماني استعرض خمسة أسباب تدفعنا لاستخدام هذه النبتة.

التئام الجروح: كثيراً ما تحدثت الموسوعات الطبية القديمة عن استخدام الصبار «الألوفيرا» لتهدئة الحروق وتعزيز شفاء الجروح، وهو أكده مؤخراً الكثير من الدراسات الحديثة، إذ تبين أن الصبار يسرع التئام الجروح ويعزز نمو خلايا جديدة. كما يحتوي الصبار على عنصر مضاد للجراثيم. وأظهر تقرير صدر مؤخراً أن استخدام الصبار بعد تدخل جراحي يساعد على التئام الجروح أسرع.

الهضم: يتميز الصبار بأنه يحتوي على عدد كبير من الأحماض الأمينية والإنزيمات والمعادن والفيتامينات المشابهة في تكوينها لتلك الموجودة في جسم الإنسان أكثر من أي نبتة أخرى. هذه المواد تعزز قدرة الصبار على تخليص الأمعاء من فضلات الطعام. فمن يعاني من مشاكل الإمساك، ينصحه خبراء الصحة بتناول عصير الصبار بشكل منتظم. كما أن تناول الصبار يقلل من أعراض التهاب القولون والمعدة.

التهاب المفاصل: يحفز الصبار جهاز المناعة لأنه مضاد قوي للالتهاب وقادر على تسكين الآلام. التهاب المفاصل الروماتويدي من الأمراض المزمنة، وعند الإصابة به يقوم جهاز المناعة بمهاجمة المفاصل، ما يؤدي إلى تصلبها وتورمها وحدوث آلام شديدة. ولعلاج هذه الآلام، غالباً ما تستخدم حقن الكورتيزون والأدوية المضادة للالتهابات غير الستيرويدية، التي يمكنها التقليل من أعراض التهاب المفاصل ولكن لا يمكنها إصلاح الأنسجة التالفة، فضلاً عن آثارها الجانبية، بينما يتميز الصبار بقدرته الفعالة على تجديد الخلايا، ما يجعلها علاجاً رائعاً لأولئك الذين يعانون من التهاب المفاصل المؤلم. ويمكن تناول الصبار على شكل كبسولات أو دهنه موضعياً.

السرطان: في كل عام، يموت أكثر من 12 مليون شخص بسبب السرطان. لكن دراسة جديدة أجريت على الفئران أكدت أن مزيج العسل والصبار يساعد كثيراً على الوقاية من السرطان. فالصبار يحتوي على مواد سكرية يمكن أن تقلل من كتلة الورم، بينما يحول العسل دون نمو الخلايا السرطانية. كما أكدت دراسة إيطالية حديثة أن استخدام الصبار أثناء العلاج الكيميائي لمرضى السرطان أكثر فعالية من العلاج الكيميائي بمفرده، فهو يحسن نوعية الحياة لدى المريض وآثاره الجانبية أقل.

لتقوية جهاز المناعة: يعاني الكثيرون من مشكلة جهاز المناعة « المجهد»، ويعود ذلك إلى أسلوب التغذية غير الصحي فضلاً عن ضغوطات الحياة، وهو ما يؤثر سلباً على جهاز المناعة. لكن السكريات الموجودة في عصير الألوفيرا تحفز خلايا الدم البيضاء وتحسن أداءها للقيام بمكافحة الفيروسات. كما تحتوي الألوفيرا على مواد مضادة للأكسدة تساعد جهاز المناعة على طرد العناصر الحرة.

(DW)

الحمل
مشروع ناجح يكون ثمرة جهدك المتواصل

الثور
تعرف اتصالات مهمّة تتعلّق بعمل جديد

الجوزاء
عليك أن تعرف إلى أين ذاهب في علاقتك مع الشريك

السرطان
تمر بيوم متشنج ينعكس توتراً شديداً في الأعصاب

الاسد
تتلقى أخباراً جيدة أو تعرف حظاً سعيداً في مجالك

العذراء
الأيام المقبلة قد تكون استثنائية في حياتك

الميزان
احذر الرد الفوري قبل استيعاب الأسباب

العقرب
البحث في دفاتر الماضي يسبب لك المشاكل

القوس
عوارض بسيطة سببها القلق

الجدي
لا تتدخل في شؤون الآخرين

الدلو
لا تثر المشاكل، حتى لو تعرضت لاستفزازات

الحوت
خفف من الأعمال غير المجدية

جديد الطب

النظام الغذائي منخفض الكربوهيدرات وغني بالبروتين مفيد لمرضى السكري

أفادت دراسة دنماركية حديثة، بأن عدم الإكثار من تناول الأغذية الغنية بالكربوهيدرات، وزيادة تناول البروتينات، يحسن قدرة مرضى السكري من النوع الثاني، على تنظيم نسبة السكر في الدم.

الدراسة أجراها باحثون بجامعتي كوبنهاغن وآرهوس في الدنمارك، ونشروا نتائجها، في العدد الأخير من دورية (Diabetologia) العلمية.

وأوضح الباحثون أن أحد الجوانب الرئيسية في علاج مرض السكري من النوع الثاني يتمثل في قدرة المريض على تنظيم مستويات السكر في الدم.

وأجرى الفريق دراسته لاكتشاف فاعلية اتباع نظام غذائي يحتوي على نسبة منخفضة من الكربوهيدرات، مقابل زيادة نسبة البروتين لتحسين الحالة الصحية لمرضى السكري.

وشارك في الدراسة 28 مريضًا يعانون من مرض السكري من النوع الثاني، على مدى فترة 12 أسبوعًا. وفي الأسابيع الستة الأولى تم إعطاء المرضى نظامًا غذائيًا تقليديًا يحتوي على نسبة عالية من الكربوهيدرات، فيما تم على مدار الأسابيع الستة الأخرى اعتماد نظام غذائي يحتوي على نسبة منخفضة من الكربوهيدرات، ونسبة مرتفعة من البروتين، والدهون.

ووجد الباحثون أن تغذية مرضى السكري بنظام غذائي منخفض الكربوهيدرات، وغني بالبروتين، ساعد على تحسين حالتهم الصحية، وخاصة قدرة المريض على تنظيم مستويات السكر في الدم.

كما وجدوا أن اتباع نظام غذائي يحتوي على نسبة منخفضة من الكربوهيدرات وغني بالبروتين يقلل من محتوى الدهون في الكبد، كما أنه مفيد لمرضى السكري حتى لو لم يؤد ذلك إلى فقدان الوزن.

وتتواجد الكربوهيدرات بكثرة في الخضراوات الغنية بالنشا، مثل البطاطا والذرة، والحبوب ومنتجاتها مثل الخبز، وجميع الحلويات والمخبوزات المُصنعة.

فيما تتوفر البروتينات في الأطعمة التي نتناولها يومياً بنسبٍ مختلفة، كما تتوزع في مصادر الغذاء الحيوانية ومصادر الغذاء النباتية.

وتشمل البروتينات الحيوانية اللحوم الحمراء، والدجاج والسمك والبيض والحليب ومشتقاته كالجبن، واللبنة، والأجبان بأنواعها.

أما البروتينات النباتية فتتوافر في البقوليات مثل الفاصوليا البيضاء، والفاصوليا السوداء، والعدس، والبازلاء، والحمص، وفول الصويا، والفول والترمس.

ووفقا للمنظمة الصحة العالمية، فإن السكري من النوع الثاني يظهر جرّاء فرط الوزن وقلّة النشاط البدني، ومع مرور الوقت، يمكن للمستويات المرتفعة من السكر في الدم، أن تزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب، والعمى، والأعصاب والفشل الكلوي.

في المقابل، تحدث الإصابة بالنوع الأول من السكري عند قيام النظام المناعي في الجسم بتدمير الخلايا التي تتحكم في مستويات السكر في الدم، وتكون معظمها بين الأطفال. (الأناضول)

سلامة أضاحي العيد وجودتها ومخاطر الذبح خارج المسالخ

وجدان الربيعي

ذبح الأضحية أمام «عتبة الدار» عادة متأصلة لدى الكثيرين في الدول الإسلامية والعربية ومعتقدات انها تبارك المكان وتجلب الخير لأهلها. ويرى البعض أن هذه العادة أفضل من زحام المسالخ في صبيحة العيد، ويعمل على شراء الأضحية قبل العيد بأيام وحملها إلى البيت حيث يتم علفها وتسمينها استعدادا للذبح.

وعلى الرغم من كل الدعوات الإعلامية والتوعوية لخطورة الذبح العشوائي على البيئة والبيئة وضرورة اللجوء إلى المسالخ المعتمدة والمزودة بمعدات السلامة اللازمة للذبح والتخزين والنقل والكادر الطبي البيطري والمختصين، إلا أنه ما زال هناك من يتمسك بالذبح العشوائي من دون مراعاة ما قد ينجم عن ذلك من تهديد للسلامة العامة.

الدكتور يونس رمضان التيناز الخبير في الصحة العامة في لندن قدم لقراء «القدس العربي» نصائح وارشادات مهمة تتعلق بسلامة الأضحية والممارسات الصحية للتعامل مع الذبائح والحلول المقترحة للحد من أضرار التسمم الغذائي في عيد الأضحى المبارك حيث قال:

«أكثر من 178 مرضا انتشر في العالم معظمها بواسطة اللحوم ومشتقاتها حيث تلعب دورا كبيرا في نقل هذه الأمراض. وعندما نتحدث عن سلامة الأضحية فللأسف في بلادنا بعض الجهات لا تجيد الذبح ولا تهتم بالرأفة بالحيوان وسلامته قبل الذبح، والحيوانات تعامل اليوم بوحشية قبل الذبح وعند النقل وفي المزرعة، بينما الإسلام منذ القدم اهتم بالرأفة بالحيوان وسلامته.

هناك أمراض مشتركة بين الإنسان والحيوان ومنها ما ينتقل من الإنسان إلى الحيوان كالسل، وأخرى تنقل من الحيوان للإنسان مثل بكتيريا وفيروسات عديدة وتسبب مشاكل صحية جادة، وخير مثال على ذلك مرض جنون البقر في بريطانيا وأوروبا وغيرها والحمى القلاعية وإنفلونزا الطيور».

وأضاف: «المواشي المراد ذبحها يجب ان لا تكون مريضة، وعند نقلها إلى السوق لابد ان تكون تحت إشراف طبيب بيطري لحماية الحيوان والإنسان والبيئة ومنع تفشي الأمراض.

في بريطانيا مثلا لا يمكن نقل حيوان من المزرعة إلى السوق إلا بجواز مرور حتى يعرف تحركه وعمره ومصدره، بينما في بعض الدول العربية تحرك الحيوان ليس عليه قيد ولا شرط ولا رقابة وتحاول دول عربية أخرى ان تعمل بالمقلب لتجنب هذه المشكلة».

وتابع: «نحتاج إلى ثورة في وعي الصحة العامة وهي مسؤولية الكل، المزارع والتاجر والصانع، لكن تطبيق القوانين هي مسؤولية الدول، والإعلام مسؤوليته كبيرة في توعية الناس.

لدينا لحوم فاسدة وطعام فاسد يدخل السلسلة الغذائية ويسبب في أمراض فتاكة. ومن هذه المنطلقات ينبغي تجنب الذبح خارج المسالخ لأنها تسبب أمراضا كثيرة ومعدية».

ارشادات صحية

وبالنسبة للتعامل مع الحيوان قبل الذبح فيقول د. التيناز: «الارشادات تتم من خلال التأكد من عمر الحيوان وخلوه من العيوب الشرعية ومن الأعراض المرضية والتي تتم معرفتها بواسطة طبيب بيطري. ولو لم يتوفر البيطري فيجب الانتباه لو وجد انتفاخ في الوجه أو في العيون وبعض التغيرات كسوائل تخرج من فم الحيوان وهذا يعني انه غير سليم ولا يمكن ذبحه.

هذا بالنسبة للأضاحي في الدول العربية والإسلامية أما في الغرب فيتم التعامل معها بموجب قوانين البلد».

ونصح بعدم اجهاد الحيوان خلال عملية نقله إلى المسلخ من السوق فذلك سوف يؤدي إلى تغيير جودة اللحوم من ناحية الطعم واللون حيث يتغير إلى الأحمر الداكن.

وأشار في حديثه إلى ضرورة اتباع طريقة الذبح الشرعية بحيث لا نجعل الحيوان يرى السكين قبل ذبحه، ويجب الرأفة به.

وعن مخاطر الذبح العشوائي قال: «هناك للأسف بعض الناس يضعون القدم على رقبة الحيوان يخنقوه ولا يستعملون سكينا حادا وهذا يعرضه إلى الخنق.

والمشكلة في الذبح أمام المنازل انه يتسبب في انتقال الصدر والغضلات عبر المجاري ويكثر في هذه الحالة الذباب الذي يتجمع مسببا تلوثا بيئيا وينقل أمراض مثل التهاب الكبد الوبائي أو شلل الأطفال والحمة التيفوئيدية وغيرها.

وأكد على ضرورة الذبح في المسالخ المخصصة وانه لابد ان تنقل اللحوم في سيارات مبردة لأن الحر يتلفها ويتسبب في التسمم الغذائي. كما حذر من عدم وضع اللحوم في أكياس بلاستيك تلوثها وتحديدا أكياس القمامة السوداء التي فيها كيميائيات تلوث اللحوم، بل يفضل تغطيتها بقماش نظيف مخصص للأطعمة، وتوضع في الثلاجة على 4 درجات مئوي لا أكثر، في أكياس مخصصة للطعام لم يسبق استعمالها. وفي حال تجميدها لابد من التأكد أن المجمدة درجة حرارتها ناقص 18 تحت الصفر.

وتابع: «مفروض يمنع ذبح الأضحية إلا بكشف الطبيب البيطري، ومعه مفتش اللحوم وبعد الموافقة على الذبح يتم الكشف عليها مرة أخرى من قبل مفتش اللحوم وعندما يتأكد انه لا توجد أورام أو فيروسات فيتم الذبح، ولابد من الانتباه إلى اللون والطعم والرائحة والاصفرار واللون الداكن.

ومن واجبات الدولة ان تضع رقابة على الأسواق وتوفر مسالخ مجهزة طبيا».

وفي سؤال عن تجنب التسمم الغذائي في عيد الأضحى قال د. التيناز: «الطعام الملوث منتشر بشكل مخيف والإكثار من أكل الحلويات والمشروبات الغازية بالإضافة إلى مصادر الطعام الملوث خارج المنزل، خاصة في موسم الأعياد فلابد من الحذر من طبيعة طهي اللحوم في المطاعم والطعام المكشوف والتأكد من سلامة ونظافة المكان والعاملين وهذا من شأنه ان يجعل الناس تستمتع بالعيد بدون التسمم الغذائي، كما وأن هناك من اللحوم تدخل الأسواق والمتاجر والمطاعم على أساس أنها حلال وهنا يتم خداع المستهلك من دون أن يدري».

منوعات

«نورهان» درس في حياة غنية وعصارة تجربة خصبة

مي قاسم: جدتي اعتزلت الفن وثابرت على متابعة كل جديد بعين ناقدة

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

بعد فيلم «نورهان» تستعد المخرجة مي قاسم لتقديم فيلم روائي طويل بطلته امرأة تعيش في عالم تنهشه الحروب. ربما لا تكون المهمة مستحيلة ففي الواقع الحروب تلفنا، وأثرها دائما أشد قسوة على النساء.

مي قاسم المتخصصة في كتابة السيناريو، والشغوفة بالرسوم المتحركة كوسيلة تعبير سجلت نجاحاً في فيلم «نورهان» الوثائقي. هو فيلم عن جدتها التي تركت عالم الشهرة وهي في أوجها. قدمت قاسم للمشاهد تجربة امرأة مغنية، ممثلة وأم. الجدة «خيرية» واعية ذكية وفطينة في إدارة حياتها في كافة مراحلها. ويمكن وصف الفيلم بعصارة تجربة خصبة ومفيدة.

معها هذا الحوار:

○ كيف تختصرين شخصية نورهان صاحبة الشهرة التي طوت الصفحة بقرار صارم وعادت لخيرية؟

●يمتد الفيلم لساعة و12 دقيقة، واختصار شخصيتها بأقل من ذلك صعب. لو أردنا وصف نورهان فهي شخصية متعددة الجهات، وعلاقتي العاطفية بها شكلت جزءاً واضحاً في الفيلم. نورهان ليست امرأة قوية وذكية ولديها حضور وفنانة عظيمة فقط، بل هي كذلك إنسانة معطاءة وحنونة. حنانها كجدة كبير، وأظن أن هذا الحنان كان جزءاً من علاقتها مع الجمهور. وهذا ما ورد خلال قراءتي لحياتها في الفن وعلى المسرح.

○ نورهان درس في الحياة، فماذا قال لك؟

●في الفيلم أكثر من محطة شكلت فيها نورهان مدرسة. منها طريقة فهمها للحياة وتعاطيها معها. أتحدث عن ما يفوق الـ40 سنة من العلاقة مع جدتي وفيها الكثير من المحطات. وكل من يتابع الفيلم يمكنه أن يتأثر بما هو مناسب له. فقد وصلتني ردود أفعال من نساء فنانات كانت لهن محطات مع الفن، منهن من قررت وضع نقطة على سطر الفن في حياتهن بهدف بناء عائلة. بعض هؤلاء كنّ في صراع ذاتي حول القرار بوقف أو متابعة الفن. بعد مشاهدة الفيلم كانت لهن ردة فعل قوية ومؤثرة. نعم سرد الفيلم حياة امرأة فنانة في زمن الأربعينيات والخمسينيات، وفي المقابل كان هناك كم من العقبات تواجهها كامرأة تقوم على تنشئة طفل بمفردها، وهي فنانة. في رأيي الأسئلة عينها لا تزال مطروحة في زمننا هذا، بل لا تزال من الأسئلة المهمة.

○ هل حدثت مفاجآت خلال التصوير، وهل اكتشفت ما كنت تجهلينه لدى جدتك؟

●حصلت الكثير من المفاجآت بدون شك. هي لحظات صغيرة كنا نتوقف عندها معاً ولم تكن هناك ضرورة لأن ترد في الفيلم.

○ ماذا ورثت من جينات جدتك؟

●علمياً نحن نرث من الجينات أكثر بكثير مما نعرف. لا تقتصر الجينات على الشكل الفيزيائي. نرث كذلك الخبرة والمعلومات ويصلنا من أهل أبعد من أقارب الدرجة الأولى. من الصعب تحديد الإرث الجيني. ولكوني عشت وكبرت قرب جدتي مرّ بيننا شعاع معد هو الشغف، حب الحياة، الموسيقى، الفنّ، المزاج وحتى حب الطبخ.

○ هل تمنيت وراثة أمر محدد من جدتك هو ليس لك الآن؟

●لا أعتقد ذلك. أنظر جيداً لما أخذته منها وما أنا عليه كشخص لأحدد الفرق تماماً بيننا كفردين، وكطموح ورؤيا. رؤية جدتي عن الحياة أغنتني كثيراً، ويبقى لي حيزي الخاص وأسلوبي في التعاطي مع هذه الحياة.

○ لماذا طال زمن الفيلم فقد بدأته في 2008؟

●حينها كنت ما أزال في نيويورك، زرت جدتي صيفاً وسجلنا معاً لساعة على شرفة المنزل الجبلي. أعلنت تعبها. في اليوم التالي كان تسجيل آخر، وسافرت. عدت في 2009، لمتابعة التصوير الذي استغرق وقتاً، فجدتي ليست على الدوام في مزاج جاهز للتصوير. كما أني شخصياً لم أكن أدرك مسار الفيلم، وهذا ما اتضح لي بالتدريج بعد مزيد من التعمق في شخصية جدتي. عندها أقلع الفيلم بالشكل المطلوب. فقد صورت معها 26 ساعة من الحوار خلال خمس سنوات. ما صورته ليس فقط عن جدتي، بل عن عاصرتهم كذلك، منهم محمد عبد الوهاب، محمد عبد الكريم، محمد عبد المطلب، تحية كاريوكا، بديعة مصابني، أمال العريس وجميع من عاشت معهم تجارب فنية، وهؤلاء في إمكاني أن أخبر قصصهم من خلال جدتي، فقد ربطتها بهم صداقة وليس أي شيء آخر. نورهان اعتزلت الفن لكنها تابعت كل جديد من حولها. فهي تتميز بنظرة فريدة عن مسار كل فيلم تتابعه. لهذا قررت التوقف عند كل نقطة تتيح لي التوسع.

○ وهل كانت لك جرأة الاختصار؟

●نعم في النهاية يجب تحديد الأهم، وكذلك عرفت لماذا أخبر قصة نورهان جدتي. وهذا ما توصلت له بعد سلسلة أحاديث مع أصدقاء وفنانين وكتاب.

○ منحت هذا الوثائقي نسقاً حيوياً مشوقاً عبر سبل تنفيذ متعددة، هل لأنه فيلم شخصي وخاص كما وصفته؟

●فيلم «يوميات حراك» عن حراك سنة 2015 بخصوص النفايات عرض في مركز «مواطنون ومواطنات» وحصل بعده نقاش غني. في كل عمل أقدمه العامل الشخصي موجود بدون شك، فلست بصدد تقديم ريبورتاج. الوثائقي في رأيي يحمل على الدوام وجهة نظر شخصية، فيما يعرض الريبورتاج وقائع محددة. كذلك في أفلامي الوثائقية بعض من رواية.

○ كيف يستقبل الجمهور عملاً شخصياً خاصة الجيل الجديد الذي لا تروق له أغنيات الزمن الجميل؟

●أعتقد أن ذلك يتم بسهولة. فصوت نورهان وموسيقى ذاك الزمن وكذلك كلمات الأغنيات تمس المشاعر. ولا ننسى شخصيتها وحميمية حضورها. نحن نحتاج من يتحدث بهذه الصراحة.

○ كانت للفيلم مشاركات في مهرجانات عالمية فماذا عنها؟

●صحيح منها سيدني، ليون، مارتينيك، اوكرانيا. في رأيي ليس لهوية المتلقي صلة تمكنه أو تمنعه من استيعاب ما يقوله الفيلم. حياة نورهان في اعتقادي أكثر من خاصة بل هي عالمية. شفافيتها وحميميتها في الفيلم ساعدت في وصولها لكل متلقي.

○ ماذا قالت حين شاهدت الفيلم؟

●تلتقه كمن يتعامل مع البوم صور. فهي لا تستمر طويلاً في المشاهدة المركزة بل تسرح في أفكارها، ثمة مشاعر تتولد لديها وتذكرها بحياتها. خاصة وأنها تعترف بأن السينما هوايتها الوحيدة. وقالت في الفيلم أنها كانت تأخذ المال من جدي وتذهب يومياً إلى السينما. كما قالت إنها كانت تنسى أنها متزوجة خلال وجودها في صالة السينما. يمكن وصفها منذ صغرها بأنها فصيحة وذكية، وكانت تختار للمشاهدة الأفلام الغربية وكذلك المصرية. لهذا عندما كانت حيال مخرج ليس لديه شغف السينما انتقدته بشكل لاذع.

○ أنت في صدد فيلم روائي طويل فماذا عنه؟

●انتهى تصويره وأنا بصدد إنجاز المكساج. يتحدث الفيلم عن امرأة تعيش بصعوبة في عالم تلفه الحروب، وقريباً سيشارك في مهرجانات. كتبت سيناريو الفيلم وأمثله كذلك. كما صورته جميعه باستثناء اللقطات المتحركة لي في الفيلم وصوتي خلالها المخرج الصديق كريستوف كراباش ومثّل معي، وزميل آخر في الولايات المتحدة هو روبرت كلودني مثّل معي وصورني في بعض المشاهد. كما طلبت من آخرين في الشارع تصويري. وقد حدث ذلك في الولايات المتحدة. استغرق الفيلم سنتين من التصوير بين باريس ونيويورك. وهو من إنتاجي.

○ أنت الشخصية الرئيسية في الفيلم؟

●صحيح. لم أكن أرغب في ذلك، بل بناء ثلاثة يقمن بالدور، شقيقتي، إحدى صديقاتي التي تغني وأنا. ولكن لم يستقم الأمر فحللت بنفسي في الشخصيات الثلاث.

○ وماذا عن فيلم بيروت، باريس، نيويورك؟

●هو فيلم وثائقي أعمل لإنجاز تصويره. هو فيلم يحاول المقارنة بين هذه المدن الثلاث وما كانت عليه منذ 20 سنة حتى الآن. وفي حوزتي أرشيف عن تلك المدن، التي أتحدث عنها وعن المساحات العامة، الصراع على الأرض، عالم المدينة، الحواجز، الحدود، اللاجئين والأرض والكون.

○ هل درست الصور المتحركة فأنت تجيدين توظيفها؟

●عندما تعثر تحقيق الدعم لإنجاز فيلمي الأول لسنوات، قررت أن يكون بالرسوم متحركة، ووجدتها وسيلة مساعدة في تعبيري عن نفسي. عندما نفهم أسلوب الرسوم المتحركة، فتطبيقها متاح بأكثر من طريقة. درست الرسوم المتحركة مع مارتي ايبراهامز في نيويورك، وتعلمت أكثر من طريقة في استعمالها.

○ تقدمين «ساعة موسيقى معاصرة الكترونية وكسدورات صوتية» في راديو لبنان. هل من تبادل فني بين الموسيقى والسينما؟

●هو القسم الأجنبي من راديو لبنان أقدم من خلاله أيضاً برنامج «موسيقى الشعوب» كل يوم سبت الساعة الخامسة، وبرنامج «ساعة موسيقى معاصرة وكسدورات صوتية». ليس بالضرورة البحث عن ترابط أو تبادل. من جهتي أكتب كذلك الموسيقى من خلال العزف على البيانو. كل ما أقوم به من أعمال في إطار الفن يتساعد ويتعاون، وليس لي تحديد أيهما التي تغني وأنا. ولكن لم يستقم الأمر فحللت بنفسي في الشخصيات الثلاث.

○ وأين يقع التعليم في حياتك المهنية؟

●حين أدرّس كتابة السيناريو ففي هذا الجانب أكون مع آخر في حياتي، في حين أن بقية المهمات أو الأعمال تتصف بأنها انفرادية. أسلوبي في التعليم يساهم في تشجيع الطلاب أو المشاركين في ورشات العمل للإنفتاح والحديث عن ما يسهم من قضايا للتعبير عنها في الأفلام.

المخرج العراقي باز شمعون في فيلمه «73 درجة مئوية»:

الوجود الإيزيدي المهدَد في العراق وقضايا أخرى

يوخنا دانيال

يعتبر المخرج السينمائي العراقي باز شمعون من أوائل الذين اهتموا بقضية الإيزيديين في العراق. وهذا يتجلى في آخر وأطول أفلامه، الذي عمل عليه منذ عام 2007 إلى 2017 وجاء عنوانه «73 درجة مئوية» في إشارة إلى عدد النكبات والمجازر التي تعرض لها الإيزيديون في تاريخهم الطويل. هذه الإثنية المسالمة التي تشترك مع الأكراد في اللغة وتختلف في الدين، لكن بعضهم يرفضون اعتبارهم من الأكراد، رغم أن الكثير من أفراد الطائفة أعضاء في الأحزاب الكردية وفي قوات البيشمركة.

يأخذ فيلم «73 درجة مئوية» ثلاثة مسارات درامية، أكبرها وأهمها هو المسار الإيزيدي، الكردي وعلي الشيعي، وهم ضحايا أعمال العنف والإرهاب، نجد انهم يعكسون أنماطا تربوية وعقلية متوارثة ترفض الآخر وترفض بعضها البعض، وهذا ما نكتشفه عند تواجدهم مع بعضهم للعلاج في ألمانيا. لكن بعد اهتمام ورعاية كبيرة من شخص إيزيدي في منزله في ألمانيا، يبدأ الحاجز بينهم في الانهيار. وربما يعود سبب هذا السلوك الانعزالي، لأنهم أصلا لا يعرفون بوجود الآخر في المجتمع وفي الوطن. وإذا عرفوا بوجوده، فإن الآخر يتم تصويره كخصم أو مجرم أو عدو. يحاول باز بصبر، ان يصور معاناتهم جراء إصاباتهم القاسية، إذ أن أحدهم فقد رجله بالكامل، والآخر فقد بصره ويده، لكن الإصابات تمتد إلى دواخلهم، في هيئة غضب وكراهية عمياء لكل شيء، خصوصا عند الولدين ريان وعلي، المتنافران دوما. وهذه إشارة رمزية واضحة، إلى دور الذكور في الصراعات والحروب الأهلية العنيفة في العراق، على عكس الإناث اللواتي يصبحن ضحايا وسبايا نتيجة هذه الحروب.

ورغم أن الفيلم في متنه ومعظمه تسجيلي، يحاول نقل وقائع وحقائق عن الإيزيديين وحياتهم ومعاناتهم، وعن ضحايا الإرهاب و«داعش» في العراق، لكنه لا يتوقف عند ذلك. إذ يبرز فيه خيط روائي واضح وجميل، يشد المشاهد في حكاية البطلة آسيا، التي نراها في البداية تعاني من إصابات جسدية بسبب التفجير الإرهابي الكبير، وإصابات نفسية عميقة جراء فقدانها العديد من أفراد عائلتها. لكنها بعد سنوات النزوح نراها فتاة جميلة وقد تزوجت من ابن عمها الشاب، وشفيت من جراحها الجسدية والنفسية. الشيء نفسه يحصل في حكايتي ريان وعلي، إذ يصبح ريان عازفا وعاشقا للموسيقى، وعلي مقاتلا في الحشد الشعبي ضد «داعش». ورغم قلة التفاصيل في حكايتيهما، فإن الفيلم يحاول أن يزرع الأمل بعد كل هذه المصائب.

يقول باز أنه يصنع سينما حقيقية، تهتم بالإنسان أولا، وبما يدور حوله من أحداث تؤثر على حياته ومصيره، لكن في النهاية على السينما أن تعرض بطولات الناس العاديين الحقيقيين. هذا المزج بين الوثائقي والروائي ممتع وصادق، وشاهدناه في أفلام وثائقية وروائية أخرى، ويحاول أن يشق طريقه سينمائيا. في النهاية، تمنيت لو ان مثل هذه الأفلام تعرض في دور السينما وعلى شاشات التلفزيون، ويشاهدها الجمهور العريض بدل اقتصار عرضها في المهرجانات لجمهور نخبوي.

ثم مسار ضحايا الإرهاب في العراق من الأطفال الإيزيديين والشيعة والأكراد السنّة، وأخيرا هناك المسار الشخصي الآشوري المسيحي، الذي يتعلق بالمخرج باز وأبيه المناضل اليساري القديم دنخا شمعون، الذي نجت أمه الحبلى من موت محقق في مجزرة الآشوريين في الثلاثينات من القرن الماضي في قرية سمّيل، بالتجائها إلى عائلة إيزيدية كما يرد على لسان الأب. وفي الفيلم يتداخل المساران الأول والثاني سينمائيا بانسجام في معظم الأحيان، ثم يكملان بعضهما البعض في النهاية. وربما يصعب على المشاهد غير العراقي فهم المسار الآشوري الثالث، لأنه لا يبدو من صلب الأحداث المعاصرة الواردة في الفيلم، لأن القضية الآشورية تعود إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، مع المجازر التي ذكرناها سابقا. لكن المخرج باز يفسر الأمر، بأنه محاولة مشروعة منه لضمّ الهمّ المسيحي الآشوري إلى باقي الهموم في الفيلم، لأن المسيحيين تمّ طردهم من مدنهم وقراهم التي احتلها «داعش» وهكذا يحاول تناول جرائم الإرهاب والدواعش تجاه جميع مكونات المجتمع العراقي.

يبدو المسار الإيزيدي رائعا ومتكاملا في حد ذاته، وكأنه يستحق أن يكون فيلما منفصلا ومستقلا. وربما هذه كانت النية أصلا عند المخرج، ويشهد على ذلك عنوان الفيلم وأحداثه أيضا. اذ يصور لنا باز الطقوس الإيزيدية، والأماكن المقدسة عندهم، ببراعة وجمال واحترام وفهم عميق. وللحق، هذه أول مرة أشاهد هذه الطقوس الجميلة العفوية. كما صور لنا غناؤهم الديني وأناشيدهم، وطقوس الحزن التي جرت في أعقاب عملية إرهابية كبيرة في عام 2007 ارتكبها متطرفون إسلاميون من أتباع الدولة الإسلامية في العراق، أدت إلى مقتل أكثر من 300 شخص وجرح ضعف عددهم من الإيزيديين الأبرياء. وأخيرا يصور لنا طقوس الزواج لإحدى الضحايا موضوع الفيلم، وهي الفتاة آسيا كمال، التي صادفها باز وهي مصابة بالتفجير وقد فقدت العديد من أفراد عائلتها في 2007 ثم صادفها من جديد بعد تهجير الإيزيديين في 2014 وقد أصبحت شابة جميلة وتزوجت من ابن عمها.

عقلية متوارثة

وبالعودة الى أبطال الفيلم؛ الأطفال آسيا الإيزيدية وريّان

«صوت الموسيقى أعلى» وحتى الصباح في اريسكو بالاس

معركة الحريات لكل الناس تنطلق والتصفيق يعلوا في بيروت بدل جبيل

بيروت ـ «القدس العربي»:

غاب فريق «مشروع ليلى» عن حفل كان مقرراً في التاسع من الجاري في مهرجانات جبيل لكنهم حضروا في مسرح أريسكو بالاس في بيروت وبقوة. في ذاك المسرح الذي احتضن فعالية «صوت الموسيقى أعلى» والتي استمرت حتى ساعات الصباح الأولى صفق المئات من الحضور للأغنية التي أثارت حفيظة الجهات الدينية. أغنية لم تتضمن ما يسمح بتحويل فرقة مشروع ليلى إلى حبل المشنقة، والتهديد بإراقة الدماء. كذلك عُرض فيديو كليب كان مقرراً لحفل جبيل، وتليت رسالة من أعضاء «مشروع ليلى» الموجودين خارج لبنان، وفيها أسفوا لمنعهم من الاحتفال بعشر سنوات على تأسيس الفرقة على المسرح «الذي كبرنا فيه». عبروا عن فرحهم لكمية الدعم التي حصدوها خلال المرحلة العصيبة بالقول «قلوبنا تطوف خاصة وأن اشخاصاً لا يحبوننا دافعوا عنا ضد ظلامية مجتمعنا».

هذا وكان الحفل المقرر في السابعة قد انطلق في الثامنة إلا ربعاً مع فُريدا، ومن ثم زياد سحاب الذي عزف وغنى «وطني اقليمي» وتشارك مع رامي بطرس في أغنية «جفنه علم الغزل». ومن ثم كانت كلمة باسم المنظمين من الممثلة ندى أبو فرحات والممثل بديع أبو شقرا. شكر ابو شقرا «المسرح الذي فتح أبوابه للحرية رغم الضغوط». وأضاف «لن نبيع حريتنا.. نحن نحاول العيش في بلد لا يشبهنا». وقالت ندى أبو فرحات «نجرب العيش في بلد لا تتعرض فيه كل ناشطة إلى الملاحقة المعلوماتية، وأن تتمكن كل لاجئة من الذهاب إلى عملها بدون أن ترى إعلانات كراهية.. نحن لا نريد أبداً للجميع ولا أخاً للجميع.. نريد حقوقاً للجميع.. لا نريد سلاحاً دون ضوابط بل حرية بلا ضوابط». وختم أبو شقرا «لا نريد أن نكون عنصريين بلبنانيتنا بل أحراراً بلبنانيتنا.. من الغد ستبدأ معركة الحريات حرية مشروع ليلى وحرية كل الناس».

في حين اجتمع في حفل «صوت الموسيقى أعلى» بحدود 30 بين فرق ومغنين وموسيقيين، وستاند أب كوميدي وممثلين كانت صاحبة مسرح اريسكو بالاس تتنقل بين الحضور الذين غصّ بهم المكان وتُشرف على كل صغيرة وكبيرة بمساعدة الأمن الخاص داخل الحفل. وقالت لـ«القدس العربي» رداً على سؤال «هل هي شجاعة منك أم موقف بخصوص ما يشهده لبنان؟»

● أنا لبنانية وما أقوم به لبناني بالكامل، فقد اعتدت منذ صغري أننا كلبنانيين نعيش أحراراً في الفكر، الرأي، المعتقد والإيمان. أوجدت مساحة مسرح ذا بالاس للناس المختلفين الذين لا يجدون مكانا للتعبير. علم بنا منظموا حفل صوت الموسيقى أعلى رحبنا بهم وفتحنا لهم الأبواب. إنه الموقف أكثر منه الشجاعة.

○ تلقى مشروع ليلى تهديداً بإراقة الدماء ألم تخشين التهديد؟

● ولا لحظة. من يهدد أهلا به، نحن لها. أقمنا الحفل برعاية القوى الأمنية وحمايتها ولنا حمايتنا الخاصة القوية داخل المسرح خلال الحفل. راهنّا في حفلنا على وعي الشعب اللبناني فلسنا بصدد الهجوم على أحد أو استفزازه، نحن نحتفل بيوم الموسيقى. ونعلن رفض توقيف أي فرقة موسيقية بسبب رأيها، موسيقاها أو صورة خاصة بها.

يتذكر باسم دعيبس العضو في فرقة «بلاكيوم» التي شاركت في الحفل، أن الهجوم على موسيقى «هافي ماتيل» وكل من يسمعها بدأ سنة 1996 وهؤلاء تعرضوا لقمع يقوى ويتراجع. وقال: ما حصل مع أعضاء مشروع ليلى اختبرناه، من تلفيق تهم، تحقيق وعنف. أنا وآخرون اختبرنا السجن بسبب الموسيقى، ومن ثم الإفراج من دون تُهمة.

وعبّر زياد سحاب عن كونه في مكانه الطبيعي من خلال مشاركته في هذا الحفل. كما وجده المكان الطبيعي لأي إنسان يرى الحرية بدون حدود وخاصة في الفن. من حق أي كان أن يسخر من فكرة معينة وهو بذلك لا يصيب من يتمسك بتلك الفكرة ولا يتعدى عليه. أنا موجود هنا لأنني أؤمن بأن لا حدود لما يقال في الفن.

إذا كان الحفل قد حمل عنوان صوت الموسيقى أعلى، فإن الهاشتاغ هو «القمع مش مشروع». أما هدف المبادرة فحدده طلال زيدان بالقول: «بدأت المبادرة مع إعلان إلغاء مشروع ليلى. التقت مجموعة من الناشطات والناشطين وتم اقرار هذا الحفل تضامناً مع الحريات وحرية التعبير خاصة. وفي حفلنا هذا أوصلنا رسالة رفض للقمع ولتراجع الحريات في لبنان والذي تجلى في حفل مشروع ليلى والمرحلة التي سبقته. مسؤولية الدولة تأمين الحريات والحماية للناس، وللأسف هذا ما لم نلحظه في جبيل. الغي الحفل مخافة من هدر الدماء، وهنا مسؤولية الدولة في تأمين الحماية لكافة مواطنيها في تعبيرهم عن آرائهم.

يُذكر أن من كانوا خارج المسرح تساووا مع من كانوا في داخله فقد أغلقت الأبواب حين غصّ المكان بالحضور.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9631 الأحد 11 آب (أغسطس) 2019 – 10 ذو الحجة 1440 هـ
Volume 31 - Issue 9631 Sunday 11 August 2019

في المجر 30 ألف يورو لكل زوجين أنجبا ثلاثة أطفال

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

من أجل إنعاش وزيادة معدلات الولادة التي تشهداً تراجعاً واضحاً في عدد من البلدان الأوروبية مقابل ارتفاع معدلات الشيخوخة؛ بدأت السلطات في المجر مؤخرا في وضع برنامج يمنح للمتزوجين الجدد قرضاً مالياً بقيمة 10 ملايين غيلدر، أي ما يعادل 30 ألف يورو، بحيث لن يضطروا إلى تسديده في حالة انجابهم لثلاثة أطفال أو أكثر. ويمكن استخدام هذا المبلغ من أجل أنواع النفقات.

تندرج هذه الخطة ضمن السياسة التي أعلن عنها رئيس الحكومة فيكتور أوربان في خطاب حالة الأمة في فبراير/شباط الماضي، والتي تشمل إنفاق 4.8 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي على برامج دعم الأسرة والتعليم والتشجيع على الإنجاب.

ومع ذلك، كي يكون الزوجان مؤهلَيْن للحصول على هذا القرض المالي، فإنه يجب أن يستوفيا معايير محددة، وهي: أن يكون أحدهما على الأقل يتزوج للمرة الأولى في حياته، وأن يتراوح عمر الزوجة بين 18 و40 عامًا، وأن يكون أحد الزوجين سبق له أن دفع اشتراكات الضمان الاجتماعي في النمسا لما لا يقل عن 180 يومًا خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

وإذا لم يرزق الزوجان بمولود في غضون خمس سنوات أو انفصلا عن بعضهما البعض؛ ففي هذه الحالة سيكون عليهما سداد القرض كاملا وأيضا الفوائد المترتبة عليه، وذلك خلال مهملة لا تتعدى الثلاثة أشهر. بينما يتم إعفاء الزوجين من تسديد هذا الدين إذ كان في حوزتهما شهادة طبية تثبت أن هناك سبباً طبياً حال دون الإنجاب. وعلى غرار العديد من البلدان الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، تعاني المجر من نقص اليد العاملة، حيث يفضل العمال مغادرة البلاد للاستفادة من الأجور المرتفعة. ولمواجهة هذه الظاهرة، يريد رئيس وزراء البلاد فيكتور أوربان وحزبه، إعطاء الأولوية للنمو السكاني المرتبط بالأسرة بدلاً من الهجرة الجماعية.

تجدر الإشارة إلى أن متوسط معدل الخصوبة في الاتحاد الأوروبي هو 1.59 طفل لكل امرأة، مقارنة بـ 1.49 في المجر؛ التي فقدت، من جهة أخرى، نحو مليون شخص في أقل من 40 عامًا، ليتراجع عدد سكانها من 10.7 مليون نسمة في أوائل الثمانينيات إلى 9.8 مليون نسمة في عام 2018.

السنغاليون يستخدمون أجزاءها للعلاج والزواج وللدفع والجلب

طقوس الأضحية بين واجبات الدين ومعتقدات الخرافة الافريقية

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

ليست أضحية العيد في المجتمعات الافريقية المسلمة، ذبيحة عادية ينحرها المسلم تقربا إلى الله على خطى نبي الله إبراهيم الذي فدى ابنه إسماعيل بذبح عظيم بعد أن تلقى أمرا في المنام بذبحه؛ فقد أحاط الافارقة الأضحية بطقوس كبيرة لا تتناهى حيث يوزعون أجزاءها للعلاجات وللزواج ولدفع الأخطار وجلب المنافع.

وأكد الحاج مالك كي وهو شيخ روحاني سنغالي ومؤلف كتاب «المنافع الباطنية لكبش الأضحية» لـ «القدس العربي»: «أن الله تعالى أودع في كبش الأضحية جميع المنافع التي لو اطلع عليها الناس لاستغنوا بها عن المستشفيات والعلاجات».

وقال «على سبيل المثال، إذا أخذ رئيس من رؤساء الدول القرن الأيمن لكبش أضحيته وكتب سورة الملك في ورقة وأدخلها في القرن ودفنه أمام قصر الرئاسة، فإن الله يثبت ملكه بذلك».

وقال «معدة الكبش تؤخذ وتجفف وتطحن ويسقها المريض المعاني من أخطر الأمراض فإنه يشفى بحول الله وبركة الأضحية».

وتابع الحاج مالك شروحاته الغريبة قائلا «إذا أخذت ذنب الكبش وجففته وتبخرت بقطعة صغيرة منه فإن السحر ينحل عنك كما أن العين تزول وتنفك بأضرارها الخفية، وإذا اتخذت من جلد الكبش بعد دبغه سجادة للصلاة فإن صلواتك تقبل عند الله كما أن أدعيتك لا ترد».

وزاد «إذا أخذت الفتاة البائرة التي لم تجد زواجا، عين الكبش اليسرى وجففتها وسحقها وخلطتها مع الكريمات ودهنت بتلك الخلطة وجهها فإنها ستجد الزوج المناسب بدون تأخير».

وأضاف «أما تأمين المنزل من اللصوص والسحرة فيتحقق بطريقة بسيطة هي جمع أظلاف الكبش مع سكين في كيس واحد ودفن الكيس عند مدخل المنزل».

ويسود الاعتقاد بأن الكبش المربوط بالمنزل يحفظ أفراد الأسرة من العين لأن سموم عيون الزائرين سيمتصها الخروف عند الدخول.

ويتولى صاحب الأضحية العناية بتربية أضحيته ومنهم من يخصص لها كل أسبوع حماما بالصابون، أما يوم العيد فإن الأضحية تعطر لكونها مقدمة لفداء نبي الله إسماعيل.

وقد خرج الموريتانيون أمس من أوحال السياسة وسكرات الانتخابات الرئاسية ليندفعوا نحو أسواق الماشية لتأمين أضحية العيد الذي يحتفل به غدا الإثنين وذلك في ظرف غير مسبوق من الغلاء.

وتضافرت عوامل عدة هذه السنة لرفع أسعار الخِراف في الأسواق الموريتانية أولها تأخر موسم الأمطار، وثانيها طلب الحكومة السنغالية من نظيرتها الموريتانية تصدير 800 ألف خروف إلى أسواقها وهو ما رفع سعر الخروف من 100 دولار إلى 350 دولارا.

وتتفاضل الخراف في الأسواق الموريتانية وأغلاها أكباش «أزواد» التي يصل سعر الواحد منها 500 دولار أمريكي، وأكباش «الطوابير» التي يصل سعر الواحد منها 600 دولار. ويحرص الموريتانيون وجيرانهم السنغاليون والماليون على اقتناء الأكباش في عيد الأضحى والتفاخر بها؛ فبقدر ما كان كبش الأضحية ضخما طويل القرون وتام الصورة أبيض اللون بقدر ما كان لصاحبه مكانة عظيمة يوم العيد.

وإذا كان الموريتانيون يشترون أضاحيهم قبل العيد بيوم أو يومين من الأسواق، فإن من السنغاليين من يشترون خروفا صغيرا ويتولون على مدار السنة تربيته بعناية والسهر على تسمينه وربطه داخل المنزل إلى يوم العيد.

ويعتقد الكثيرون نقلا عن آثار نبوية أن الأضاحي التي يتقرب بها إلى الله تعالى هي مطايا أهلها يوم القيامة، ويردد الكثيرون قول الرسول عليه السلام «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم».

أما يوم العيد فيذبح المضحون خرافهم وتبدأ أدخنة الشواء تنبعث من المنازل فالكل يسلخ لنفسه ويشوي لنفسه فليس هناك في يوم العيد عمال لتولي هذه المهام، إذ أن الجميع في أجواء العيد بعيدا عن مواقع العمل. ومن أغرب عادات الافارقة في عيد الأضحى أن المضحين في مالي والنيجر لا يأكلون يوم العيد سوى المصارين والكروش أما بقية اللحم فيمنع أكله قبل اليوم الثاني للعيد، ولهؤلاء في هذه العادة تجارب كثيرة منها أن أكل المصارين يوم العيد يورث طول العمر وصحة البدن.

ويصوم المضحون صباح يوم العيد حتى تذبح الأضاحي فيفطرون وقت الضحى على قطعة من الكبد؛ ويؤكد الفقهاء أن صوم هذه الفترة القليلة من صبيحة يوم العيد يعادل صيام ستة آلاف سنة.

هكذا بدت أجواء عيد الأضحى في موريتانيا والسنغال بتجاربها العجيبة وعاداتها الغريبة ضمن طقوس تتمازج فيها واجبات الدين بمعتقدات الخرافة الافريقية.